جامعة شندى
كلية الدراسات العليا

الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب

أطروحة(لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية)

إعداد
عبد المنعم عوض أبو شنب

إشراف
البروفيسور: يحيى فضل الله مختار

ذو الحجة 1431 هـ ديسمبر 2010م

الآية

هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض ومايخرج منها ومايَنزل من السماء ومايعرج فيها وهومعكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير

الحديد: الآية: 4

الإهـــــداء

إلى روح العزيزة الغالية جدتي لأمي التي رحلت في اليوم الثاني لعيد الفطر المبارك وتركت جرحاً غائراً وفؤاداً مكلوماً ونفساً حزينة ، لها الرحمة بعدد حروف هذا البحث .

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإكمال هذا البحث ، فله الشكر والحمد من قبل ومن بعد . يسعدني كثيراً ويشرفني كذلك أن أتقدم بشكري الجزيل ، وامتناني العميق ، لأستاذي البروفيسور/ يحيى فضل الله مختار الذي تولاني برعايته وعنايته ، وشاركني همَّ هذا البحث مذ كان فكرة، واقتطع من وقته الغالي الساعات الطوال ، موجهاً ومشجعاً ومعقباً ومشرفاً ، ومبدياً ملاحظاته القيمة على كل معلومة في هذا البحث ، وذلل لي الكثير من صعوبات هذا البحث وتقبل أسئلتي المتواصلة وإلحاحي بطيب نفس ، ورضا خاطر ، ويظل لساني عاجزاً عن شكره .

وأقف وقفة إجلال وإكبار ، شاكراً ومقدراً ، إدارة جامعة شندي التي أتاحت لي هذه الدراسة ، ويسرت لي سبلها .

وأشكر كذلك إدارة مكتبة جامعة شندي ، وإدارة مكتبة السودان، وإدارة مكتبة جامعة وادي النيل – كلية التربية عطبرة ، لتعاملهم الراقي وسعة صدرهم ، ومساعدتهم لي .

شكري يمتد لإخواني الذين وجدتهم سنداً وعوناً لي في هذه الدراسة الأستاذ علاء الدين محمد أحمد والأستاذ أحمد حامد والأستاذ بدر الدين أحمد سليمان .

وشكري للأستاذة ليلى حسن محمد التي قامت بتنسيق هذا البحث ليخرج بهذه الصورة .

أخيراً أتقدم بشكري الجزيل لكل من مد لي يد العون .

ملخص البحث

تمخضت حياة الأمة السودانية عن كثير من النضال والجهاد والكفاح على مر العصور ، وعبر الأجيال في وجه المستعمر ، واتخذ النضال جوانباً متعددة ، لتعدد الأسلحة ومن ضمنها سلاح الشعر الوطني، الذي أرق مضاجع المستعمر ، ووثق للأبطال وشحذ الهمم .

في هذا البحث وثق الباحث للشعر الوطني السوداني في جميع مراحله ، واختار الشاعر محمد المهدي المجذوب ، لتنوع شعره الوطني، ولكثرته ، ولروحه الوطنية العالية التي لم تعرف المهادنة للمستعمر .

قسم الباحث البحث إلى ثلاثة أبواب ، وعدد من الفصول والمباحث . أفرد الباحث الباب الأول للإطار العام للرسالة ، بينما تحدث في الباب الثاني عن مفاهيم الوطن ، ومراحل الشعر الوطني السوداني ، وحصر الشاعر الباب الثالث والأخير ، عن محمد المهدي المجذوب ، متناولاً حياته وشعره وأسرته وموضوعات شعره الوطني ، وتوصل الباحث لنتائج عامة أهمها :-

1- لم يتبلور الشعر الوطني في عصر الفونج لعدة منها أن: السودان لم يعرف حدود الوطن ولوجود ثلاث ممالك كانت تتقاسم حكم السودان وتتحارب فيما بينها ولسيادة الروح القبلية .

2- الشعر الوطني في فترة الحكم التركي قليل ، ومع قلته لم يصور الأحداث المثيرة في السودان ، ولم يتبلور تبلوراً واضحاً في هذه الفترة .

3- الشعر في عهد المهدية يمثل الأنموذج الأمثل لمفهوم الوطن في الإسلام .

4- وفرة الشعر الوطني في فترة الحكم الثنائي نتيجة للشعور المناهض للاستعمار في هذه الفترة .

5- تطرق محمد المهدي المجذوب لمعظم موضوعات الشعر الوطني المباشر ، فبرز في شعره التحريض على الثورة ، ورفض ممارسات الأحزاب والمتعاونين معهم ، واستلهام الثورة من معارك الأجداد ومجاهداتهم ، كما ظهرت في شعره بعض الأفكار والآراء السياسية ومد طرفه للعالمين العربي والإفريقي ، فظهرت في شعره بعض القضايا العربية والإفريقية ، وظهرت بعض الموضوعات الشعرية الوطنية غير المباشرة مثل: النيل ، والشعوبية .

قدم الباحث النتائج والتوصيات في ختام هذا البحث .

صفحة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	د
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	هـ
صفحة المحتويات	و
الباب الأول : الإطار العام للبحث	1
المقدمة	1
أسباب اختيار موضوع البحث	2
أهمية البحث	2
حدود البحث	3
مشكلة البحث	3
منهج البحث	3
وسائل البحث	4
الدراسات السابقة	5
الباب الثاني: مفهوم الوطن ومراحل الشعر السوداني	6
الفصل الأول: مفاهيم الوطن	10
المبحث الأول: تطور مفهوم الوطن عبر الأزمان	10
المبحث الثاني: مفهوم الوطن في الإسلام	17
المبحث الثالث: مفهوم الوطن السودان	26
الفصل الثاني: مراحل الشعر الوطني السوداني	33
المبحث الأول: الشعر الوطني في العصر التركي	33
المبحث الثاني: الشعر الوطني في عهد المهدية	49
المبحث الثالث: الشعر الوطني في عصر الحكم الثنائي	61
الباب الثالث: الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب	87
الفصل الأول: حياة الشاعر - بيئته - وآثاره الأدبية	87
المبحث الأول: حياة الشاعر	87
المبحث الثاني: بيئة الشاعر	94
المبحث الثالث: آثاره الأدبية	99
الفصل الثاني: موضوعات شعره الوطني	129

المبحث الأول: التحريض على الثورة	131
المبحث الثاني: مآخذه على الأحزاب والمثقفين	138
المبحث الثالث: حسرة الشاعر على تفرق قومه	157
المبحث الرابع: استلهام الماضي العريق لكفاح قومه	163
المبحث الخامس: أفكار الشاعر السياسية	171
المبحث السادس: إحباط الشاعر ويأسه من الحكومات الوطنية	185
المبحث السابع: النيل في شعر محمد المهدي المجذوب	194
المبحث الثامن: الشعوبية والواقعية في شعر محمد المهدي المجذوب	201
المبحث التاسع: العروبة وإفريقيا في شعر محمد المهدي المجذوب	214
خصائص شعره الوطني	226
الخاتمة	228

صفحة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	د
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	هـ
صفحة المحتويات	و
الباب الأول : الإطار العام للبحث	1
المقدمة	1
أسباب اختيار موضوع البحث	2
أهمية البحث	2
حدود البحث	3
مشكلة البحث	3
منهج البحث	3
وسائل البحث	4
الدراسات السابقة	5
الباب الثاني: مفهوم الوطن ومراحل الشعر السوداني	6
الفصل الأول: مفاهيم الوطن	10
المبحث الأول: تطور مفهوم الوطن عبر الأزمان	10
المبحث الثاني: مفهوم الوطن في الإسلام	17
المبحث الثالث: مفهوم الوطن السودان	26
الفصل الثاني: مراحل الشعر الوطني السوداني	33
المبحث الأول: الشعر الوطني في العصر التركي	33
المبحث الثاني: الشعر الوطني في عهد المهدية	49
المبحث الثالث: الشعر الوطني في عصر الحكم الثنائي	61
الباب الثالث: الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب	87
الفصل الأول: حياة الشاعر - بيئته - وآثاره الأدبية	87
المبحث الأول: حياة الشاعر	87

المبحث الثاني: بيئة الشاعر	94
المبحث الثالث: آثاره الأدبية	99
الفصل الثاني: موضوعات شعره الوطني	129
المبحث الأول: التحريض على الثورة	131
المبحث الثاني: مآخذه على الأحزاب والمثقفين	138
المبحث الثالث: حسرة الشاعر على تفرق قومه	157
المبحث الرابع: استلهام الماضي العريق لكفاح قومه	163
المبحث الخامس: أفكار الشاعر السياسية	171
المبحث السادس: إحباط الشاعر ويأسه من الحكومات الوطنية	185
المبحث السابع: النيل في شعر محمد المهدي المجذوب	194
المبحث الثامن: الشعوبية والواقعية في شعر محمد المهدي المجذوب	201
المبحث التاسع: العروبة وإفريقيا في شعر محمد المهدي المجذوب	214
خصائص شعره الوطني	226
الخاتمة	228

الباب الأول
الإطار العام للبحث

الباب الثاني
مفهوم الوطن ومراحل الشعر الوطني السوداني

الباب الثالث
الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب

الخاتمة

المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الشعر دنيا وهبها الله لعباده ، ليفروا إليها كلما ضاقت بهم دنياهم ، وجعل مفاتيحها عند الشعراء . أحب الإنسان الشعر ناطقاً ، وصامتاً فتلك النغمات الشعرية التي نسمعها من فم الإنسان مرة ، ومن فم الطبيعة مرة أخرى ، هي التي زخرفت لنا هذه الحياة ، وألبستها ذلك الثوب الناعم الأبيض من السعادة والهناء ، حتى أحببناها ، وولعنا بها وحرصنا عليها ، فكان الشعر سراً من أسرار هذه الحياة ، وعلة هذا الوجود.

في ظل هذا العالم الملتهب بشتى أنواع الحوادث ، ينبغي لنا أن نسأل عن دور الشعر في مجال التعبير الأدبي ، فهل يظل الشعر هو ذلك الفن الغارق في الخيال والرؤى الوهمية ؟ أو أنه يستطيع أن ينزل إلى دنيا الناس ويكون وسيلة تعبير حقيقية عن وسائلهم ، ويتحمل عبء المشاركة ، والمعايشة على أرض نعيش عليها. هل يبقى الشعر ربيباً للطبيعة يصف الزهر والنهر والقمر والفراشات ، أو أنه يستطيع أن يكون ربيباً للحياة يصف الشارع والتراب والوطن ؟ ولعل الواقعية هي أنسب الأشكال التي تلائم طبيعة هذا العصر ، وما أروع الواقع حين يرتبط بالوطن.

السودان واحد من هذا العالم له شعراؤه الذين أحسنوا الشعر ، وطرقوا كل فنونه ومذاهبه ، وتغنوا بالوطن وتغنوا له، عايشوا حقبة الاستعمار والذل فكان صوتهم مدفعاً أزال كابوس الاستعمار وقوَّض أركانه.

منذ وقت مبكر انصب اهتمامي على معرفة النتاج الأدبي الذي قيل في وطني السودان ، فأصبح هماً لا يفارقني فكان هذا البحث امتداداً لدراسة سابقة قدمتها في العام 1997 م لنيل بكلاريوس مرتبة الشرف في قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة وادي النيل تحت عنوان (مراحل الشعر الوطني السوداني) ، وحينها لم يتعرض البحث بما فيه الكفاية لدور الشعر الوطني السوداني ، ولم يخصص الباحث شاعراً محدداً. وفي هذه الرسالة وقع اختيار الباحث للشاعر محمد المهدي المجذوب فجاء العنوان هكذا :

(الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب)

أسباب اختيار البحث :-

1. الأهمية الكبرى التي يمثلها الشعر الوطني ، فهو يوثق لفترات ثرة من تأريخ السودان وينشر القيم السودانية الحميدة مثل الشجاعة وإباء الضيم والهوان.
2. إعجابي بالشاعر محمد المهدي المجذوب ، ومدرسته في الشعر وظهور الرمز والفلسفة في شعره واستلهام الروح الوطنية في أشعاره وكذلك إعجابي بأسرته الدينية التي تعتبر مركز ثقل للدين الإسلامي واللغة العربية في السودان فأبناؤها معظمهم شعراء.
3. الرغبة الصادقة في البحث والتنقيب عن جواهر الأدب السوداني للمكانة السامية التي يتمتع بها وسط آداب الدول العربية الأخرى.
4. إثراء المكتبة السودانية العلمية المتخصصة بجهد مقدر يعتبر إضافة حقيقية لها.

أهمية البحث :-

تتمثل أهمية هذا البحث في الآتي :-

1. ندرة البحوث العلمية المتخصصة عن الشعر الوطني السوداني ، مقارنة بعصور الأدب العربي المختلفة الأخرى التي وجدت حظها بحثاً وتنقيباً مثل الأدب الإسلامي والأموي والعباسي.
2. تنمية الشعور الوطني ، واستنهاض الهمم نتيجة التوثيق الجاد لأهم فترة في تأريخ السودان.
3. إبراز دور الشعراء والأدباء في استقلال السودان.
4. نتيجة للانفجار العلمي الهائل كان لابد من الانحياز للوطن ، وتبيان دور الشعر في نهضة السودان في زمن ضعف فيه الحس الوطني وتضعضعت الروح الوطنية.
5. التوثيق الجاد للشاعر محمد المهدي المجذوب ، وعبقريته في تصرفه في معظم فنون الشعر ووفرة شعره وإنتاجه لثمانية دواوين شعرية تامة هي: نار المجاذيب، تلك الأشياء، الشرافة والهجرة ،منابر، البشارةالقربان الخروج ،شحاذ فى الخرطوم ، أصوات ودخان، القسوة فى الحليب .
6. التطرق لتأريخ الحركة الوطنية السودانية وإسهاماتها في استقلال السودان ، وهي فترة مضيئة مشرقة كان الشعر هو رأس الرمح فيها.

7. يتيح البحث فرصة طيبة للحديث عن تأريخ الأدب السوداني في تلك الفترة.

حدود البحث :-

أ- حدود الموضوع :-

بداية أول قصيدة وطنية وكانت في مدح السيد عبد الرحمن المهدي سنة 1940م وحتى وفاته سنة 1982م .

ب- الحدود الزمانية: وهي الفترة التي بحث فيها الباحث (الفترة 1934-1980م) .

ج- الحدود المكانية: دواوينه الشعرية .

مشكلة البحث (الدراسة) :-

تطرق محمد المهدي المجذوب لمعظم فنون الشعر ، ولكن المشكلة التي سوف يعالجها الباحث بحثاً وتنقيباً في هذه الرسالة هي القصائد الوطنية في شعره ولكن ذلك ليس بمعزل عن أنواع الشعر الأخرى ، مع مصاحبة علم البلاغة والجمال اللغوي أثناء الدراسة فهي دراسة أدبية. و حدد الباحث جزئية البحث في قصائده الوطنية في دواوينه الثمانية . وهل كان الشاعر يقدم قصائده الوطنية في شكل لوحات تامة؟ أو كان يأتي بها مستصحباً الأغراض الأخرى مثل الغزل والمدح والفخر؟.

منهج البحث :-

اعتمد الباحث على مناهج متعددة احتاج إليها حسب خطة تقسيم البحث ، وكانت البداية بالمنهج التأريخي ، واعتمد الباحث عليه في سرد الجوانب التأريخية المتعلقة بدراسة فترات الشعر الوطنى ، والمتعلقة بحياة الشاعر وموطنه والفترة التي عاش فيها.

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلى في دراسة النتاج الأدبي للشاعر معتمداً على الاستقصاء والإحصاء ، ثم الشرح والتفسير ، بما يحقق للقصيدة الوطنية اكتمالها وهذا لم يخلُ من ذوق شخصي للنماذج ينسجم وروح الشعر التي لا تعرف الجزم، واستعان الباحث بالمناهج النقدية والجمالية والبلاغية حسب الحاجة إليها، ومنها المناهج اللغوية والأسلوبية.

وسائل البحث:-

1. الكتابات عن الشاعر الزمانية والمكانية وتوضيح تأثيرها فى الشاعر.

2. الكتابات عن دواوين الشاعر الثمانية ومعرفة تأريخ ظهور القصائد ومقارنتها بالشعر في هذه الفترة.
3. استخلاص وإحصاء القصائد الوطنية ، وتصنيفها ودراستها في إطار الحقبة التأريخية السائدة.
4. تحليل هذه القصائد وتقسيمها حسب مقتضيات خطة الدراسة.
5. استخلاص النتائج وإصدار الحكم عليها.
6. الاستعانة بالمراجع التأريخية والأدبية وتوثيق المعلومة.
7. استصحاب علوم البلاغة في المعالجة الجمالية لشعره الوطني.

الدراسات السابقة

وجد الباحث عدداً من الدراسات السابقة التي تناولت الشعر الوطني السوداني أو الشاعر محمد المهدي المجذوب على الرغم من تشابه هذه الدراسات مع أطروحة الباحث ، إلا أن هنالك نوعاً من التباين والاختلاف فيما بينها وبين أطروحة الباحث.

في هذه الجزئية يستعرض الباحث عدداً منها ، متتبعاً أبوابها ، وفصولها ثم يذكر الاختلاف بينها وبين أطروحة الباحث .

أول من تناول هذا الموضوع بالدراسة الشاعر السوداني الأستاذ محمد محمد علي في أطروحته لنيل درجة الماجستير التي كانت بعنوان (الشعر السوداني في المعارك السياسية، في الفترة ما بين العام 1821-1924م).

قسم الأستاذ محمد محمد علي بحثه إلى أربعة فصول ، متتبعاً فترات الحكم في السودان ، ماراً بمراحله الأربع (عهد الفونج، العهد التركي، عهد المهدية وأخيراً الحكم الثنائي حتى ثورة علي عبد اللطيف وهي نهاية الحدود الزمانية للبحث) ولاحظ الباحث أن الأستاذ محمد محمد علي كان يسهب ويسترسل في ذكر الجوانب التأريخية ويفصِّل فيها ثم يخلص إلى النتاج الأدبي في كل فترة ويرى الباحث أن هناك اختلافاً بين رسالته ، ورسالة الأستاذ محمد محمد علي يتلخص في الآتي:-

1. لم يخصص الأستاذ محمد محمد علي فصلاً للحديث عن مفاهيم الوطن ، بينما تحدث الباحث عن مفاهيم الوطن .
2. كانت نهاية الحدود الزمانية لرسالة الأستاذ محمد محمد علي العام 1924م ، بينما امتدت فترة الباحث إلى العام 1982م وهو العام الذي مات فيه الشاعر محمد المهدي المجذوب.
3. ضمن الأستاذ محمد محمد علي فترة العهد السناري ، وخصص لها فصلاً كاملاً بينما جعل الباحث هذه الفترة تمهيداً وليس فصلاً خاصاً ، وذلك لأن السودان لم يشهد الحكومة المنظمة إلا في العام 1821م ولم يتشكل الوطن السودان بمفهومه الخاص إلا في هذه الفترة .

من الرسائل والدراسات السابقة التي وقف عليها الباحث دراسة مشابهة إلى حدٍ كبير لرسالته ، وهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراه للأستاذ صلاح الدين المليك بعنوان (شعراء الكيان الوطني في السودان من عهد الفونج إلى العام 1971م).

تناول الباحث في هذه الدراسة الشعر الوطني في السودان وتطرق لمكانة السودان في مصر والشام ،وأفرد جزءاً كبيراً لفترة المهدية مفصلاً الحديث عن الشعور الديني والوطني في هذه الفترة متناولاً فكرة المهدية ومكانتها في الإطار العربي والإسلامي ، متحدثاً عن تفاعل الشعراء معها وتحدث في فترة الحكم الثنائي عن الاتجاهات الوطنية ، وأفرد الباحث في الفصل الرابع حيزاً لشعراء الوطنية المحدثين ، وتحدث عن الاستقلال وشعراء العوالم الأخرى وتحدث عن الناحية الفنية للشعر الوطني.

تشابه هذه الدراسة دراسة الباحث في كثير من الأمور والموضوعات التي طرحت ، ولكن يظل الاختلاف كبيراً بينهما في الأمور الآتية:-

1. اتفق الدكتور صلاح المليك مع الشاعر الأستاذ محمد محمد علي في تخصيص فصلٍ كاملٍ للحديث عن العهد السناري ، بينما تجاهل الباحث هذا الفصل وجعله تمهيداً فقط على اعتبار أن عهد الفونج لا يصنف شعره وطنياً لأسباب ذكرها الباحث في رسالته.
2. تناول الدكتور صلاح المليك الشعر الوطني حتى العام 1970 ، بينما واصل الباحث في السرد والتحليل والإحصاء حتى العام 1982م ساعة وفاة الشاعر المجذوب.
3. أفرد الباحث فصلاً كاملاً عن المفاهيم الوطنية التي أهملها الدكتور المليك ولم يتطرق لها إطلاقاً.
4. تحدث الدكتور المليك عن عدد من الشعراء الوطنيين وحلل أشعارهم واستعرض بعضاً منها ، بينما خصص الباحث كل دواوين المجذوب للتطبيق على الشعر الوطني.

من الذين تحدثوا عن الشعر السياسي والوطني السوداني الأستاذ عباس محجوب في أطروحته التي بعنوان (الشعر السياسي السوداني 1924-1970م) وهي لا تختلف

كثيراً عن الدراسات التي استعرضها الباحث ، بل صرح الأستاذ عباس محجوب أنها مكملة لرسالة الأستاذ محمد محمد علي الذي وافته المنية قبل إتمام الدكتوراه.

وكانت دراسته في ثلاثة أبواب وعدد من الفصول، تحدث في الباب الأول عن المؤثرات السياسية ، والاجتماعية ، والموضوعات التي عالجها الشعراء ، وتطرق لأثر النوادي والجمعيات والصحافة والتعليم. وفي الباب الثاني قسم الشعر الوطني إلى مرحلتين المرحلة الأولى تمثل الشعر الذي قيل حتى العام 1930م، والمرحلةالثانية تمثل الشعر الذي قيل بعد هذه الفترة وذكر أن شعراء الفترة الأولى تأثروا بالطابع الديني فغلب على شعرهم وربطوا الدين بالوطن. وختم الأستاذ عباس دراسته بتخصيص الباب الثالث لأعلام الشعراء الوطنيين في هذه الفترة مثل توفيق صالح جبريل وصالح عبد القادر ويوسف مصطفى التني.

يرى الباحث أن دراسة الأستاذ عباس هذه تتفق مع رسالته في كثير من الموضوعات ولكنها تختلف عنها في الآتي:-

1. على الرغم من اتفاق الأستاذ عباس محجوب مع الباحث في بداية الفترة الزمانية وهي مرحلة 1924م إلا أنه يختلف معه في نهاية الفترة الزمنية ،إذ جعلها الأستاذ عباس العام 1970م، بينما واصل الباحث كما ذكرت إلى 1982م.
2. تناول الأستاذ عباس عدداً من الشعراء في كل فترة ، ولكن الباحث اختار شاعراً واحداً فقط وهو محمد المهدي المجذوب.
3. أهمل الأستاذ عباس مفاهيم الوطنية بينما ذكرها الباحث.

يختتم الباحث هذه الدراسات السابقة بدراسة الأستاذ صالح شعيب صالح ، وهي أطروحة لنيل درجة الماجستير بعنوان (القضايا الوطنية والاجتماعية في شعر محمد المهدي المجذوب)، تلك الأطروحة التي تحدثت عن بعض الموضوعات التي ذكرها الباحث في رسالته ، ولكن مع اختلاف كبير جداً في الفكرة، وطريقة التناول .

قسَّم الأستاذ صالح شعيب دراسته إلى ثلاثة فصول:-

- تحدث في الفصل الأول عن حياة الشاعر وأسرته باختصار.
- وفي الفصل الثاني تحدث عن القضايا الاجتماعية والوطنية، وبدأه بتمهيد عن الحياة السياسية، وتناول عدداً من القضايا التي أثارها شعر المجذوب.

- وتحدث الأستاذ صالح فى الفصل الثالث عن بناء القصيدة والأسلوب عند المجذوب.

وعلى الرغم من أن دراسة الأستاذ صالح شعيب كانت أقرب لدراسة الباحث إلا أنها تختلف عنها في الآتي:-

1. تحدث الباحث عن كل مراحل الشعر الوطني السوداني بإسهاب موضحاً خصائصه ، وسماته ، ومميزاته ، في كل فترة ، لكن الأستاذ صالح أهمل ذكر هذه المراحل ولم يتحدث إلا عن فترة الحكم الثنائي بصورة موجزة جداً.
2. أفرد الباحث فصلاً كاملاً للحديث عن مفاهيم الوطن ، ولكن الأستاذ صالح لم يتطرق لهذه الناحية إطلاقاً.
3. تحدث الباحث بإسهاب وتحليل وتفصيل عن القضايا الوطنية عند المجذوب ولكن الأستاذ صالح اختصرها اختصاراً كبيراً.

خلاصة القول تميزت دراسة الباحث عن كل الدراسات السابقةٍ التي مرَّ ذكرها بالسمات الآتية:-

1. استفادة الباحث من مراجع حديثة مثل كتاب (المجذوب والذكريات) للأستاذ علي أبو سن ، وهذا الكتاب وضح الكثير من الجوانب السياسية ، والأدبية والاجتماعية ، التي كانت خافية على من سبقوني من الباحثين.
2. استفادة الباحث من مقابلة الأستاذ عوض الكريم محمد المهدي المجذوب (ابن الشاعر) ، الذي أجاب عن كثير من الأسئلة التي ساهمت في إخراج هذه الدراسة.
3. استفادة الباحث من دواوين الشاعر الثمانية خاصة التي صدرت حديثاً ولم يكن أكثرها متوفراً لمن سبقوني .
4. أضاف الباحث فصلاً جديداً لم يتطرق إليه السابقون ، وهو دراسة مفاهيم الوطن.
5. معالجة الباحث لفصول الدراسة بطريقة مختلفة عن معالجات من سبقوه وذلك بالتفصيل الدقيق والتحليل العميق بالاستفادة من شعره كله.

6. وثق الباحث وترجم لمعظم الأسماء التي وردت في البحث ، وهذا ما أغفلته الدراسات السابقة .

الفصل الأول

مفاهيم الوطن

المبحث الأول

تطور مفهوم الوطن عبر الأزمان

الوطن المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان وأوطان البقر والإبل مرابضهما وأماكنهما التي تأوي إليها، ومواطن مكة موقعها، ووطِن بالمكان وأوطن أقام فيه، وأوطنه اتخذه وطناً يقال وطن فلان أرض كذا اتخذها وطناً وسكناً، والميطان الموضع الذي يوطن لترسل فيه الخيل في السباق وهو الغاية ، والميتاء والميداء آخر الغاية يقال من أين ميطانك أي غايتك والموطن المشهد من مشاهد الحرب، وواطنه على الأمر أضمر فعله معه[1].

لكل إنسان اسم يعرف به ولقب يميزه ووطن ينتسب إليه، فإذا جاز أن يحيا شخص بغير اسم ولقب كان من الجائز أيضاً أن يعيش إنسان بغير أن يكون له وطن، وذلك أن الوطن هو البيئة التي ينتسب الإنسان إليها بعد أسرته ومسقط رأسه أو البيئة التي نعم بخيراتها ونطق بلغتها وخضع لنظمها واستنار بثقافتها واشترك في المشاعر مع أهلها وأخذ منها وأعطى، وشعر بأن لها عليه حقوقاً ينهض بها وله عندها حقوق يتقاضاها ومن هنا كان الوطن محبوباً بل كان عظيم الحب حتى يكاد حب الوطن أن يكون من الفطرة التي فطر الله الناس عليها[2].

إذا رجعنا إلى الأزمان الغابرة نجد أن مفهوم الوطن بدائياً لم يتبلور بعد ، وقلما نجد تأريخاً أو مخطوطاً متحدثاً عن حدود الوطن ، بل كانت عصابات جاهلية قبلية، وكان الجاهليون يذودون عن القبيلة ، فكان الاقتتال والحروب يحمي وطيسها ولكن في حدود مفهوم القبيلة فقط ليس من أجل وطن واحد لأنهم لم يعرفوا الحدود الجغرافية بعد[3].

يقول شوقي ضيف: (تتحد القبائل العربية في نظمها السياسية ، وهي نظم قبلية تقوم على أساس القبلية وإشراك أبنائها في أصل واحد ، وموطن واحد وهو موطن متنقل مع المرعي وكان الرباط الذي يوثق الصلة بين أفراد القبيلة هو العصبية ، وهي عصبية

---

(1) لسان العرب، ابن متطور، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى 1993م، ص 745.
(2) القومية العربية في الشعر الحديث، محمد الحوضي، القاهرة، د.ن، ص 105.
(3) العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحيي، دار المعرفة، الطبعة 1993، ص 27.

قبلية ليس فيها شعور واضح بالجنس العربي العام ، وحقاً تكونت عندهم إمارات بالشمال ولكنها ظلت تقوم على أساس العصبية القبلية)[1].

فالقبيلة مجموعة من الأسر تسكن منطقة محددة، والعربي لم يستخدم جنسيته ليكون على أساسها وحدة شاملة تتناول عشائره، وإنما كان يعيش في أفق ضيق هو القبيلة التي انطوي عليها وفني فيها، فحصرت أفقه ورسمت عصبيته، وكانت له كالدولة للرجل المتمدن، وصارت الوطنية العربية وطنية قبلية جنسية[2].

يقول عبد العزيز سالم متحدثاً عن النظام الاجتماعي والسياسي للقبائل العربية في العصر الجاهلي: (تكونت القبائل حينذاك من ثلاث طبقات: الطبقة الأولى الصرحاء وهم المنسوبون إلى مؤسس القبيلة وهم المدافعون عنها، ويمتازون بكافة حقوق المواطنة، الطبقة الثانية الموالي تتكون من أفراد لا ينحدرون من مؤسس القبيلة لكنهم أتوا إليها من قبائل وشعوب مجاورة بقصد التجارة ويتمتعون بحماية القبيلة لهم، الطبقة الثالثة الرقيق وهؤلاء لا يعتبرون أعضاء في القبيلة بل يعملون في بيوت زعمائها)[3].

ثم جاء الإسلام ونادى في قوة بهدم الفوارق العصبية للقبائل ، والفوارق الجنسية للشعوب ، حتى يسود الوئام بين أفراد الأمة الإسلامية ، وصار مفهوم الوطن في عصر صدر الإسلام بهذا الشكل ، وانتقل بالعرب من ضيق القبلية إلى رحاب الإسلام شعاره كلكم لآدم وآدم من تراب.

كان العصر الإسلامي الأول ذا أشكال ثلاثة: الأول يمثِّل الأمة العربية تأتلف وتكون شعباً واحداً ، وذلك كان عمل الرسول (صلي الله عليه وسلم) وأبي بكر الصديق(رضي الله عنه)، والثاني يمثل الدولة الإسلامية تبسط سلطانها الخارجي وهذا عمل عمر(رضي الله عنه)، وعثمان(رضى الله عنه)، والثالث يمثل الصراع في سبيل الحكومة أو العرش الإسلامي بين علي(رضي الله عنه)، ومعاوية(رضي الله عنه) وينتهي باستقرار الحكم في بيت الأمويين[4].

ثم جاء العصر الأموي امتداداً للعصر الإسلامي الأول ، ولم يتغير مفهوم الوطن من حيث المضمون الإسلامي ، إذ إن أرض الإسلام وطن لكل المسلمين ولكنه

---

(1) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص 56.
(2) تأريخ الشعر السياسي، د. أحمد الشايب،مكتبة النهضة المصرية،الطبعة السادسة، 1983م، ص31.
(3) تأريخ العرب في عصور الجاهلية، عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، 1988م، ص314.
(4) تأريخ الشعر السياسي، د. أحمد الشايب، ص34.

تغير من حيث الرقعة الجغرافية ، وفيه انتقلت الخلافة من المدينة إلى الشام وتوسعت الدولة الإسلامية حتى وصلت أوربا.

ظهرت في العصر الأموي لأول مرة الأحزاب السياسية وأهمها الشيعة، والخوارج ، والزبيريون ، إضافة للحزب الأموي . وتنافرت هذه الأحزاب فيما بينها طمعاً في العرش الإسلامي إلى أن اندحرت دولة بن أمية بواسطة ضربات العباسيين.

ثم جاء العصر العباسي ولم يختلف عن سابقيه ، فهو امتداد لعصور الإسلام الأولى لذلك ظل المفهوم الإسلامي للوطن سائداً ولم يتغير.

لكن ظهرت نزعة الشعوبية ، ودخلت المجتمع المسلم ، وظهرت بوادرها منذ العصر الأموي، واحتمي كل شعب بوطنه وتأريخه وأمته مثل أمة الفرس التي حملت لواء الشعوبية استناداً على مجدهم العريق ودخلت أمم أخرى في الصراع الشعوبي مثل الهند[1].

وحدث التحول الأكبر في العصر العثماني ، إذ استطاع الأتراك العثمانيون أن يبسطوا سلطتهم على كل الدول العربية ، وكان عهدهم امتداداً لعصور الإسلام وبلغت الدولة الإسلامية في عهدهم أقصي اتساع لها .

ولأنهم جسم غريب على العرب ، فقد أدي ذلك إلى ظهور النزعة الوطنية لدي البلدان العربية ، بل تعداها إلى النزعة القومية للعرب ، وذلك بعد دخول الأتراك الحرب العالمية بجانب دول المحور ، وتكتل الدول العربية ودخولها الحرب بجانب بريطانيا وأحلافها .

يرى الباحث أن تكتل العرب وظهور النزعة القومية لم يأت نتيجة فكر معين، أو أهداف محددة بل بتوجيه من بريطانيا ووعد صادق منها بقيام الدولة العربية الكبرى على أنقاض الحكم التركي ، وقد كانت هذه الخدعة الأولى من بريطانيا للعرب .

تطور مفهوم الوطن وأخذ أبعاداً أخرى ، يقول أبو بكر صدقي*: (يثير مفهوم الوطنية في المشرق العربي خاصة مشكلات كثيرة إلى يومنا الراهن ، ويطرح تحديات جديدة على الوعي العربي ، فقد انضافت إلى الالتباس الأصلي بين الهويتين الوطنية

---

[1] العصر العباسي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ص 76.

*أبو بكر صدقي ولد في إنطاكيا سنة 1924، تخرج في جامعة دمشق عام 1952، عمل ودرس في دمشق، رأس مجلس تحرير جريدة الموقف العربي، من مؤلفاته العرب وتجربة المساء.

والقومية والموروث من (سايكس بيكو) مشكلات تتعلق بمفعول التأريخ وتقلباته، وبات الركون إلى مفاهيم وسياسات ومصالح تعود إلى القرن الماضي ضرباً من معاندة التأريخ، وخروجاً منه وعليه ، ومن ينظر اليوم إلى أحوال العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وكل الدول العربية يدرك أن النقاش في المسألة الوطنية ومفهومها ليست عرفاً فكرياً بل رغبة في فهم المأزق الذي تعيشه هذه البلدان)[1].

ويواصل صدقي متحدثاً عن مفهوم الوطنية: (كان مفهوم الوطنية في مرحلة النضال من أجل الاستقلال عن المستعمر الأوربي بسيطاً ومريحاً : ثمة أجنبي يجب طرده من الوطن فمن كان مع هذا الهدف ويعمل لتحقيقه كان وطنياً)[2].

وانبثق التيار القومي في مناخ تفكك الإمبراطورية العثمانية وسقوطها في أوائل القرن العشرين بصورة متزامنة مع صعود الحركات القومية الأخرى.

يرى الباحث أنَّ فترة الاستعمار شهدت نضج مفهوم الوطن تماماً ، وظهرت المفاهيم الأخرى المنبثقة عنه مثل مفاهيم المواطنة ، والتربية الوطنية ، لوجود الاستعمار الذي قوى الروابط الوطنية لدى الشعوب العربية ، وزاد من الوعي الوطني لدى الأفراد، ويمكن الحديث عن مفهوم قديم وآخر حديث للوطنية فالقديم يقوم على التحرر السياسي (نضال ضد الاحتلال)، وحديث يقوم على التحرر الاقتصادي.

وفي عصرنا هذا تعددت مفاهيم الوطن وأصبح الحديث عن مفهوم الوطن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وغيرها من المفاهيم .

يقول الأستاذ سعد الدين إبراهيم* متحدثاً عن مفهوم الوطنية: (لا شك أن مفهوم الوطن قد تعرض للاختلال ، ومفهوم الوطنية تاه بين الولاءات فأصبح المحبطون يسمون الوطن (حفرة) ، وحلم الهجرة يراود الجميع خاصة الشباب والبعض يبحث عن بديل ربما أحس أن وطنه وطن الغرباء وليس وطنه حين لا تملك بيتاً لا تملك وطناً حقيقياً ، فالوطن كلمة مطاطة جداً في معناها الصحيح حيث يختلف الوطن من طبقة إلى أخرى يختلف مفهومه ، وتختلف طريقة التعبير عنه)[3].

---

(1) php ،www. Odaba sham – net/ show

(2) المرجع السابق

*الأستاذ سعد الدين ابراهيم، شاعر وصحفي اجتماعي سوداني، يعمل بصحيفة الرأي العام.

(3) صحيفة الرأي العام – سعد الدين إبراهيم – العدد 3835 – 2008/5/22م – ص 5

يوافق الباحث الأستاذ سعد الدين فيما ذكره بخصوص اختلاف مفهوم الوطن عند الطبقات وتوهانه بين الولاءات ، ويرى الباحث أن الكاتب تحدث عن مفهوم الوطن من ناحية الأرض والمكان ، نافياً للمهاجرين عنه صفة الوطنية ، فالمهاجر قد ينفعل إذا اضطرته ظروف قاهرة لمفارقة وطنه ، لكنه يرجع إلى رشده مرة أخرى ويعتز بوطنه.

تعرف الموسوعة العربية العالمية الوطنية بأنها: (تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض ، والناس ، والتقاليد والعادات ، والفخر بالتأريخ ، والتفاني في خدمة الوطن)[1].

أما المواطنة فتعرفها الموسوعة العربية بأنها: (اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى الأمة أو الوطن)[2]. لا بد من توضيح الفرق بين مفهوم المواطنة ومفهوم الوطنية، ويرى الباحث أن المواطنة تعنى الانتساب إلى الوطن ، بينما تعنى الوطنية الشعور بعظم هذا الانتماء .

يعرف الدكتور زهير شكر* الدولة بقوله: (الدولة هي كل تنظيم للجماعة السياسية القديمة والحديثة ، المتأخرة والمتمدنة ، أي أن كل مجتمع سياسي أياً كانت صورته يسمي دولة ، وعلى ذلك فإن الدولة توجد في داخل جماعة معينة للتفرقة بين الحكام والمحكومين، أو هي عبارة عن سلطة فعالة محمية ومنظمة تهدف إلى حماية أمتها من الأخطار وضمان سلامة مواطنيها)[3].

وهناك تعريف آخر للدولة يناهض تعريف الدكتور زهير شكر في أن اسم الدولة لا يطلق على كل جماعة سياسية فالمجموعات البدائية لا يتحقق لها اسم دولة.

يقول د. ثروت بدوي*: (الرأي السائد اليوم يقول: إنَّ الدولة لا توجد إلا حيث تكون الجماعة السياسية قد وصلت إلى درجة من التنظيم يجعل لها وجوداً مستقلاً عن أشخاص الحكام الذين يمارسون السلطة فيها)[4].

---

(1) جريدة الخبر الأسبوعي، أنور هزام، العدد 75، 2007م.

(2) المرجع السابق.

* د. زهير شكر – عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية سابقاً – أستاذ القانون الدستوري ، والآن مدير كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأموال .

(3) الوسيط في القانون الدستوري، د. زهير شكر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط 3، 1994، ص 19.

(4) النظم السياسية، د. ثروت بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1999م، ص 23.

* د. ثروت بدوي ، أستاذ القانون العام – كلية الحقوق – جامعة القاهرة ، المحامي لدى المحكمة العليا

تطرق الفلاسفة الاجتماعيون إلى الحديث عن طبيعة الدولة وصلاحيتها واهتموا بدراسة نظرية السلطة في أشكال الدولة المختلفة ومنهم ابن خلدون الذي ذكر هذا في كتابه (المقدمة)[1].

هاهي العصور والحقب والآماد تمر والأوطان هي الأوطان بقوتها حافظ عليها الأجداد والآباء وقدموا الأرواح من أجلها فهي دين ومسئولية في الأعناق ، وقد يتطرف الناس في حب الوطن يقول الأمين[2]:-

إنـــي لأعبـــد ربـــاً واحـــداً صـــمداً ولـــيس يغضـــبه أن أعبـــد الوطنـــا
كـــل لـــه وطـــن والله قـــدره لـــكي يكـــون لـــه دون الـــورى سكـــنا
ســيروا بنــي وطنــي ركبــاً لــه هــدف إنــي سأشــهد هــذا الركــب مفتتنــا

والوطن تلك الرقعة الكامنة في حنايا القلوب ، وتلك القطعة الغالية من التراب التي شهدت الميلاد ، والصبا والكهولة والشيخوخة ، وقد اختارها الأجداد منذ القدم لتكون موقع سكنهم ، وموئل ذكراهم ، وأديم خطواتهم ، ومعترك نوازلهم. يخوضون سهولها وجبالها ، ويبلون في حمايتها ورعايتها ورفع شأنها ، يلزمون تضاريسها ويذودون عن حدودها ، ويحصدون من خيراتها فيعيشون ويسعدون فيها، وهي في عيون أهلها جنة الدنيا ، فيها رغد حياتهم ، وأمن أنفسهم وموطن تأريخهم يعمرونها ويقيمون عليه تأريخهم.

وارتباط الإنسان بوطنه وبلده مسالة متأصلة في النفوس فهو مسقط الرأس، ومستقر الحياة ، ومكان العبادة ، ومحل المال والعرض ومكان الشرف ، على أرضه يحيا ويعبد ربه ومن خيراته يعيش ومن مائه يرتوي ، كرامته من كرامته وعزته من عزته به يعرف وعنه يدافع[3].

والوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع ، ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها ولا يخرج الإنسان من وطنه إلا إذا اضطرته أمور للخروج كما حصل للرسول (ρ) عندما أخرجه الذين كفروا من مكة قال تعالى: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ[4].

---

[1] المقدمة، ابن خلدون، ص369.
[2] رجال خالدون (ديوان شعر)، إبراهيم عمر الأمين، ص 102.
[3] جريدة الجندي المسلم، العدد 123 ،الكاتب د. بدر ناصر البدر ، التأريخ 1/ 4/2004م.
[4] سورة التوبة: الآية (40)

يقول محمد العلي*: (مفهومنا للوطن هو الذي يحدد موقعنا منه وسلوكنا العملي والوجداني ، والفرق بين المفردة اللغوية القاموسية وبين المفردة التي تتحول إلى مفهوم فرق كبير ففي المفهوم متطورة ، أي أن المعاني التي تحملها تتراكم حسب التطور لا تتغير إلا عن طريق المجاز ، أما المفردة التأريخية فهي الكلمة بمعناها المغلق الضيق الذي يرتبط بالمكان فقط)[1].

وتتعدد المفاهيم ولكنها تعود في النهاية إلى أصل واحد مثل مفهوم الوطنية ومفهوم التربية والمواطنة.

قبل ذلك لا بد من إدراج مفهوم آخر لا يقل عن المفهومين وهو مفهوم التربية الوطنية ، الذي يشير إلى ذلك الجانب من التربية الذي يشعر الفرد بصفة المواطنة ويحققها فيه والتأكيد عليها إلى أن تتحول إلى صفة الوطنية.

ومعنى ذلك أن صفة الوطنية أكثر عمقاً من صفة المواطنة ، أو أنها أعلى درجات المواطنة ، فالفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى الوطن أو دولة معينة ولكن لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح هذا الوطن والدولة.

* الأستاذ محمد إبراهيم العلي، ولد في سوريا، سنة 1934، تلقى تعليمه بسوريا وتخرج في الكلية العسكرية ضابطاً، أصبح قائداً للجيش الشعبي، منح عدة أوسمة، له عدد من المؤلفات مثل الطغيان.

[1] المجلة الثقافية، محمد العلي، العدد 62، الاثنين 2004/6/7م.

المبحث الثاني

مفهوم الوطن في الإسلام

الإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطاتها على كل ما سبقها من شرائع سماوية ، وهو يقوم على ركني العقيدة والعمل ، وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقوم الإسلام على قيم روحية وعقلية وأخلاقية واجتماعية وإنسانية. فهو ليس عقيدة سماوية وفروضاً دينية فحسب ، بل هو سلوك خلقي قويم يدعو إلى طهارة النفس ، ونبذ كل الفواحش والرذائل ، ومراقبة الإنسان لربه في كل ما يأتي من قول أو فعل[1].

كان العرب في الجاهلية قبائل متنابذة متحاربة ، لا يعرفون فكرة الأمة إنما يعرفون فكرة القبيلة ، وما يربط بين أبنائها من نسب وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصيباً شديداً فإذا جني أحدهم جناية أشركته في تحمل مسئوليتها ، وإذا قتل لها أحد أبنائها هبت للأخذ بثأره هبة واحدة ، فلما جاء الإسلام أخذ يضعف من شان القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة يقول جلّ ذكره : چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[2] ، ويقول : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[3] . وهي أمة يعلو فيها السلطان الإلهي على السلطان القبلي ، وعلى كل شي ومن ثم أصبحت الرابطة الدينية لا الرابطة القبلية هي التي توحد بين الناس ، وكان أول ما وصفه الإسلام لإحكام هذه الرابطة أن نقل حق الآخذ بالثار من القبيلة إلى سلطان الدولة ، وبذلك لم يعد الثأر كما كان الشأن في الجاهلية يجدد ثأراً في سلسلة لا تنتهي من الحروب القبلية ، يقول جل شأنه : چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ[4].

بعض المفكرين أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني ، والإمام محمد عبده، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي يفهمون الوطنية على أساس ديني ، ودفع هذا الشعور الإمام محمد عبده إلى أن يقول: (إن المحافظة على الدولة العثمانية ثالث العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله فإنها وحدها المحافظة على سلطان الدين)[5].

---

(1) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، ص 12.
(2) سورة الأنبياء، آية رقم (92).
(3) سورة آل عمران، آية رقم (110).
(4) سورة الحجرات، آية رقم (3).
(5) الاتجاه القومي في الشعر الحديث، عمر الدقاق، دار الشرق حلب 1963م، ص 36 .

يرى الباحث أن الإسلام وسَّع مفهوم الوطن بهذه الآيات والأحكام ، فأرض الإسلام كلها وطن للمسلمين من أقصاه إلى أدناه ، ليس لعربي فيها على عجمي فضل إلا بالتقوى ، فأمة الإسلام مثالية يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر يسودهم البر ، والتعاطف حتى لكأنهم أسرة واحدة، زالت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية وأيضاً فوارق السيادة الجاهلية .

يقول د. محمد البهي*: (وكيان المجتمع الإسلامي لأنه يقوم على رسالة الإسلام ، هو كيان مبادئ وليس كيان أشخاص ، في وقت معين وفي جيل خاص ولذلك أرضه ليس فيها فواصل مما نحس ونشاهد ، فهي لا تعرف الأجناس والقبائل ، ولا تعرف فرقة اللون واختلاف اللغة ولا تتخذ من بعضها أو منها كلها حواجز تفصل بين فريق وآخر)[1].

يرى الباحث أن معظم المفكرين في تعريفهم للوطن الإسلامي اتفقوا على شمولية هذا الوطن ، وعدم تقيده بالحدود الجغرافية ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي في رده على التيارات الحديثة التي حددت مفهوم الوطن الإسلامي بالرقعة السياسية المعروفة وقسمت العالم الإسلامي إلى دويلات[2]: (لقد كان وطن المسلم من قبل يعني دار الإسلام على اتساعها ، فكل أرض تجري فيها أحكام الإسلام وتقام شعائره ويعلو سلطانه ، هي وطن المسلم يغار عليه ويدافع عنه ، كما يدافع عن مسقط رأسه وكان العالم ينقسم عند المسلم على هذا الأساس العقدي فهو إما دار إسلام أو دار كفر وكان قوم المسلم هم المسلمون المتحابون المتآخون . چ ۇ ۈ ۇ ۆ چ[3] وكان أعداء المسلم هم أعداء الإسلام ولو كانوا ألصق الناس به وأقربهم إليه چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [4] . انتهي قول الدكتور يوسف القرضاوي في حديثه عن المجتمع الإسلامي .

---

* د. محمد البهي ولد في القاهرة وتعلم بها ودرس بباريس وكان مدرساً بمدرسة الحقوق، وزير الأوقاف المصري الأسبق، من مؤلفاته ابن عربي في التفكير الإسلامي.

[1] الإسلام في حياة المسلم، دكتور محمد البهي، دار الفكر، ب.د، ص 337.

[2] الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الثالثة، 1977م، القاهرة الحديثة للطباعة، ص 59.

[3] الحجرات، آية 10.

[4] سورة المجادلة، آية (22).

يصحب مفهوم الوطن في الإسلام مفهوم الدولة يقول الأستاذ لؤي صافي*:(استخدم فقهاء الدولة الإسلامية مصطلح الأمة والخلافة ، ولم يستخدم الدولة لأن الدولة لم يظهر مفهومها ومصطلحها إلى بعد انقسام الأمة الإسلامية نتيجة الخلافات، ولكن مصطلح دولة لم يأخذ مفهومه السياسي المحدد إلا بعد مرور قرون عديدة على قيام المجتمع الإسلامي ، وقد استخدم علماء المسلمين مصطلح الأمصار ومصطلح دار الإسلام إشارة إلى الأقاليم التابعة للسلطة الإسلامية ، واستخدموا مصطلحات الخلافة والإمامة والولاية للدلالة على الهيئات المركزية للأمة)[1].

يعرف أبو الأعلى المودودي الدولة الإسلامية بقوله: (الدولة الإسلامية هي الدولة التي تتعلق الحاكمية فيها بالله عز وجل) [2] ويعرف الحاكمية بقوله: (الحاكمية بكل معني من معانيها لله وحده تعالى ، فإنه هو الحاكم الحقيقي في واقع الأمر)[3].

ويقول د. زكريا بشير إمام*: (في النظام الإسلامي لا نقول السيادة للأمة، فالسيادة لله ، لأن السيادة فرع للحاكمية ، ولكن نقول أن الأمة في مجموعها هي خليفة الله في أرضه ، وإرادة الأمة واختيارها إذا جاء موافقاً للكتاب والسنة ، فإن هذه الإرادة وهذا الاختيار يجسد حكم الله في الأرض وحاكميته بين الناس)[4].

يقول د. وهبة الزحيلي*: (دار الإسلام هي البلاد التي تسود فيها أحكام الإسلام وشعائره ، ويأمن فيها المسلمون بمنفعة وقوة لهم ، ويجب على المسلمين الدفاع عنها واسترداد ما اغتصب من أجزائها ، على سبيل الفرضية الكفائية إن تحققت الحاجة وإن لم تتحقق كان الجهاد فرض عين على كل مسلم ، الأقرب فالأقرب حتى يعم الجهاد كل المسلمين ، وعلى هذا تعتبر فلسطين ونحوها من البلاد التي كانت مستعمرة جزءاً في الأصل من دار الإسلام يجب طرد الدخيل منها إذا توحدت القوة الإسلامية)[5].

---

* دكتور لؤي صافي، ولد بسوريا سنة 1955 أستاذ العلوم السياسية بالجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا، نشرت له العديد من الأبحاث والدراسات مثل تحدي الحداثة وإعمال العقل.

(1) العقيدة والسياسة، لؤي صافي، ط 2، 1998م ، ص 119.

(2) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور – أبو الأعلى المودودي – الدار السعودية جدة، 1985م ، ص 211.

(3) المرجع السابق

* دكتور زكريا بشير إمام، ولد بربر سنة 1940 عمل مدير جامعة جوبا عام 1997 له عدد من البحوث والدراسات وعمل بالجامعات السودانية .

(4) مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم ، زكريا بشير إمام، دار هذابر، ط 1 ، 1999م ، ص 75.

* دكتور. وهبة الزحيلي، ولد عام 1932م، فقيه سوري، عضو المجامع الفقهية بمكة وجدة بصفة خبير، رئيس قسم الفقه الإسلامي بسوريا، من مؤلفاته الفقه .

(5) العلاقات الدولية في الإسلام – الدكتور وهبه الزحيلي، ط1 ، 1981م ، ص 104.

يقول د. أحمد محمد جاد عبد الرازق متحدثاً عن مجيء مفهوم القومية إلى العالم العربى *: (لقد جاء مفهوم القومية الإقليمية التي ترتكز على حب الوطن بمفهومه المحلي الضيق والولاء له من خلال اتصال المثقفين العرب بالثقافة الغربية)[1].

يرى الباحث معلقاً على رأي د. عبد الرازق أن الدول الغربية الاستعمارية ليس من مصلحتها اتحاد الدول الإسلامية في بوتقة واحدة ، فالإسلام يدعو إلى عدم تقسيم الدول الإسلامية بل إلى جعلها أمة واحدة لأن ذلك يهدد مصلحتها ، ومما يدلل على قول الباحث الكلام الذي قاله كرومر: (القومية تستلزم تهييج الأحقاد الدينية والجنسية، وأرفض أي إصلاح يتم في إطار إسلامي)[2]. فكرومر يريد بحديثه هذا تأكيد اتجاه الوطنية الإقليمية القائمة على إطار علماني .

يرى الباحث أن هنالك اختلافاً بين القومية ومفهوم الوطن في الإسلام حتى لو اتفقا في اتحاد عدد من الدول ، لأن مفهوم الوطن في الإسلام لابد أن يرتبط بالدين أما القومية فتعتمد على المنفعة الدنيوية لا الدين ، والإسلام كذلك لا يعترف بالجنس، فالناس عنده سواء ،بينما القومية تقوم على الجنس ، يقول د. أحمد عبد الرازق: (القومية تلك التي ترتكز على مفهوم الجنس أو المساكنة في الوطن القومي والشعور بالانتماء إليه لا إلى الدين ، ذلك لأن قاعدة الأعمال السياسية ترتكز في نظر أحمد لطفي السيد* على مفهوم المنفعة لا الدين)[3].

يقول محمد عمارة*[4]: (إن المجتمع الإسلامي مجتمع بغير وطن ، وذلك لأن البشر في عرف الإسلام أمة واحدة ، كلهم لآدم وآدم من تراب لذلك أزال الإسلام كل الحواجز والسدود التي تفرق بين الناس ، وتضعهم في قوالب قومية أو عنصرية أو إقليمية ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ[5].

---

* عالم مصري من كبار الداعين للقومية العربية له عدد من البحوث من مجال الفكر.

(1) فلسفة المشروع الحضاري، د. أحمد محمد جاد عبد الرازق، ج 2، ط1، 1995م، ص 660.

(2) المرجع السابق، ص 661.

* من كبار الداعين للقومية العربية.

(3) المرجع السابق، ص 662.

* د. محمد عمارة مصطفي، ولد بمصر سنة 1931 مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق تخرج في كلية دار العلوم وحصل على الدكتوراة في العلوم الإسلامية

(4) معالم المنهج الإسلامي، محمد عمارة، دار الرشاد ،الطبعة الثانية، 1996م، ص 172.

(5) سورة العنكبوت، الآية رقم (56).

يرى الباحث أنه لا يفهم من هذا القول أن الإسلام ضد فكرة الوطن، وإنما هو ضد أن يقوم الوطن على أسس مفرقة للناس كالعنصرية والجنس، لذلك فإن الإسلام يقدم بديلاً آخراً لفكرة الوطن، ويقوم هذا البديل على أسس التآخي والتعاون والمحبة وطاعة الله، ومن هنا صار مفهوم الوطن في الإسلام بجانب المفهوم المتعارف عليه مضافاً إليه انتماء الشعور بالفكرة والدعوة الإسلامية، بدلاً من أن يكون رقعة من الأرض، ومن هنا كانت قناعة المنتمين للمجتمع الإسلامي بأنهم على الرغم من تباعدهم المكاني أبناء وطن واحد أخوة في الله ومتعاونون على البر والتقوى.

يقول د. بدر بن ناصر البدر [1]: (الوطنية في الإسلام محبة الفرد لوطنه وبلده وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام ، وتقوية الرابط بين أبناء الوطن الواحد، وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصلحتهم ، ومصالحهم التي يراها الإسلام فريضة لازمة قال تعالى: چ ۈ ۇ ۆ چ[2].

والوطنية التي يرفضها الإسلام هي وطنية الحزبية التي يراد بها تقسيم الأمة إلى طوائف متناحرة ، فلا تنصر مظلوماً ولا تغيث ملهوفاً ولا تعين مكروباً ، وأساس وطنية الإسلام هي العقيدة الإسلامية ، والإسلام قد جعل شعور الوطن بالعقيدة لا بالعصبية الجنسية ، وقد حدد هدفه العمل للخير من أجل البشر فالاعتبار للعقيدة أولاً بينما هي عند غيرهم ترتبط بالحدود الجغرافية[3].

يواصل د. البدر قائلاً[4]: (إذا كان حب الوطن مركوزاً في النفوس متأصلاً فيها ، فإن الإسلام بشريعته الغراء جاء ضابطاً لذلك ، محدداً مساره كي يسير في الطريق الصحيح الوسط المعتدل ، مبيناً أن ذلك لا يتعارض مع أحكامه وتعاليمه قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[5]. ويقول الرسول صلي الله عليه عليه وسلم لمكة: ((ما أطيبك من بلد وما أحبك ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك))[6].

---

(1) جريدة الجندي المسلم، د. بدر ناصر البدر، ص 2.
(2) سورة الحجرات، الآية رقم (10).
(3) جريدة الجندي المسلم، د. بدر ناصر البدر العدد 123، ص 2.
(4) جريدة الجندي السالم ، د. بدر ناصر البدر ، العدد 113 ، ص 2
(5) سورة إبراهيم : الآية 35
(6) حديث شريف – رواه الترمذي – رقم 3083 – صححه الألباني في صحيح الترمزي – الجزء الثالث 250

يقول الرسول (ρ) عندما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة في الحديث الذي رواه أبو هريرة: (اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلى فاسكني أحب البلاد إليك)[1].

يقول الأستاذ المحامي محمد السيسي*[2]: (إن من لوازم المواطنة في التربية الإسلامية الانتماء للوطن، والانتماء هو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص والارتقاء بوطنه والدفاع عنه. ويتضمن مفهوم المواطنة في الإسلام حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين منها: حفظ الدين، وحفظ الحقوق الخاصة، وتوفير الحياة الكريمة، العدل والمساواة والحرية الشخصية، وهذا يمثِّل حرية التملك وحرية العمل وحرية الاعتماد وحرية الرأي، ومن الحقوق كذلك حرمة خيانة الوطن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسمع والطاعة لولي الأمر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

أما الشيخ حامد العلي فله تصنيف آخر لمفهوم الوطن في الإسلام إذ يقول: (الإسلام يجعل الأرض تابعة للعقيدة ولهذا يقسم الإسلام الأرض إلى دار إسلام ودار كفر ، فالأرض التي تعلوها أحكام الله تعالى هي وطن لكل مسلم).

يتطرق حامد العلى كذلك لمحبة الوطن إذ يقول: (وإلفُ الإنسان للأرض التي يعيش عليها أمر فطري ومباح ، كما يحب أهله وقومه ، ولا تثريب عليه أن يتمسك بمحبة وطنه ، ما لم يخالف الشريعة الإسلامية ، غير أن كل محبوب للإنسان يجب أن يكون بعد حب الله ورسوله)[4].

تطرف الشيخ العلى في مفهومه للوطن في الإسلام بقوله مستنكراً الحدود السياسية: (جميع الحدود السياسية التي تفرق الأمة حدود جاهلية ، وسبب في ضعف المسلمين وتسلط الكافرين ، ويجب على الأمة السعي لأزالتها ، وإلى نظم الأمة في خلافه واحدة تحكمها)[5].

الدولة الإسلامية تختلف عن الدولة العلمانية في أنها تجتمع مع المفهوم المعروف لحكومة القانون السماوي ، فمن المعروف أن الشريعة هي الأساس الذي يقام

---

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – على بن حسام الدين الهندي – مؤسسة الرسالة بيروت – 1989م – ج 12 – ص 465

* الأستاذ محمد السيسي، محام مصري، الأمين العام لنقابة محامي 9 أكتوبر، مقرر لجنة الحريات وحقوق الإنسان، له العديد من الأبحاث والدراسات السياسية والشرعية.

(2) www.Lef، Maktooddlog.Com

(3) www. Iet.maktooddlog . com

(4) www. Iet.maktooddlog . com

(5) www. Iet.maktooddlog . com

عليه نظام الحكم ، لكن الدولة في الإسلام تختلف عن هذا المفهوم بأن الشريعة الإسلامية شريعة مرنة ، ولم تنزل بتفسير جزئيات الحكم والإدارة تفسير جامداً وإنما المجال لا يزال متسعاً لتفسير النصوص ، والتجديد والإضافة عن طريق استخدام العقل البشري)[1].

يقول د. أحمد أبو سن* ذاكراً اختلاف تعريف الوطن الديمقراطي عن الوطن الإسلامي: (المراد بكلمة شعب أو أمة في الديمقراطية الحديثة أنه الشعب المحصور في حدود جغرافية والذي لا يرتبط إفراده برباط الدم ، والجنس واللغة والعادات المشتركة والدين ، وبهذا المعنى فهي تقترن بفكرة القومية أو العنصرية أما في الإسلام فالرباط فيه رباط العقيدة ، وكل من اعتنق الإسلام من أي جنس أو لون أو وطن فهو عضو في دولة الإسلام)[2].

الشريعة الإسلامية جاءت لتأمين مصالح الإنسان ، وتحقيق سعادته ، وتوفير أسباب وجوده ، وفي ذات الوقت تحفظ هذه المصالح وترعاها وتصونها وتمنع الاعتداء عليها ولا يمكن لهذه المصالح أن تتوفر إلا في ظل نظام إسلامي على أرض وطن إسلامي ليتفاعل دور الانتماء إليه .

قرأ الباحث مقالاً بعنوان (حكم الإسلام في القومية والوطنية) للدكتور سيف الخلافة مذيلاً بمنتديات ماجدة، وفيه تطرف عنيف على مفهوم الوطن في الإسلام وهو مفهوم يلغي تماماً فكرة الوطن بحدود السياسية ويجزم أن فكرة الوطنية ما هي إلا من بدع الاستعمار، يقول المقال[3]: (ولكن العجيب في الأمر أنْ تجد أناساً ينسبون فكرة الوطنية إلى الإسلام فيقولون إن الإسلام حض على الوطنية وعزز الشعور الوطني لدى المسلمين مستدلين بحديث الرسول صلي الله عليه وسلم حين خرج من مكة : (أنت أحب بلاد الله إلى ولولا إن قومي أخرجوني منك ما خرجت)[4].

ويستدلون كذلك على أن الإسلام أمر بالدفاع عن الوطن، واعتبر ذلك جهاداً في سبيل الله، أما الحديث الذي استدلوا به فلا شأن له بالوطنية من قريب أو بعيد، فالرسول

---

[1] النظريات السياسية الإسلامية – د. محمد ضياء الدين – دار المعارف – مصر – ط 4 – ص 320

* د. أحمد أبو سن ، نال ماجستير الإدارة العامة ، جامعة نيويورك 1962م ، وماجستير الإدارة العامة جامعة كليفورنيا 1975م ، ودكتوراة فلسفة الإدارة العامة ، جامعة كليفورنيا 1977م .

[2] الإدارة في الإسلام – د. أحمد إبراهيم أبو سن – جامعة القرآن الكريم ، ط 6 – 1999م ، ص 23

[3] www. Odaba sham. Net/ show، php

[4] حديث شريف رواه الترمذي 3083 – وصححه الألباني .

عليه أفضل الصلاة والسلام لم يكن يحب مكة لأنها وطنه، وإنما كان يحبها لأنها البلد الحرام الذي يحتضن الكعبة الشريفة، وأما قوله إن الإسلام أمر بالدفاع عن الوطن واعتبر ذلك جهاداً في سبيل الله ففيه كثير من التلبيس والتضليل، ذلك إن الإسلام لم يأمر بالدفاع عن الوطن بل أمر بالدفاع عن سائر البلدان الإسلامية بغض النظر عن كونها وطناً لمهاجر أو غيره، وعلى هذا الأساس فإن تحرير فلسطين لا يناط فقط بأهلها وإنما واجب على كل مسلم، ويلاحظ أنَّ الرسول الكريم (ρ) لم يتمسك بتراب وطنه الذي أخرج منه وكان في استطاعته العودة له بعد الفتح لكنه رجع إلى المدينة بعد الفتح وأقام بها بقية حياته ولم يوجب المسلمين بدفن جثمانه الطاهر بمكة وطنه، ولم يصدر عن الرسول صلي الله عليه وسلم أي إشارة وطنية أو حنين للديار بل كان الأمر كله إعلاء لكلمة الإسلام)[1].

ويرى الباحث أن كاتب هذا المقال قد ألغى تماماً فكرة الوطن الجغرافي في الإسلام ويبدو أنه حانق على التيارات الحديثة مثل العلمانية والقومية وقد أعماه غضبه على هذه التيارات عن فكرة الوطن، فالإسلام توسع في مفهوم الوطن بأن جعل أرض الإسلام كلها وطناً ، ولكنه لم ينف الوطن الخاص لكل جنس ، بل ذكرت أوطان في القرآن الكريم مثل مصر ، وإذا كان الكاتب اعتمد على تقسيم الاستعمار بقوله :(إن لبنان أسسه غورو سنه 1920م)[2]، فإنَّ هنالك دولاً وأقطاراً قديمة مثل مصر وأرض الحجاز ، أما قوله أن الرسول (ρ) لم يرجع إلى مكة ويقضي بقية عمره فيها أو يجعلها عاصمة له فهذا لا يعني أنه لا يحبها بل لاعتبارات دينية يعلمها هو والله أعلم.

---

(1) سيف الخلافة www.vd .Arab sexes .com t 252 . Hlwl

(2) .www.vd .Arab sexes .com t 252 . Hlwl

المبحث الثالث

مفهوم الوطن (السودان)

في ختام هذا الفصل الذي بدأه الباحث بالحديث عن تطور مفهوم الوطن ، وأعقبه بالحديث عن مفهوم الوطن في الإسلام ، يتحدث الباحث عن مفهوم الوطن (السودان) متناولاً حدوده الجغرافية ، المكانية وموقعه في إفريقيا متتبعاً تطوره حتى استقامة حدوده في الحكم الثنائي ، معطياً شذرات عنه من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية ، بينما يتحدث عن النواحي الأدبية في فصل أخر من فصول هذا البحث.

يعلل الباحث لكتابة هذا الفصل بالآتي:-

أولاً : مر السودان بتطورات وتقلبات في ترسيم حدوده السياسية نتيجة لمؤثرات داخلية وخارجية وكذلك تقلبات في أنظمة حكمه واختلاف هذه النظم في كيفية معالجة المشاكل التي اعترضت مسيرته فلابد للباحث أن يعطي ملمحاً عن هذه التقلبات .

ثانياً : موقع السودان في قلب أفريقيا جعله محط أنظار العالم وتسابقت عليه الدول الاستعمارية ، فلابد للباحث إذن من الحديث عن مفهوم الوطن السوداني وتتبع الحقب الاستعمارية لأن لها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

ثالثاً : مر السودان بظروف اقتصادية بالغة التعقيد في جميع الحقب الوطنية والاستعمارية نتيجة لسوء إدارة هذه الحقب في السودان ، وجابه ظروفاً صعبةً أدت إلى حدوث مجاعات واضطرابات ، وبما أن الاقتصاد هو سنام الدولة فلابد أن يتحدث الباحث عنه لتأثيره المباشر في الشعر الوطني.

رابعاً : يتحدث الباحث عن مفهوم الوطن السوداني ليكون أرضية ثابتة يبني عليها عنوان الرسالة ، لأنه كيف نتحدث عن الشعر الوطني السوداني من غير أن نتحدث عن الوطن السوداني .

كان يطلق على سودان اليوم قبل خضوعه للاستعمار التركي المصري اسم بلاد السودان . وهذا اصطلاح جغرافي عرقي ابتدعه الرحالة المسلمون عند ملامستهم لهذه المنطقة التي تسكنها قبائل سوداء البشرة فسموها بلاد السودان ، وكان السودان فى ذلك

الوقت يتألف من عدة ممالك ومشيخات هي مملكة الفونج ، ومملكة كردفان ، ومملكة الفور، وقبائل البجة والقبائل الزنجية[1].

يرى بعض المؤرخين أن عام 1821م هو بداية تأريخ السودان الحديث ، وقد شهدت بلاد السودان في بداية القرن التاسع عشر بعض التحولات الخارجية والداخلية التي كيفت مسار تطوره ، ومن التحولات التي حدثت كذلك انتقال السودان بعد عام 1821م من مجموعة نظم سياسية ذات علاقة محدودة بالعالم الخارجي إلى كينونة سياسية موحدة ، باتت تخطو نحو الارتباط بالسوق العالمية بعلائق تجارية وسياسية وثقافية متفاوتة الدرجات[2].

في العهدين السناري والتركي لم يكتمل السودان بحدوده المعروفة الآن ، ولكن شهدت فترة بداية الحكم الثنائي ترسيم حدود السودان الحديث أو سودان اليوم، تقول الدكتورة فدوى عبد الرحمن* : (بدأ تحديد كل الحدود السياسية للسودان في مارس 1899م حيث وضعت الحدود النهائية بين مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي، وفي عامي 1899 – 1902 تحددت الحدود النهائية بين السودان وأرتريا ، وفي عامي 1902 – 1903م عقدت اتفاقيتان عدلتا مفهوم حدود 9 بالنسبة لخط العرض 22 شمال بإدخال منطقة حلايب ضمن الحدود الإدارية للسودان ، وفي عام 1906م وضعت الحدود بين السودان والكنغو الحرة فعاد (أخدود اللادو) إلى السودان في العام 1910م وتم الاتفاق على الحدود مع يوغندا في عام 1916م)[3].

يعتبر السودان من أوائل الدول التي نالت استقلالها الوطني ، وكان من المنتظر أن يكون في مقدمتها من حيث التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، فالسودان يتمتع بموارد اقتصادية هائلة تتمثل في أراضيه الشاسعة عالية الخصوبة تؤهله لإنتاج نوعيات مختلفة من المحاصيل الزراعية ذات العائدات المالية العالية.

يقول محمد سعيد القدال متحدثاً عن بعض التحولات الخارجية والداخلية التي كيفت مساره في القرن التاسع عشر: (تعرضت المنطقة لغزو أجنبي نتج عنه بروز

---

[1] تأريخ السودان الحديث – محمد سعيد القدال – الطبعة الثانية – 2002م – الناشر مركز عبد الكريم ميرغني – ص 20

[2] المرجع السابق – ص 22

* د. فدوى عبد الرحمن علي طه ، مواليد 1955م ، تخرجت في جامعة الخرطوم وحصلت على الدكتوراة ، عملت بقسم التأريخ جامعة الخرطوم ، شاركت في العديد من المؤتمرات داخل وخارج السودان . لها عدد من المقالات والأبحاث في تأريخ السودان .

[3] السودان في عهد الحكم الثنائي، د. فدوي عبد الرحمن على طه، دار الزهراء الخرطوم ، ص 8

الكينونة السياسية الموحدة للسودان ، ورغم أن ذلك التوحد فرضته سياسة الحكم الأجنبي إلا أن إرهاصات الوحدة الداخلية التي أطلت بشائرها من القرن الثامن عشر قد وجدت في هذه الخطوة ما ينسجم مع وقع خطاها ، أيضاً انتقل السودان بعد عام 1821م من مجموعة نظم سياسية ذات علاقة محدودة بالعالم الخارجي أي كينونة سياسية موحدة بدأت تخطو نحو الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية بعلاقات سياسية وتجارية وثقافية ، ولم يكن العامل الخارجي هو الوحيد في تكوين السودان الحديث فالنظم السياسية المختلفة كانت تعصف بها تحولات عميقة في قاع بنائها الاقتصادي والاجتماعي ، وجاء العامل الخارجي ليجهض التحول الداخلي ، وينحرف به عن مسار تطوره الذي تحكمه قدرات السودان الذاتية ، إلى تحول مفروض بقوة من الخارج دفعت به ليخدم متطلبات السوق العالمية[1].

قسم الدكتور إبراهيم علي الجعلي* تأريخ السودان إلى خمس مراحل هي :-
المرحلة الأولى وتبدأ من عهد مملكة الفونج إلى عام 1821م والمرحلة الثانية العهد التركي المصري (1821- 1885م) والمرحلة الثالثة مرحلة المهدية (1885 – 1889م) والمرحلة الرابعة مرحلة الحكم الإنجليزي المصري (1889 – 1956م) والمرحلة الخامسة بدأت مع فجر الاستقلال عام 1956م وتستمر حتى الآن[2].

في استعراضٍ سريعٍ لهذه المراحل نقول :-

جاءت دولة الفونج على أنقاض الدولة المسيحية ، وقد أسسها عمارة دنقس وعبد الله جماع وكان النظام القبلي هو السائد فيها ، وانتهجت المنهج الإسلامي وعظم أمرها ولكنها سقطت على يد محمد علي باشا عام 1821م .

أدخل الأتراك تطوراً عاماً بعد مجيئهم للحكم ولأول مرة تشهد البلاد حكومة موحدة، وتعتبر فترتهم بداية التأريخ الحديث للسودان، وعلى الرغم من محاسن الأتراك إلا أنَّ المساوئ التي جاءوا بها كانت فوق الاحتمال، لذلك عندما ظهر الإمام المهدي وجد تأييدا مطلقاً من الناس، فلم يجد صعوبة في القضاء عليها عام 1885م حيث اندلعت الثورة المهدية في أغسطس 1881م بانتصارها في معركة الجزيرة أبا، ودخل المهدي

---

[1] تأريخ السودان – محمد سعيد القدال – ص 127.

* دكتور إبراهيم الجعلي، سوداني الجنسية، تخرج في كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم سنة 1965م، حصل على الدكتوراه من فرنسا سنة 1979م.

[2] الجيل الرائد – د. إبراهيم على الجعلى – د.ن – ص 10

الخرطوم منتصراً بعد أربعة أعوام 1885م ولم تدم دوله المهدية طويلاً نتيجة لسياسة الخليفة عبد الله التعايشي التي كرَّهت الناس في المهدية وقامت الثورات الداخلية ضده ، وكانت الطامة الكبرى سياسته الخارجية التي ألبت عليه العالم الخارجي فعجلت بسقوط المهدية عام 1889م .

واستمر الإنجليز يحكمون السودان منذ العام 1889م وحتى العام 1956م وشهدت هذه الفترة تبلور الوعي الوطني .

سيستعرض الباحث بالتفصيل هذه الحقب التأريخية متحدثاً عن جوانبها التأريخية والأدبية موضحاً مميزات الشعر الوطني في كل حقبة ، وسيركز الباحث على الحركة الوطنية السودانية (1924 – 1956م) وحتى فترة بعد الاستقلال بعشرين عاماً لأنها تمثل الحدود الزمانية للبحث .

يقول دكتور قاسم عثمان النور* مؤرخاً للحركة الوطنية: (كانت الحركة الوطنية السودانية الحديثة ، تلك الحركة التي نشأت وترعرعت بعد ثورة 1924م وقد قادها الخريجون ، وبدأت في أول أمرها حركة إصلاحية متواضعة ، ثم ما لبثت أن أخذت أبعادا أخرى جديدة وقد أدت الجمعيات الأدبية دوراً مهماً في رعاية هذه الحركة)[1].

كذلك أرخ الدكتور محمد سعيد القدال للحركة الوطنية وقسمها إلى خمس مراحل هي[2] :-

المرحلة الأولى: (1889 – 1918م) :-

شهدت هذه الفترة بداية الوعي الوطني وظهرت في شكل حركات المعارضة الدينية مثل حركة الشكابة التي قام بها الخليفة شريف وابنا المهدي الفاضل والبشرى ، وظهرت كذلك في شكل المقاومة القبلية مثل مقاومة النوير .

المرحلة الثانية: (1918 – 1924م) :-

* ولد بالكوة سنة 1938 ، عمل في مجلات المكتبات ، أستاذ علم المكتبات والمعلومات ، له العديد من المؤلفات في مجال المكتبات

[1] أضواء على الحركة الوطنية – قاسم محمد نور – وزارة الثقافة الخرطوم – 2004م – ص 3

[2] تأريخ السودان الحديث – محمد سعيد القدال – ص 7

وتمثل البدايات الأولى للحركة الوطنية الحديثة حيث ظهرت جمعيتا الاتحاد السوداني واللواء الأبيض وشهدت أول ثورة منظمة بقيادة علي عبد اللطيف .

المرحلة الثالثة: (1925 – 1937م) :-

نتيجة للوحشية التي اتبعها الإنجليز في قمع ثورة علي عبد اللطيف انكفأ الناس على أنفسهم ، وظهرت الجمعيات الأدبية وحركة الإبداع ، ومن ثم حدث إضراب الطلبة عام 1931م وظهرت مجلة الفجر لصاحبها عرفات محمد عبد الله .

المرحلة الرابعة: (1938 – 1945م) :-

بلغ الوعي الوطني مداه بظهور مؤتمر الخريجين العام الذي مر بثلاث مراحل:-

الأولى 1938 – 1941م

الثانية 1942 – 1943م

الثالثة 1943 – 1945م

المرحلة الخامسة: (1945 – 1953م) :-

شهدت هذه الفترة ظهور الأحزاب السياسية مثل الحزب الاتحادي وحزب الأمة والحزب الجمهوري الذي انضم إليه شاعرنا محمد المهدي المجذوب ، وحركات العمال والزراع إلى أن أعلن الحكم الذاتي عام 1953م ، ثم تطور الأمر إلى إعلان الاستقلال 1956م .

يرى الباحث أن دكتور محمد سعيد القدال في تأريخه للحركة الوطنية أكثر شمولاً من دكتور قاسم محمد نور ، لأن دكتور قاسم أغفل الفترة التي سبقت الاستعمار مباشرة حتى عام 1924م وهي مرحلة كاملة ضمنها القدال .

في ختام هذا المبحث يتناول الباحث جانباً مهماً من جوانب تأريخ السودان له ارتباط وثيق بموضوع الرسالة ، وهو استعراض التطور التأريخي لنظام الحكم في السودان بعد الاستقلال ، فقد مر السودان بتجارب متعددة من أنظمة بعضها ديمقراطي وبعضها عسكري أثرت فيه وشكلت ملامحه .

السودان مكون من قبائل وطرق صوفية ، وأحزاب سياسية ، ومجموعات مهنية ، ومن أقاليم وولايات ، ونشأت الدولة السودانية الحديثة خلال التطور التأريخي والثقافي والاجتماعي الذي كون خلايا الوطن المترامي الأطراف ، وهي خلايا خالية من الأمراض

التقليدية مثل العصبية القبلية والطائفية والجهوية ، قائمة على التجانس الاجتماعي والثقافي والمصالح المشتركة بينها[1].

من ناحية التطور التأريخي لنظام الحكم في السودان يلاحظ الباحث أن السودان منذ الاستقلال وحتى الآن تعرض لثلاث تجارب ديمقراطية مدنية ، وثلاث تجارب عسكرية . من خلال استعراض الباحث لهذه التجارب نستطيع القول إنها تميزت بمحاسن وإخفاقات عجلت برحيلها .

بدأ نظام الحكم ديمقراطياً في السودان في الفترة 1953م – 1958م ، ومن أهم إنجازات هذه الفترة تحقيق الاستقلال ، والشروع فى وضع الدستور الدائم للبلاد ، ولكنها لم تعمر إذ انقضَت عليها ثورة نوفمبر العسكرية 1958م إلى 1964م ، ومن أهم محاسنها تسليم السلطة للشعب ، وإقامة المشاريع التنموية ، وما لبثت ثورة نوفمبر أن سقطت بثورة شعبية مكنت للديمقراطية الثانية 1965 – 1969م . ثم جاءت ثورة مايو العسكرية 1969م ، التي أحدثت حراكاً في المجتمع السوداني ، وأضافت بعضاً من المنشآت العظيمة مثل المصانع ، والكباري وبعد عمر مديد حلت بعدها انتفاضة رجب 1985م ، ولكنها لم تصمد أمام طموحات العسكريين فهبت ثورة الإنقاذ في العام 1989م واستمرت حتى الآن ومن أهم انجازاتها اتفاقية نيفاشا للسلام واستخراج البترول .

يرى الباحث معلقاً على تطور نظام الحكم في السودان :-

1- معظم المنشآت الكبيرة والإنجازات المهمة حدثت في العهود العسكرية نسبة لسرعة اتخاذ القرار وسرعة تنفيذه .
2- أطول الفترات التي حكمت السودان كانت عسكرية ، ويعود ذلك لقوة تأمينها.
3- لم تنجز الفترات الديمقراطية المدنية مثل إنجازات الفترات العسكرية لقلة مدة حكمها ، والبطء في اتخاذ القرار ، لأنه يمر بكثير من المجالس التنفيذية التي تؤخر إصداره لاختلاف وجهات النظر حوله .

[1] حول قضايا الوفاق والسلام في السودان، د . عوض السيد الكرسلي – مطبعة جامعة الخرطوم ، ط 1 – 200م – ص 67

الفصل الثاني

مراحل الشعر الوطني السوداني

المبحث الأول

الشعر الوطني في العهد التركي المصري

مقدمة :-

تطور الشعر السوداني عبر مراحل متعددة تميزت كل مرحلة بخصائص تختلف عن الأخريات. يقول إحسان عباس*: (إنَّ في نشأة الشعر السوداني ما يفسر كثيراً من الخصائص الموجبة والسالبة التي حملها ذلك الشعر في تطوره عبر الزمن)[1].

يقول الأستاذ عبد الهادي صديق: (ومنذ تحرير أول ديوان شعر سوداني (شعراء السودان) لصاحبه سعد ميخائيل* الذي صدر في العشرينيات من هذا القرن لم تكف أقلام الأدباء عن تناول هذا الكتاب كظاهرة على صفحات جريدة الحضارة . حتى أصبحت هذه المقالات تحتاج نفسها إلى نقد النقاد ، وهذا يعني أن حركة النقد فتحت باب النقاش حول الشعر السوداني)[2].

تطرق حمزة الملك طمبل* للشعر السوداني باحثاً وموثقاً ، وكتب مقالاته وضمنها كتابة القيم (الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه) الذي صدر في العشر سنوات الثالثة من القرن الماضي ، وكان مدخل الناقد في ذلك الدعوة التي يقول فيها: (قيمة الأمة أو شخصيتها أظهر ما تكون في آدابها قبل كل شيء آخر ، وكلما ارتفعت آداب الأمة سمت مكانتها ، ومن هنا يمكن أن تشعروا معي بأن إبراز صورة صحيحة للأدب السوداني أمر لازم)[3].

اهتم حمزة الملك طمبل بالتوثيق للأدب السوداني ، وحاول أن يستخلص عنصراً يشير به في كتاباته إلى مقصده فسماه اصطلاحاً بالمثل العالي للأدب يقول: (عندما

---

* إحسان عباس، ناقد ومحقق وأديب فلسطيني، ولد سنة 1930م، وتوفي سنة 2003م، له عدة مؤلفات في الأدب وفي السيرة.

(1) مجلة الدراسات السودانية، إحسان عباس، الشعر السوداني نظره تقييميه 1971م ص 5 .

* سعد ميخائيل ، أديب لبناني ، عمل بالسودان من أوائل النقاد الباحثين في الأدب السوداني ، له كتاب شعراء السودان .

(2) أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، دار جامعة الخرطوم للنشر 1989م ص 12 .

* حمزة الملك طمبل، ولد في سنة 1893م، توفي سنة 1960م، شاعر وناقد وأديب اشتهر بمقالاته عن الأدب السوداني، له كتاب بعنوان الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه.

(3) الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، حمزة الملك طمبل، مصر 1958م ص 9 .

شعرت بميل نفسي إلى بحث موضوع الأدب السوداني ، وضعت نصب عيني غرضاً أسمى هو المثل العالي الأدب)[1].

وفي العشر سنوات الرابعة ظهرت مجلة الفجر من كتابها الشاعر الناقد محمد أحمد المحجوب* الذي تحدث عن المثل الأعلى في الأدب قائلاً: (غير أني سأحاول جهد المقل دراسة ماضي هذه الأمة وحاضرها ، ثم أحاول بعد ذلك توجيه الحركة الفكرية في بلادنا صوب ما أراه المثل الأعلى)[2] .

ويفسر قصده بالمثل الأعلى بقوله: (فشعر الملاحم والأوبرا ، وشعر الوطنية من تخليد للبطولة ، وتصوير للجمال ، كل ذلك في انتظار المخلصين المتفانين من أصحاب المثل العليا)[3].

يقول فضيلي جماع:* (من الأفضل أن تحدد نقطة البداية الجادة للشعر السوداني بالثلاثينات من القرن العشرين ، لأنها كانت بداية وعي قومي بجيل من المتعلمين تخرج في كلية غردون بعد أن درس اللغتين العربية والإنجليزية ووعاهما بصورة جيدة ، فانفتحت له نافذة كانت مغلقة على الجيل القديم فتبلور بذلك الحس القومي والسياسي والوطني رغماً عن الرقابة والبطش الذين أصبحا جزءاً من سياسة المستعمر بعد اندحار ثورة علي عبد اللطيف)[4].

لخَّص د. عبد المجيد عابدين* تطور الشعر العربي في السودان في أربعة اتجاهات هي[5] :-

أ- اتجاه الشعر الدارج ، ويبدأ بدخول العرب ومعهم لهجتهم الدارجية.

ب-اتجاه الشعر الديني الصوفي الفصيح ، وبدأ مع العصر الفونجي تقريباً.

ج- اتجاه الشعر التقليدي الفصيح ، و بدأ مع العصر التركي تقريباً.

---

(1) الأدب السوداني وما ينبغي أن يكون عليه ، حمزة الملك طمبل ، ص 47 .

* محمد أحمد المحجوب، شاعر وسياسي سوداني، ولد سنة 1908م، عمل بعدة وزارات مثل وزارة الخارجية، ألف مع دكتور عبد الحليم محمد كتاب موت دنيا، توفي سنة 1976م.

(2) الحركة الفكرية في السودان، محمد أحمد المحجوب، 1941م ص40 .

(3) المرجع السابق، ص 43.

* فضيلي جماع، شاعر سوداني معاصر ، ولد في المجلد وكاتب في الصحف اليومية له مجموعة شعرية بعنوان: شارع في حي القبة ، وديوان الغناء في زمن الخوف صاحب كتاب قراءة في الأدب السوداني .

(4) قراءة في الأدب السوداني الحديث – فضيلي جماع – الطبعة الأولى – 1991 – ص7

* د. عبد المجيد عابدين، أستاذ مصري، التحق بهيئة التدريس بكلية الخرطوم الجامعية سنة 1945م، له نشاط ثقافي واجتماعي، أسهم في تحرير عدد من المجلات والدوريات، وساهم في وضع مقررات كلية الآداب جامعة الخرطوم.

(5) تأريخ الثقافة العربية في السودان ، د. عبد المجيد عابدين ، دار الثقافة ، 1953م ، ص 173 .

د- اتجاه الشعر التجديدي وبدأ مع انتشار الثقافة الجديدة مطلع القرن العشرين.

يرى الباحث أن هذا هو الاعتقاد الذي سلكه معظم النقاد الذين وثقوا للشعر السوداني مثل عبده بدوي في كتابه الشعر الحديث في السودان ومحمد المهدي المجذوب في مقدمة ديوان ألحان وأشجان .

من الذين تحدثوا عن تطور الشعر العربي في السودان د. الشوش الذي يقول شهد الشعر العربي في السودان تطورات مهمة يمكن تلخصيها في أربع فترات :-

1- تقع تقريباً ما بين 1860م وحتى الحرب العالمية الأولى – وهي فترة الشعر الديني الصوفي ، وكان الشعراء من العلماء الذين ربطوا تعليمهم بمصر وعملوا بالقضاء والتدريس.

2- الشعر التقليدي: يبدأ بعد الحرب العالمية الأولى ويؤرخ له بظهور أوائل الخريجين ويسع النماذج التقليدية للقصيدة العربية متأثراً بشعر التقليد في مصر والعالم العربي ووقفوا ضد فساد الحضارة العربية وأهم الشعراء العباسي والبنا.

3- فترة بعد مدرسة الفجر : لم يتأثروا بأي مدرسة وكان شعرهم يفسر عن ذاتهم ونري فيه خصائص البيئة السودانية وقد نفروا من التقليد وأهم الشعراء ، محمد المهدي المجذوب وجماع.

4- بعد الحرب العالمية الثانية : ارتبط السودان بالتيارات والمذاهب الفكرية ، وهي فترة لم تتضح معالمها ، لأن العالم يمر بفترة من الحيرة والقلق وانعكست في هذه الفترة جميع التيارات وأهمها التيار الواقعي – وشعراؤه مثل محمد المكي ومحمد عبد الحي ومصطفي سند[1].

سرعان ما أخذ الأدب السوداني مكانه وسط آداب البلدان العربية الأخرى، وظهرت المؤلفات النقدية بعد حمزة الملك طمبل ، واهتمت به واعترفت به وظهر أدباء شكلوا وجدان الأمة السودانية ، وتأثروا بها وأثروا فيها وتطرقوا لمعظم الأغراض الشعرية ، وتوزعوا بين المدارس الشعرية ، المختلفة فكان التقليديون والتجريديون والحداثيون والرومانسيون والاشتراكيون ، ولكن رغم كثرة تعدد المراجع الفنية إلا أن الصوت التقليدي ظل قوياً ومجلجلاً .

---

[1] الشعر الحديث في السودان – محمد إبراهيم الشوش – جامعة الخرطوم – قسم النشر – الطبعة 1971م – ص23

رغم كثرة ما تطرق له الشعر السوداني من أغراض وموضوعات ، إلا أن الشعر الوطني السوداني هو العقد النفيس في جيد الشعر السوداني ، لاسيما في فترة الحركة الوطنية ، فقد كان سلاحاً مشهراً جنباً إلى جنب مع سلاح البندقية ، منافحاً وموقداً جذوة الحماسة في النفوس ، وأقلق المستعمر الذي سعى جاداً لإسكات صوت الشعر ، لما له من تأثير في النفوس فشرد الأدباء وسجنوا ونفوا ، ولكن كل هذا لم ينل من عزائمهم إلى أن رحل المستعمر يجرجر أذيال الخيبة .

في هذا الفصل المكون من ثلاثة مباحث يتحدث الباحث عن مراحل الأدب السوداني الوطني في ثلاث فترات التركية والمهدية والحكم الثنائي ، مستصحباً بإيجاز غير مخل الملامح التأريخية لهذه الفترات ، ومتحدثاً عن شعرائها وشعرهم الوطني وسماته وملامحه ، ويطرح سؤالاً نهاية كل مبحث عن الشعر الوطني في هذه الفترات عن خصائصه وإمكانية وجوده .

تمخضت حياة الأمة السودانية عن كثير من النضال والجهاد والكفاح على مر العصور ، وعبر الأجيال ، في وجه الدخيل المستعمر ، واتخذ النضال جوانب عديدة من الألوان لتعدد الأسلحة التي يستعملها السوداني في ميادين المعركة المختلفة ، فكان الجندي حامل السلاح ، والقانوني صاحب الرأي ، والسياسي الذي لا يكل .

لا بد للشعر السوداني أن يأخذ موقعه من معارك التحرير فسار جنباً إلى جنب مع الأسلحة المختلفة ، يوثق للأبطال ، ويشحذ الهمم ،والشعر السوداني عايش اللحظات لحظة بلحظة ، ووثق للتأريخ البطولي السوداني منذ القدم ، ولا يزال يوثق لأنه مرتبط بالحياة ارتباطاً لا فكاك منه ، يحدوها ويثير فيها الكوامن لتؤدي دورها بثقة. وضع السودان الجغرافي جعله عرضة لكل طامع فامتدت إليه الأفكار الدخيلة وصالت حوله خيول غريبة همها سلب خيراته.

يرى الباحث أن النضال كان يدفعه الاعتقاد الديني في أغلب الأحيان ، ثم تبدل واتخذ طابعاً وطنياً بحتاً في أحايين أخرى .

اختصر الباحث الجوانب التأريخية واعتبرها وسيلة لغاية كبري هي دراسة الأدب الوطني واستخلص الاتجاهات الوطنية في الأدب السوداني في هذه الفترات .

تمهيد :-

عرف العرب السودان منذ عهود قديمة جداً و عبروا إليه بطرق مختلفة من البحر الأحمر ، ومضيق باب المندب ،وكذلك من مصر عن طريق النيل ، وصحراء العتمور. ارتبط غرب السودان بشمال أفريقيا ، فقدم المهاجرون إليه من ليبيا وتونس والمغرب[1].

نتيجة لثمرات تجمع العرب الذين اختطوا مدينة أربجي مركزاً لهم ، وثبوا على (سوبا) عاصمة الدولة النصرانية ، وعلى(قري) فقضوا على العهد المسيحي واستشرف السودان الحكم الإسلامي الأول[2].

اختلف المؤرخون حول أصل الفونج مؤسسي هذا الحكم الإسلامي الأول، فبعضهم نسبهم إلى بني أمية ، والبعض الآخر نسبهم إلى الشلك ، وتقول رواية ثالثة إنهم هاجروا من الحبشة ثم استقروا في السودان ، وكونوا مملكة سنار المعروفة باسم السلطنة الزرقاء[3].

يقول ود ضيف الله*: (اتخذ الفونج سنار عاصمة لهم وكان حكمهم استبدادياً. وتتكون دولتهم من تحالف القبائل العربية ، ولم يعرفوا الحكومة المنظمة وكان تحالف هذه القبائل وثيقاً ، ولكن لم يمنع هذا نشوب الحروبات بينهم فقامت حرب بين العبدلاب والفونج، وفي مستهل القرن الثامن عشر انفصل الشايقية من الحلف)[4].

أهم سمة تميز بها ملوك الفونج الحروبات سواءاً كانت داخلية مع سلطنة دارفور أو خارجية مع الأحباش ، يقول الدكتور أحمد العدوي: (ولم تكن سنار على وفاق مع سلطنة دارفور ومملكة تقلي بل دخلت الممالك الثلاث في نزاع شديد يحركه التنافس للاستيلاء على أرض السودان كلها. ولم يحقق الصدام مطامح الفونج في امتلاك إقليم كردفان وتحطمت قوي الفريقين من جرائه)[5].

---

[1] السودان عبر القرون، مكي شبيكة – دار النشر 1974م ص6

[2] تأريخ وجغرافية السودان نعوم شقير، طبعة المعارف مصر 1930م ، دار الثقافة بيروت 1967م ص 39 .

[3] يقظة السودان، د. إبراهيم ألعدوي، طبعة مصر (دون) ص 11 .

* الشيخ محمد نور ود ضيف الله، ولد سنة 1727م، تلقى العلم على يد والده ونبغ في الفقه، تولى القضاء في مشيخة العبدلاب، صاحب كتاب الطبقات، توفي سنة 1810م.

[4] كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء، الشيخ محمد ضيف الله بن محمد الفضلي الجعلي، المطبعة المحمودية، القاهرة (بدون)، ص 114 .

[5] يقظة السودان، إبراهيم ألعدوي، ص 11 .

يقول البروفسير محمد عمر بشير*: (ولكن مهما يكن من أمر فإن دولة الفونج لم تكن القوة السياسية الوحيدة في السودان ، وذلك أنه إلى جانبها كانت هنالك مملكة سلطنة دارفور ، وتقلي في الغرب ، وإمارة كاشف شمال دنقلا)[1].

اصطدمت دولة الفونج بالحبشة ودارت بينهما معركة كبيرة انتهت بهزيمة الأحباش، وانتصار دولة الفونج وأخيرا تدهورت سلطنة سنار نتيجة للحروب التي خاضتها ، وسقطت في يد إسماعيل باشا سنة 1821م[2].

اختصر الباحث الجانب التأريخي وأخذ منه الملامح التأريخية الرئيسية لدولة سنار لتعينه على معالجة الجانب الأدبي الوطني وهو موضوع الدراسة .

اهتمت مملكة سنار بنشر الدين الإسلامي ، وشجع حكام سنار هذا الجانب، وأكرموا العلماء ، واحترموا الطرق الصوفية ومكنوا لها . يقول محمد محمد علي* متحدثاً عن اهتمام ملوك سنار بالعلم والعلماء: (أما تحصيل العلوم العربية والإسلامية فقد أبلوا فيه بلاءً حسناً ، وسعي إليهم العلماء المتصوفة لأول مرة من الحجاز ومصر والمغرب ، وعرفوا علم المنطق والكلام ، وأصول الفقه ، والنحو والعروض ، والقران والسيرة)[3].

يرى الباحث أن اهتمام الفونج بالقرآن والعلوم الإسلامية كان له أثر فعال في توجيه الشعر والأدب ، فنلحظ تأثر الشعر في أغراضه وألفاظه ومعانية بالدين الإسلامي والمعاني الصوفية ، لأن الشعراء كانوا إما مشايخ طرق صوفية أو تلاميذ لهم، وكان الشعر وسيلة لنقل القيم الصوفية .

تدور أغراض الشعر في فترة مملكة سنار حول عنصري المدح والرثاء . ويقول عبده بدوي :(فطبقات ود ضيف الله مليئة بأنماط كثيرة من هذا الشعر الذي يدور أساسا حول عنصري المدح والرثاء وبعض التهويمات الصوفية)[4].

يقول محمد محمد على: (في طبقات ود ضيف الله شعر ديني في رثاء الأشياخ ومدحهم ، وفيه شيئ من شطحاتهم)[1].

---

* أ.د. محمد عمر بشير، أستاذ بجامعة الخرطوم

[1] تأريخ الحركة الوطنية في السودان 1900، 1969م بروفيسور محمد عمر بشير راجعه د. نور الدين ساتي الدار السودانية للكتب، 1980م ص 15 .

[2] السودان عبر القرون، مكي شبيكة ص 74 .

* محمد محمد علي، ولد بحلفاية الملوك سنة 1922م، تخرج في معهد أمدرمان العلمي سنة 1945م، له ديوان شعر بعنوان ظلال شاردة، من أوائل الذين كتبوا عن الشعر السوداني.

[3] الشعر في المعارك السياسية، محمد محمد على ص 31 .

[4] الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي ، المجلس الوطني للثقافة الكويت ص 25 .

وكانت أغراض الشعر عندهم تتوزع بين الهجاء والمدح والرثاء . وحصر معجم أدباء السودان الشعراء في هذه الفترة ، وذكر عددهم فكانوا ثلاثة وعشرين شاعراً، ويرى الباحث أن معجم أدباء السودان لم يلتزم ترتيباً معيناً في التصنيف ولم يراع الترتيب الزماني للشعراء ، ولا ترتيبهم حسب الجودة فبدأ بإبراهيم بقادي ، وختم بموسى يعقوب ، وخلت ترجمة عدد منهم من ذكر تأريخ الميلاد والوفاة[2].

من هذه اللمحة المختصرة عن الشعر في عهد الفونج برز السؤال الرئيسي وهو محور هذا البحث هل يمكن القول إن هنالك شعراً وطنياً في هذه الفترة ؟ للإجابة عن هذا السؤال يستصحب الباحث نقاطاً تعينه على ذلك وهي:-

1-دخل العرب السودان من قبل تسعة قرون بقبائلهم وحافظوا على النسيج القبلي ، لذا كانت روحهم روح القبيلة ، وعلى الرغم من تكوين دولتهم إلا أنهم كانوا حديثي عهد بنظام الدولة ، فلم يتبلور المفهوم العام للوطن وحتى حربهم مع الأحباش كانت دينية وليست وطنية بدليل ابتهاج المسلمين والخليفة العثماني بها .

2-لم يعرف السودان حدود الوطن بشكله اليوم في عهد الفونج ، وكان للسودان ثلاث ممالك تتشاجر فيما بينها ولم تتحد حتى في صد الجيش التركي .

3- التأثير الديني في دولة الفونج كان أقوى ، وحتى ملوك سنار كانوا يقدرون العلماء والصوفية ، وكانت العلوم الدينية واللغوية هي السائدة ولم يكن للشعر المكانة الأولى لذا كان المفهوم الإسلامي للوطن سائداً.

4- غرضا الشعر (المدح والرثاء للشيوخ والحكام) السائدان في تلك الفترة لم يكونا من أجل دفاع الملوك عن الأرض والوطن ، بل من أجل العطاء ، وهذان الغرضان لم يكونا للملوك فقط بل كانا كذلك لمشايخ الطرق الصوفية.

هذه النتائج تشير إلى عدم تبلور مفهوم الوطن بشكله الحالي في شعر الفونج.

من القصائد الوطنية في هذه الفترة القصيدة التي أوردها كاتب الشونة* التي مدح بها الشيخ عمر المغربي السلطان بادي أبو شلوخ بقوله[3]:-

---

[1] الشعر في المعارك السياسية، محمد محمد على ص 31 .

[2] معجم أدباء السودان، مقدمة عن الشعر في عهد الفونج ، ص 6 .

* أحمد بن الحاج أبو علي، ولد بالمسلمية 1785م، عمل موظفاً بديوان الخرطوم في عهد التركية، ألف كتابه عن تأريخ السلطة السنارية عام 1838م، اهتم بذكر العلماء والمشايخ والحروبات.

[3] كاتب الشونة، أحمد بن الحاج، تحقيق الشاطر البصيلي عبد الجليل سلسلة تراثنا ص 35 .

هـو الملـك المنصـور بـادي الـذي لـه مـدائح قـد جلـت عـن العـد والحصـر
سـليل ملـوك الفـونج والسـادة الأولـى عـلا مجـدهم فـوق السـماكين والنسـر
لـك الخيـر إن وافيـت سـنار قـف بهـا وقـوف محـب واغتنـم فرصـة العمـر

وعلق عليها عبد الهادي الصديق بقوله: (لا بد أن هذه القصيدة والتي استكملت كل مستلزمات الشعر العربي النموذجي ، قد دخلت سنار في زمن لم يكن فيه الشعراء ينظمون مثل هذا النظم ، فإذا استعرضنا نماذج من شعر الفونج الذي يعكسه كتاب طبقات ود ضيف الله ، فإننا نجد أشتاتاً من الشعر الذي يحاول بكلمة هجين بين العامية والفصحى أن يعبر عن أغراضه المختلفة)[1].

أهم العوامل المؤثرة في تطور الشعر الوطني في هذه الفترة:-

يرى الباحث أن فترة الحكم التركي المصري تمثل أول مرحلة من مراحل الشعر الوطني السوداني وذلك للأسباب التالية :-

1- تكوين مفهوم الدولة السودانية الحديثة لأن السودان في عهد الأتراك شهد تكوين أول حكومة منظمة بأسس حديثة وخضعت لحاكم واحد ذو فكرة معينة يسنده جيش قوي وموحد .

2- وحدت هذه الفترة السودان لأول مرة ، وخضعت معظم أراضيه للحكم التركي، وأصبح للسودان حدود جغرافية معلومة .

3- اتصال السودان بالعالم الخارجي لأول مرة ، وفي ذلك يقول د. عبده بدوي[2]: (استطاع الفتح التركي أن يحرك إلى حد ما العزلة التي كان يحياها السودان ، فقد فتح السودان للسياح والمكتشفين والمبشرين وشجع على التعليم).

4- شهد هذا العهد تدفق السودانيين على مصر لتلقي العلوم. وفي ذلك يقول محمد المهدي المجذوب: (ففي العصر التركي ازدادت الصلة بمصر ومهما كانت دوافع محمد على باشا فإن السودان كله أصبح تحت مركز مؤسس ، وأصبح للبلدين مركز تجاري وتبادل في كل المجالات وجعل من السودان دولة حديثة بعض الشيء مما جعل تطوره حتمياً فقد صاحب الجيش علماء وأدباء أثروا في الأدب السوداني بعض ما)[3].

---

[1] أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، ص 27 .

[2] الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي، ص 59 .

[3] مقدمة ديوان محمد محمد على – ألحان وأشجان – محمد المهدي المجذوب – الخرطوم مطبعة التمدن – ص5

5- تم تكوين أول جيش نظامي موحد له وحدات وأفرع .
6- ارتبط السودان بمصر لأول مرة عن طريق التلغراف .
7- ظهور الروح الوطنية الصريحة في الشعر في هذه الفترة .
8- ضعف الروح القبلية .

تمكَّن محمد علي باشا من فتح السودان في العام 1821م مدفوعاً بدوافع الحصول على المال والرجال. وكون لهذه المهمة جيشين الأول توجه إلى سنار بقيادة ابنه إسماعيل والثاني تحرك إلى كردفان بقيادة صهره محمد بك الدفتردار[1].

لم يجد محمد علي صعوبة في فتح السودان فسار ابنه إسماعيل باشا من منطقة إلى منطقة وتلقاه المشايخ بالتسليم ولم يجد مقاومة إلا في ديار الشايقية الذين صمموا على النضال ، ولكنهم هزموا لفعالية السلاح الناري ووصل إسماعيل باشا إلى سنار معلناً بداية العهد التركي . وفي الخط الموازي سار الدفتردار غرباً فسقطت كردفان أيضا.

تميَّز العهد التركي بحدثين مهمين هما حرق إسماعيل باشا في شندي وحملات الدفتردار الانتقامية. حكمت التركية السودان في الفترة 1821م – 1885م وسيطرت على أجزاء واسعة من أرض السودان ،تتابع الولاة وكان أشهرهم عثمان بك الذي حول العاصمة من مدني إلى الخرطوم .

دخلت البلاد مرحلة جديدة شهدت تغييراً في أوجه الحياة وخضعت لحاكم عام له أعوان وموظفون وصار الأمن مستتباً وأصبحت القبلية ليس لها أثر كبير في شأن الدولة. وحلت محلها حكومة موحدة واستمر الحال هكذا طوال هذه الفترة بين الناس تحكمهم حكومة واحدة ، وتطبق عليهم قانون واحد ويتنقلون داخل السودان كيفما يشاءون ويقيمون حيث تطيب لهم الإقامة دون قيود[2].

يقول محمد عمر بشير: (ليس من العدل في شيء أن نخلص إلى أن نظام الحكم في التركية في السودان لم يسهم في الجانب الايجابي من جوانب الحياة في السودان ، فمهما كان الإخفاق الذي لحق بذلك النظام إلا أنه حقق قدراً أكبر من الوحدة والنظم إذ إنه عمل على تحسين المواصلات والري ، وأدخل محاصيل جديدة للزراعة،

---

[1] السودان عبر القرون، مكي شبيكة ص 55.
[2] شعراء الوطنية – صلاح المليك ص 18 .

وتوسع في أعمال التجارة بين مصر والسودان والأقطار المجاورة ، وأنشأ المدارس وسمح للسودانيين بالتعليم ، وأرسل بعضهم إلى مصر لتلقي العلم وفتح البلاد للمكتشفين[1].

وثق معظم المؤرخين لمحاسن ومساوئ الأتراك واتفقوا جميعاً على أن عهدهم هو بداية التأريخ الحديث في السودان. ومهما كانت محاسنهم واجتهاداتهم في تحديث السودان إلا إنهم سلبوا الإنسان السوداني كرامته ، واستنزفوا موارده وتكفي حملات الدفتردار الانتقامية والقسوة في جمع الضرائب شاهداً على ما أقول.

أولدت هذه المساوي كرهاً وأحقادا عند أهل السودان الذين لم ينسوا ما فعله الأتراك بهم ومما أثار ضغينة السودانيين استهتار الأتراك بالقيم الدينية والأخلاق السودانية ، ولم يستطيعوا أن يخاطبوا عقل ووجدان أهل السودان ولم يعرفوا الحالة النفسية الدينية عندهم ، لذا لما ظهر المهدي كثر أتباعه واستغل العاطفة الدينية عند أتباعه فاشتعلت ثورته وتضاعفت أعداده وهجم على الخرطوم التي لم تصمد لضربات المهديين فسقطت عام 1885م ، وبذا انطوى عهد الأتراك ودخلت البلاد في عهد وطني أهم سماته التوجه الديني[2].

الحديث عن هذه الفترة يطول ويطول، ولكن الباحث اختصر تفاصيل كثيرة اختصاراَ غير مخل وصولاً للحديث عن الأدب الوطني في هذه الفترة (موضوع الدراسة)، وسيوضح الباحث أهم أغراضه وسماته وسيرى التطور الذي حدث فيه مقارنة بالأدب الوطني في عهد الفونج.

الشعر الوطني في هذه الفترة :-

يقول صلاح الدين المليك: (يمكن القول إن محمد على باشا كان مؤمناً بالفكرتين الأساسيتين التين سادتا العالم أوائل القرن التاسع عشر وهما :-

1- الفكرة القومية السياسية التي ظهرت تحت تأثير التطورات الاجتماعية والغربية .

2- القومية الإسلامية وهذه قديمة تدعوا للخلافة الإسلامية الأولى وسيادة العصر الإسلامي الأول[3].

---

[1] تأريخ الحركة الوطنية – محمد عمر بشير ص 19 .

[2] مختصر تأريخ السودان – مكي شبيكة – مطبعة الحلاوي – مصر (بدون) ص 17 .

[3] شعراء الكيان الوطني في السودان من عهد الفونج إلى 1970 صلاح الدين المليك – رسالة دكتوراه – جامعة الخرطوم –كلية الآداب ص137

يرى الباحث تعليقاً على هذا القول إن الشعر الوطني السوداني في فترة محمد على استمد خصائصه ومكوناته من الفكرة الأولى وهي القومية السياسية فقط ، لأن نظام الحكم الذي اتبعه محمد على باشا في مصر والسودان لم يكن إسلامياً .

يقول محمد محمد على: (صمت الشعر الفصيح فلم يصور شعور الناس الغاضب الحزين يوم خضب الدفتردار الأرض بدماء الأبرياء وأحرق الديار وسام الناس صنوف العذاب ، اللهم إلا قصيدة محمد شريف وهي ليست من الشعر في شيء)[1].

يرى الباحث أن صمت الشعراء يعود لعدة عوامل منها:-

1- إن الفاجعة كانت أقوى من الاحتمال إذ لم يعتادوا هذه المجازر من قبل وتفاجأوا بالسلاح الناري الذي لم يكن مألوفاً لديهم.

2- إن مجتمع القبيلة عندهم لم يدعهم يتفاعلون مع القضايا الوطنية .

3- يرى الباحث أن قصيدة محمد شريف المذكورة كانت نتيجة لفرض الضرائب الباهظة التي لم يكونوا قد اعتادوا عليها ، ولم تكن تحريضاً للشعب للثورة ضد الاحتلال ويقول محمد عمر بشير في ذلك :(وقامت ثورات عدة في أجزاء كبيرة من البلاد احتجاجاً على الضرائب الباهظة والنظم التي تدار بها ، وفرض المصريون تطبيق نظام جديد للضرائب تسبب في تقويض النظام الاقتصادي بأثره)[2].

ويقول محمد شريف*[3]:-

وما أبت السودان حكم حكومة إلا وأتي ضعف المطاليب من مصر

فكالثلث والثلثين للميرى وحده وللشيخ والنظار أضعافه فادر

بضرب شديد ثم كتف مؤلم ومن بعده الإلقاء في الشمس والحر

وأوتاد ذي الأوتاد من بعض فعلهم وأشنع من ذلك كله عمل الهر

سار الشعر الشعبي بخطى وطنية صادقة ورفض كافة أشكال الاستعمار في الوقت الذي ركن فيه الشعر الفصيح إلى الصمت ، وغطى على الفراغ الذي تركه الشعر الفصيح.

---

(1) الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد على – ص87 .

(2) تأريخ الحركة الوطنية في السودان – د. محمد عمر بشير ، ص 17 .

* محمدشريف نور الدائم، ولد بأم مرحي عام 1841م، درس في الأزهر، وكان مهتماً باللغة والأدب، له مؤلفات مثل الأذكار الطيبة وخزائن القواعد النحوية، له ديوان شعر وهو أستاذ المهدي.

(3) جغرافية وتأريخ السودان – نعوم شقير ص 11 .

ولأنَّ الشعر الشعبي ليس موضوع الدراسة فسيكتفي الباحث بنموذج واحد فقط ليدلل على ما قال . يقول أحد الشعراء محبذاً خروج الملك نمر على إسماعيل باشا وحرقه وفراره إلى الحبشة ، معرضاً بالذين أطاعوا وأقاموا على الذل والهوان[1]:-

يا الأرباب بحكي ليك حكاية الطاعوا بانت عليهم العوجة وجناهم ضاعوا
الحي ما استتار والمات رقد بأوجاعوا يأكل فيهم الأتراك متين ما جاعوا

تنوعت أغراض الشعر في العهد التركي ما بين المدح والرثاء ، شأنها شأن أغراض دولة الفونج، يقول د.عز الدين الأمين* معلقاً عن الشعر الحديث في هذه الفترة: (لابد أن نذكر إن الشعر الذي وصلنا في هذا العصر قليل كما كان الحال في العصر الذي سبقه وكانت أغراض الشعر الأساسية مدح ورثاء وحظي الخديوي توفيق بمدح كثير لأنه كان محبوباً وسط العلماء وكان يمدهم بالكتب)[2].

ولأن هذا يعتبر من الشعر السياسي الذي له صلة بالوطن يورد الباحث أبيات الشيخ محمد الضرير* في مدح الخديوي توفيق لأنه أمدهم بالكتب يقول[3]:-

شمايل الخير في توفيقه ظهرت أكرم بشهم له التوفيق عنوان
عين الأفاضل لا يخطئ فواصله لأنه فاضل الأعيان محسان
صان المواطن توفيق العزيز كما حمي أولي العلم مهما كان أو كانوا

يعلق عز الدين الأمين على مدح الشعراء لأهل السلطان في مصر بقوله:(غير أن هذا الشعر الخاص بأهل السلطان كان يمثل اتجاهاً خاصاً وهو اتجاه العلماء ومن لهم صلة رسمية بالحكومة فكانوا يعبرون بذلك عن رضاهم للحكومة وربما عن صدق أو غير صدق)[4].

يرى الباحث أن مدح الشعراء للخديوي توفيق نابع من محبتهم له والعطايا التي كان ينفحهم بها ولأنه أخوهم في الدين، وكان يدافع عن الإسلام في ذلك العصر الذي شهد تكالب الدول الاستعمارية على البلدان العربية والإسلامية، ولم يكن مدحهم لعامة

---

[1] الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد على ص 87 .
* د. عز الدين الأمين، أستاذ بجامعة الخرطوم
[2] تراث الشعر السوداني – عز الدين الأمين – معهد البحوث للدراسات العربية ص 50 .
* الشيخ الأمين الضرير، ولد ضريراً بتوتي سنة 1815م، درس بالخلوة، كان كاتباً وشاعراً عيِّن شيخ علماء السودان، توفي سنة 1895م.
[3] شعراء السودان – ص68 .
[4] تراث الشعر السوداني – د. عز الدين الأمين، ص 54 .

الحكام بل الذين يهتمون بالعلم والدين بدليل إكثار الشعراء من مدح الخديوي توفيق فقط دون سواه.

ولكن ظهر غرض آخر وهو الحماسة وإثارة الحمية وسيتناوله الباحث بشيء من التركيز. يقول محمد محمد علي عن هذا الغرض: (وهذا الغرض قليل التناول مقارنة بينه وبين الغرضين السابقين ويعود هذا لمصالحة الشعراء للحكومة التركية وهذا النوع من الشعر يكثر في زمن الثورات)[1].

من أشهر القصائد التي قيلت في هذا الجانب قصيدة الشيخ يحيى السلاوي* وتعتبر هذه القصيدة فريدة لأنها طرقت أفقا لم يطرقه الشعر السوداني وقد امتازت بالطول وقسمها صاحبها إلى أقسام وموضوعها هو مساندة الثورة العرابية. يقول فيها[2]:-

شغل العدا بتشتت الأحزاب والله ناصرنا بسيف عرابي
والقطر فيه من الرجال كفاءة للحادثات وهم أولو الألباب
ومحبة الإسلام تقضي بالوفا حتماً على كل امرئ أواب
ومحبة الوطن العزيز تحفهم والفتح أذن بإتباع صواب

حظيت هذه القصيدة بتعليقات معظم النقاد ووجدت مساحة مقدرة في حركة النقد السوداني منها تعليق عز الدين الأمين بقوله: (ومن شعر الحماسة السياسية في العصر التركي قصيدة الشيخ يحيي السلاوي التي نظمها للثورة العرابية)[3].

ويعلق عليها كذلك عبده بدوي بقوله: (أما الظاهرة الملفتة حقاً في هذه الفترة فهي اشتغال شاعر كبير فيها بالثورة العرابية وهو الشيخ يحيي السلاوي الذي ما كاد يسمع بها حتى شغل بها. وقصيدته هذه منشور ثوري نادر بين الأشعار التي قيلت في الثورة العرابية، فهي تجيء في مقدمتها إخلاصاً وفي الحقيقة أنها تفضل كثيراً من الشعر المصري الذي قيل في هذه الفترة والذي دار بصفة خاصة حول الثورة العرابية)[4].

يرى الباحث أنها أنموذج للشعر الوطني في ذلك العصر الذي عرف الدولة الحديثة بل طرقت مجالاً لم تطرقه أي قصيدة قبلها وهو أنها نواة للقومية العربية

---

[1] الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد على ، ص101

* يحيى السلاوي، ولد بالخرطوم 1846م، تلقى العلم على يد والده قاضي دنقلا، ناصر الثورة العرابية توطدت علاقته مع الأتراك، عين مفتشاً للغة العربية.

[2] نفثات اليراع – محمد عبد الرحيم ص 113 .

[3] تراث الشعر السوداني – د. عز الدين الأمين ص56 .

[4] الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي – ص 33 .

والاشتراكية الإسلامية فهي تدعو السودانيين لنصرة إخوانهم في مصر ، وهذا التطور ملحوظ في الفهم العام للهم الوطني، ويرى الباحث أنها وعلى الرغم من روح الوطنية فيها إلا أن الشاعر ينظر للوطن من مفهوم إسلامي وأن أرض الإسلام وطن للمسلمين فقدم محبة الإسلام على محبة الوطن. وهنالك أغراض أخرى لكنها قليلة مقارنة بالأغراض التي ذكرتها .

عموماً دارت أغراض شعراء التركية كلها حول حكام مصر ومشايخهم يمدحونهم أحياء ويرثونهم أمواتاً ويوثقون سيرة حياتهم ويصفون أفعالهم ويصورون مناسباتهم . امتاز الشعر عموماً والشعر الوطني على وجه الخصوص في العهد التركي بسمات معينة أجملها د. عبده بدوي في النقاط الآتية[1]:-

قلة الأخطاء النحوية واللغوية، وختم القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو إعادة الشطر الأول من البيت أو التأريخ بحروف الهجاء وظهور الصنعة اللفظية من جناس وتورية وإقحام المادة العلمية ومصطلحات العلوم .والشعر يغلب عليه في هذه الفترة المحسنات اللفظية وإضافة مصطلحات العلوم والحماسة المباشرة والتأثير بالقرآن والحديث والأمثال والحكم.

أحصى معجم أدباء السودان ثمانية وعشرين شاعراً يمثلون شعراء هذه الفترة ابتداءً من إبراهيم بن عيسي وانتهاءً بالشاعر يحيى السلاوي. وعلى الرغم من جودة أشعارهم مقارنة بشعر دولة الفونج إلا أنَّ النقاد سموهم (شعراء عصر الانحطاط) لأن الوطن العربي كان يرزح تحت وطأة الاحتلال التركي الذي كان وبالاً على الأدب والشعر[2] . ويعلل الباحث لانحطاط الشعر في هذه الفترة بعوامل أهمها أن الحكام كانوا أتراكاً لا يفهمون اللغة العربية لذا لم يهتموا بالشعر ولم ينفحوا الشعراء بعطاياهم.

من خلال دراسة الأدب الوطني في العهد التركي يذكر الباحث عدداً من النقاط:-

---

[1] الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي ص 33 .
[2] معجم أدباء السودان – ص97 .

1- كان الشعر الملحمي والوطني حكراً على الأدب الشعبي فقط كما مر من نماذج في بداية هذه الفقرة ولكن مع مرور الزمن نازع الشعر الفصيح الشعر الشعبي اختصاصه في التغني بالبطولات الحربية التي هي بداية الشعر الوطني .

2- شهد هذا العصر ظهور أول حكومة موحدة بنظم سياسية حديثة بحدود جغرافية معروفة بل ويؤرخ للسودان الحديث بهذه الفترة واتصل السودانيون وازدادت ثقافتهم نتيجة ما تعلموه من الأزهر .

3- خلاف قصيدة مهيرة بنت عبود الشعبية وأبيات محمد شريف في استهجانه لطريقة جمع الضرائب وأبيات أخري متفرقة قليلة لم يتعرض شاعر لسياسة الحكم التركي .

4- كان الشعور الديني يطغي أحيانا كثيرة وموجهاً للمجتمع السوداني وبذا تقبل حكم الأتراك العثمانيين وهم غير عرب ومحتلين لبلادهم لأنهم مسلمون مثلهم ولم تشهد بلاد السودان طيلة فترة حكمهم التي بلغت أربعين سنة أي ثورة مناهضة إلا عندما ضعف اهتمام الأتراك بالدين واستفزوا السودانيين في عقيدتهم فهبت ثورة المهدي .

5- حظي حكام مصر وخاصة الخديوي توفيق بمدح من شعراء السودان كانت هذه بداية الوحدة الأدبية بين شعراء وادي النيل وعندما قامت الثورة العرابية أيدها الشعراء وساندوها كما فعل يحيى السلاوي فضمن الخديوي توفيق ألسنة الشعراء بتشجيع العلماء وتزويدهم بالكتب .

6- المفهوم الوطني بمعناه السياسي لم يتبلور تبلوراً واضحاً في هذه الفترة وحتى أبيات السلاوي في مدح عرابي كانت من مفهوم ومنظور إسلامي على الرغم من أنها تمثل بوادر القومية العربية .

7- خلاصة القول إن الشعر الوطني في هذه الفترة قليل ومع قلته لم يصور الأحداث المثيرة في السودان ، ولكنه أعرب إلى حد ما عن رضاء العلماء عن الحكومة ، ولذا كان الشعر الشعبي أصدق تعبيراً عن الوطنية من الشعر الفصيح .

المبحث الثاني

الشعر الوطني في عهد الثورة المهدية

1885-1889م

أهم العوامل المؤثرة في تطور الشعر الوطني :-

ساهمت عوامل كثيرة في نجاح الثورة المهدية ، أهمها الدعوة الدينية التي انتهجتها الثورة ، وكانت موافقةً لميول السودانيين في ذلك الوقت ، نتيجة تأثير الطرق الصوفية فيهم ، فتشبه المهدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله فسارت جيوشه من نصر إلى نصر ، بداية من قدير سنة 1881م وحتى سقوط الخرطوم سنة 1885م والفترة من (1881 – 1885م)[1] تأريخ طويل من المعارك والأحداث العظيمة ولأن الباحث يهتم بالجانب الأدبي أكثر من التأريخي ، فقد اختصر هذه الفترة على أمل أن يعينه الجانب التأريخي في معالجة الشعر الوطني موضوع الدراسة .

مات الإمام محمد أحمد المهدي بعد فتح الخرطوم مباشرة [2] ، وخلفه الخليفة عبد الله التعايشي الذي لم يكن مثله في الورع والسياسة ، وشهد عهده نقداً حاداً من معظم المؤرخين ، وفشل في الحفاظ على النسيج الاجتماعي ، وقرب أهله التعايشة وشهد عهده خروج معظم القبائل عليه[3].

قابل الخليفة عبد الله القبائل الخارجة عليه بقسوة شديدة ، وحزم مطلق ، الأمر الذي ولد حنقاً في نفوسهم ، وجعلهم غير غيورين على المهدية ، كما كان في عهد المهدي بل كان هذا الحزم وهذه القسوة عاملين مهمين من عوامل سقوط المهدية بواسطة الإنجليز.

اتجه الخليفة عبد الله التعايشي بعد إخماده لثورات القبائل إلى مهمة أخرى وهي نشر المهدية في بقاع العالم .

خاض الخليفة عبد الله حروبات كثيرة داخلياً وخارجياً ، ولكن حروبا ته الخارجية هي التي عجلت بذهاب المهدية وسقوطها على الرغم من أنه حقق نجاحاً ملموساً في

---

(1) جغرافية وتأريخ السودان، نعوم شقير، ص 114.
(2) الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي، ص 60.
3 مثل قبيلة الرزيقات بقيادة مادبوا والكبابيش بقيادة صالح

حربه مع الحبشة، إلا أن انهيار جيوشه في توشكي كانت قاصمة الظهر لدولته[1] ، فأوقف بعدها مطامعه الخارجية وكانت بداية النهاية لدولته التي أخذت تتهاوي وتتساقط مدنها شمالاً وشرقاً بواسطة الطليان والإنجليز إلى أن وجدت بريطانيا الفرصة مواتية لاستعمار السودان فأرسلت كتشنر الذي استطاع أن يعيد فتح السودان بعد أن أبدى الأنصار شجاعة نادرة أذهلت الأعداء وسقط الخليفة عبد الله شهيداً في معركة أم دبيكرات[2] وبمقتل الخليفة عبد الله انطوت صفحة باهرة من صفحات الحكم الوطني السوداني لم تستمر طويلاً .

الشعر الوطني في عهد الدولة المهدية :-

قسم الباحثون الأدب في هذه الفترة إلى قسمين : الأول الشعر في عهد الإمام محمد أحمد المهدي وحتى وفاته والثاني الشعر في عهد الخليفة عبد الله التعايشي وحتى سقوط دولة المهدية .

جاء في معجم أدباء السودان ما يلي: (شعر المهدية لم يكن على درجة واحدة من الكثرة والجودة خلال فترة المهدية كلها ، بل تفاوتت نماذجه من فترة إلى أخرى فقد قيل أن أكثر الشعر وأغلاه جودة فنيه كان خلال فترة المهدي ، حيث إنه أقوى عاطفة وخيالاً ، وأسرع تأثيراً في النفوس وعلوقاً بالقلب، على حين انصرف أكثر الشعراء عن الشعر في عهد الخليفة أو جاءت نماذج الشعر ضعيفة باهته)[3] .

يقول محمد محمد على عن الشعر في عهد الخليفة عبد الله التعايشي: (الشعر في هذه الفترة جد فقير في مقداره وتنوعه ، كتب عليه أن يجانب الأحداث الكبار والمآسي المروعة ، وأن لا يساير الأبطال في حرب الحبشة ، ولا يصور فظائع المجاعة ولم يواكب الأنصار في مصادمة الجيش الفاتح خاصة في توشكي وكرري)[4].

يرى الباحث أن جودة الشعر في عهد المهدي أكثر منه في عهد الخليفة عبد الله يعود للأسباب الآتية :-

---

[1] جغرافية وتأريخ السودان – نعوم شقير – ص 189
[2] المرجع السابق – ص194.
[3] معجم أدباء السودان – مجموعة مؤلفين ص 27.
[4] الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد على – ص 228

1- شخصية المهدي الجاذبة التي التف حولها الناس وآمنوا بمبادئها تختلف عن شخصية الخليفة عبد الله المنفرة التي اختلف حولها الناس والشعر يتأثر سلباً وإيجاباً بما يدور في البيئة .

يقول محمد عمر بشير: (يرى بيرمنجهام أن السر في الانتصارات التي أحرزها المهدي يكمن في قوة شخصيته ، وقدرته على التأثير في السودانيين ، رقيقي الإحساس سريعي الانفعال ، لذا فهو القائد الذي أوجدته ظروف خاصة لنوع فريد من الشعور الوطني في السودان)[1].

2- تقريب الخليفة لأهله التعايشه وحنق بقية القبائل عليه والحروبات التي شنها عليهم كرهت الناس في حكمه لذا انصرف عنه الشعراء.

3- توحد جميع فئات الشعب حول راية المهدي لهدف واحد هو سقوط الخرطوم وطرد الأتراك وبعد تحقيق هذا الهدف فترت همة الشعراء وعامة الناس ولم يكن هناك محفزاً لقول الشعر بعد فتح الخرطوم.

4- الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشها الناس بعد وفاة المهدي خاصة مجاعة سنة 306هـ التي أهلكت الحرث والنسل وشغلت الناس ولابد أن يتأثر الشعراء بها شأنهم شأن بقية الناس .

تخرج أكثر شعراء المهدية في الأزهر الشريف أو من حلقات العلم ومن ثم كان أثر الثقافة الإسلامية واضحاً في شعرهم[2].

حصر معجم أدباء السودان ستة عشر شاعراً من شعراء الدولة المهدية أثروا هذه الفترة أدبياً وثقافياً منهم الحسين الزهراء وعبد الغني السلاوي ومحمد عمر البنا وعثمان الحلاوي والبدوي[3].

فكرة المهدية بشقيها الديني والسياسي كانت إحدى بواعث الشعر الوطني، فهي ثورة دينية تمتد فكرتها في أعماق التأريخ الإسلامي مشحونة بجو عاطفي تولد عند الشعور بالظلم من تولي الأمر من لا يستحقه، ومشحونة بالأمل الذي يتعلق بأطرافه كل مستضعف ينتظر العدل .

---

[1] تأريخ الحركة الوطنية في السودان – محمد عمر بشير – ص24

[2] معجم أدباء السودان، مجموعة مؤلفين – ص 72.

[3] المرجع السابق – ص 74.

يقول محمد عمر بشير :(ويمكن القول بأن المهدية كانت عامل احتجاج تمسك به الزعماء الإسلاميون التقليديون ضد النظام الذي هز وضعهم في المجتمع ، والمهدية ثورة للفقراء وعلماء الدين ولذا كان من الملائم تماماً أن يكون قائدها رجلاً صوفياً آخذاً بأسباب التعاليم الدينية القائمة في السودان)[1].

على الرغم من طول فترة حكم الأتراك الذي استمر أربعة وستين عاماً (1821م – 1885م) مقارنة بحكم المهدية الذي استمر ثلاثة عشر عاماً فقط (1885 – 1898م)، إلا أن الشعر الذي قبل في عهد المهدية كان أكثر منه في عهد الأتراك.

يقول محمد محمد على: (نظم في ثورة المهدي شعر أكثر مما نظم في العهد التركي)[2].

يرى الباحث أن كثرة الشعر في العهد المهدي مقارنة بالعهد التركي يعود لأسباب أهمها: أن المهدي شخصية دينية خرجت من صلب هذا الشعب وتبنت موقفاً ثابتاً وهو خروج المستعمر من أرض السودان أولاً ثم نشر المهدية في ربوع العالم ، وقد حفز ذلك قريحة الشعراء فأسهموا في مدحه، أما في عهد التركية فكان الحكام أجانب حتى ولو اتفقوا مع الشعراء في الدين. ومن الأسباب كذلك تبني المهدي للخط الديني للثورة، فكان امتداداً للصوفية التي انتظم في سلكها الناس وأقبلوا عليها، فعبر المهدي عن أشواق الشعراء فنظموا في الجهاد ومدحوا الأنصار ورثوهم.

من مصادر الشعر في عهد المهدية المخطوطة التي صورتها إدارة الوثائق المركزية[3].

امتاز الشعر في هذه الفترة بالسياسة والدين معاً فالمهدي انتظم في سلك الطريقة السمانية ومن جهة أخري فهو رجل سياسي صاحب اجتهاد واستطاع بحنكته أن يخرج الأتراك من السودان ويجعل الناس يلتفون حوله[4].

من الأسباب التي أدت إلى نجاح الثورة المهدية وجعلت الناس يلتفون حول المهدي سوء الإدارة التركية والمظهر الديني الذي تميَّز به. يقول عز الدين الأمين: (كان سوء الإدارة في العصر التركي من الأسباب التي أدت إلى قيام ونجاح الثورة المهدية،

---

[1] تأريخ الحركة الوطنية في السودان – محمد عمر بشير – ص 22

[2] الشعر في المعارك السياسية، محمد محمد علي، ص133.

[3] المرجع السابق، ص135.

[4] معجم أدباء السودان، ص72.

وكذلك تمكين الدين الإسلامي في النفوس لانتشار الطرق الصوفية وكان إحساس أهل السودان أن الدين ضعف لسياسة الحكام في ذلك العهد فالمهدي يريد حكومة إسلامية تحكم بالشرع الحنيف)[1] .

كان الشعر في عهد المهدية يدور إما حول فساد الأتراك وهجائهم أو مدح المهدي وأنصاره وهنالك شعر قليل يدور حول هجاء المهدي من جانب العلماء ولكنهم لم يواصلوا فيه.

يدور الشعر حول المدح والغزل والرثاء والحكمة والحماسة[2].

يقول عبده بدوي: (عرف الشعر في هذه الفترة الأغراض القديمة من مدح ورثاء ووصف، وهي جميعها تدور حول الفلك القديم، وبعبارة أدق الفلك الذي دار فيه الشعر في الفترة الثانية السابقة للمهدية، والملاحظ أن كل ما قيل في كل الأغراض متأثر بالصوفية وبفترة الضعف في التراث العربي عامة)[3].

أشكال الشعر الوطني في عهد المهدية :-

يقول قرشي محمد حسن: (الأديب السوداني الذي عاش بعقله وبوجدانه تحت ظلال الثورة المهدية الوارفة كان ملتزماً التزاماً وطنياً بفلسفة الثورة، ولم يكن الأدب موجهاً كرهاً ولكن شعراء الثورة وجدوا أنفسهم أمام ثورة عملاقة ذات مثل ومبادئ قوية، فانبهروا أمام فلسفتها الرائدة، وسحروا بحداثة أفكارها وتطلعاتها وفتنوا بروعة انتصاراتها العظيمة التي حققت هدفاً وحلماً كان يراعي جفونهم عبر عشرات السنين)[4].

1. **الحماسة :-**

رغب المهدي أنصاره في الجهاد ونفرهم من التخلف والفرار والجبن بحجج قوية مؤيده مدعماً أقواله بالآيات القرآنية الحاثة على الجهاد فامتلأت صدورهم بالحماس واستهانوا بالموت وأصبحت الشهادة أحب إليهم من الحياة.

يقول عز الدين الأمين معلقاً على انتشار الشعر الحماسي البطولي في عهد المهدية: (من الواقع أن شعر المهدية كان شعراً ذاتياً كشأن الشعر الذي سبقه فلم يتجه الشعراء نحو المجتمع ليصوروه، ومما يستحق الذكر هنا ظهور الشعر البطولي الفصيح

---

[1] تراث الشعر السوداني – عز الدين الأمين – ص 81
[2] معجم أدباء السودان – ص 73
[3] الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي – ص 96
[4] الخرطوم – مجلة ثقافية – 1970م – ص64

لأول مره بالسودان وظهرت منه بوادر قليله في العصور السابقة، ولكن قصائد المهدية بطولية مستقلة غايتها الدفع إلى الحرب وتمجيد الأبطال والتغني بالبطولات الحربية)[1] . ويعلل عز الدين الأمين لكثرة الشعر الحماسي البطولي في فترة المهدية الأولى بقوله: (لأن الفترة الأولى للمهدية كانت فترة حرب وجهاد فلذا كان الشعر البطولي يلائم هذه الفترة)[2].

تشبه الإمام المهدي بالرسول (صلى الله عليه وسلم) واستلهم أحداث التأريخ الإسلامي ولما كانت الملائكة تقاتل مع المسلمين في غزواته . ذكر المهدي أيضاً أن الملائكة تقاتل معه وفي ذلك يقول الحسين الزهراء*:-

حرب بمحراب الهدي من بأسه بشتاتها تتزلزل الأطواد
لم لا وأملاك السموات العلى في جيش مهدي الورى أجناد
والجن والإنس الذين عهدتهم سوي الذين ومالهم أعداد[3]

ويقول عثمان الحلاوي*:-

له العون من رب السموات مؤيد بنصرة أملاك كرام أولي فتك
وجبريل يمشي في الجيوش مقدماً وميكال من خلفه يهد بنا الترك[4]

هذا ما كان من جانب الملائكة ، أما الأنصار فتفنن الشعراء في وصف بسالتهم وأهم ما قيل فيهم من قصائد التائية التي أبدع فيها محمد عمر البنا* وهي من أروع ما قيل في الحماسة والحرب يقول فيها[5]:-

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الإله حياة
والعمر في الدنيا له أجل متى يقضي فليس تزيده خشيات
فعلام خوف المرء أن يخشى الوغى نفس الكريم وحانت الأوقات

---

[1] تراث الشعر السوداني ، عزالدين الأمين ، ص117 .
[2] المرجع السابق، ص118
* حسين الزهراء، ولد سنة 1833م بالمسلمية، حفظ القرآن، التحق بالأزهر، تولى منصب القضاء في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، لقب بقاضي الإسلام، وهو شاعر مشهور توفي 1895م.
[3] شعراء السودان – سعد ميخائيل، ص114 .
* عثمان الحلاوي، شاعر له عدد من القصائد في مدح المهدي، ذكره صاحب مخطوطة أدباء المهدي.
[4] مخطوطة أدباء المهدي – ص 396
* محمد عمر البنا، ولد برفاعة سنة 1848م، حفظ القرآن، عمل بالتجارة، سافر إلى الأزهر الشريف، لازم المهدي والخليفة، عمل بعد الاحتلال في القضاء الشرعي، توفي سنة 1919م.
[5] ديوان البنا، عبد الله محمد عمر البنا – ج 1 – ضبطه علي المك ، ط 1922م – الخرطوم – ص 32

فـــالفخر كـــل الفخـــر بيـــع الـــنفس للـــــه العلـــى وأجرهـــا الجنـــات

وكانت بدايتها بالحكمة والحث على الجهاد والشهادة ويرى الباحث أنها قصيدة إسلامية تمثل المفهوم الإسلامي للوطن لأن الشاعر يقول بيع النفس لله والأجر الجنة وفيها إشارة لقوله تعالى: ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون))[1] . فلم يذكر الشاعر الوطن في هذه القصيدة ثم ينتقل الشاعر لوصف أنصار المهدي بالشجاعة يقول[2]:-

قوم إذا حمي الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة

ولباسهم سرد الحديد وبأسهم شهدت به يوم اللقا الغارات

ويطلب الشاعر من المهدي أن ينهض لفتح الخرطوم ويطهرها من تدنيس الأتراك الذين نبذوا الشريعة وراء ظهورهم يقول[3]:-

فـــانهض إلـــى الخرطـــوم إن بســـوحها أهـــل الغوايـــة والضـــلالة بـــاتوا

نبـــذوا الشـــريعة مـــن وراء ظهـــورهم عـــن ديـــنهم شـــغلتهم الشـــهوات

يقول د. الشوش* معلقاً على هذه القصيدة: (ليس الجديد حقاً إبتداع صور مبتكرة جديدة، فكل هذه الصورة قديمة مكررة وكذلك التركيب، وإنما الجديد فيها أنها أدخلت عنصر الحماسة والدعوة إلى الجهاد في ذلك الشعر الجامد وجعلته ينبض بالحياة)[4].

2- المدح: وينقسم إلى ثلاثة أقسام :-

أ/ مدح الإمام محمد أحمد المهدي:-

مدح الشعراء محمد أحمد المهدي مدحاً صادقاً لأنه أقام الدين وطهر البلاد من فساد الأتراك وكان مدحهم له لا رغبةً في عطاياه ولا رهبة منه يقول محمد شريف نور الدائم[5]:-

---

(1) سورة آل عمران: آية رقم: 169

(2) ديوان البنا، ص 32 .

(3) المرجع السابق ص 33

* د. محمد إبراهيم الشوش ، أستاذ بجامعة الخرطوم

(4) الشعر الحديث في السودان ، إبراهيم الشوش – مطابع النشر – مصر – ص31

(5) الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد علي – ص 233

فقام على نهج الهداية مخلصاً وقد لازم الأذكار في السر والجهر
أقام لدينا خادماً كل خدمة تعز على أهل التواضع والسير
وكم صلى وكم قام كم تلا من الله ما زالت مدامعه تجري

ب/مدح الخليفة عبد الله :-

وقيل فيه مدح أكثر مما قيل في الإمام المهدي، ويرى الباحث أن هذا يعود لشخصية الخليفة عبد الله الذي كان مهاباً من الشعراء ولأنه كان يحب المديح[1]، وكانوا يطمعون في عطائه وبلغ الأمر أن خصص أحد الشعراء وهو السلاوي شعره كله في مدح الخليفة ، يقول السلاوي[2] :-

ومهيب يكون كل عظيم هادئاً عنده يهاب اللقاء
وقوي على العدا ورحيم لضعيف له جعلت فداء
ومطاع إذا أشار الأمر رجع الأمر كيف شاء مضاء

ج/ مدح قواد المهدية :-

وحظي حمدان أبو عنجة والزاكي طمل بشعر كثير نسبة لشجاعتهم وجسارتهم يقول محمد الطاهر المجذوب* مادحاً أبا عنجة[3]:-

حمدان إنك طالما سمت العدا ذلاً وذكرك في المحافل يرفع
ما وجهت رايات نصرك وجهةً إلا وبالظفر المؤكد ترجع
فلك الهنا بلقاء ربك شاهرا سيف الجهاد ولكل قرم تقمع

3. الهجاء :-

عندما كان المهدي يغزو الناس بمنشوراته ومواعظه طلب الحكمدار عبد القادر باشا من العلماء أن يكتبوا رسائل يفندوا فيه دعوة المهدي ويهجوه.

يقول محمد محمد على: (وهذا الغرض قليل جداً، وسبب ذلك أن العلماء لم يجدوا الدوافع في تشجعهم على الاستمرار في حرب المهدي، وأن انتصاره على جيش

---

[1] السيف والنار – سلاطين باشا – ص 131
[2] الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد على، ص 232.
* محمد الطاهر المجذوب، ولد بسواكن سنة 1842م، سافر إلى الحجاز طلباً للعلم، ناصر الدولة المهدية، كان مستشار عثمان دقنة، يمتاز شعره بالحماسة، توفي سنة 1929م.
[3] الشعر في المعارك السياسية – محمد محمد علي، ص 232.

الحكومة جعلهم يفكرون في عاقبة أمرهم، لذا لم يصلنا من هجائه إلا القصيدة التي هجاه فيها أستاذه السابق محمد شريف)[1].

يقول محمد شريف في هجاء المهدي[2]:-

فقال أنا المهدي قلت له استقم فهذا مقام في الطريق لمن يدري

وقال له الشيطان ابشر ولا تخف فإنك منصور على البر والبحر

يرى الباحث أنَّ شعر الهجاء في فترة الخليفة كان أكثر منه في فترة المهدي. لكثرة الأحداث التأريخية في عهد الخليفة عبدالله ومنها خروج معظم القبائل عليه وسياستة في القضاء عليها، وهجاء الشعراء لزعماء القبائل الخارجة طمعاً في رضاء الخليفة. يقول محمد عمر البنا في صالح زعيم قبيلة الكبابيش[3]:-

هو طالح لا صالح إن لم يتب عما جنى حتى جفاه الوامق

لنفوره عن هدي مهدي الله من حظ المجيب له وفاز الرامق

4- الرثاء :-

وحظي المهدي بالنصيب الأوفي فرثوه كما مدحوه بالصفات الحسنة، ولكن تميز رثاؤهم بالحسرة والأسف.

يقول الشيخ إبراهيم شريف الدولابي* في رثائه[4]:-

أسفاً على المهدي مهدي الصبا قد كان معصوماً من المحظور

تبكي المساجد والمحارب فقده ومواطن الأذكار والتذكير

وهناك مراثٍ أخري للخليفة والقواد. أسهب بله عبد الله مدني في الحديث عن الشعر في عهد المهدية متحدثاً عن مضمونه وشكله، مقسماً الشعر الوطني والسياسي في هذا العصر إلى تيارين[5]:-

---

(1) الشعر في المعارك السياسية، ص169.

(2) جغرافية وتأريخ السودان – نعوم شقير ج 2 – ص 641

(3) مخطوطة أدباء المهدي ، ص 302

* إبراهيم شريف الدولابي، ولد بكردفان، تخرج في الأزهر، عمل بالقضاء الشرعي، كان شاعراً مطبوعاً ذا أسلوب فريد.

(4) شعراء السودان، سعد ميخائيل – ص 27

(5) تطور المضمون والشكل بالشعر السوداني (1504، 1940م)، رسالة ماجستير، الأستاذ بله عبد الله مدني، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، 1980م، ص102.

الأول: التيار الوطني:-

وهذا التيار يتكون من الحادبين على مصلحة الدين والوطن، الذين لم يعرف لهم ارتباط بجهاز الدولة التركي، ووقفوا ضد المهدية لا من أجل الحكومة التركية بل حفاظاً على الدين والوطن حسب ظن كل منهم ، وأيد بعضهم المهدية واندفع في الدفاع عنها بعد أن ثبتت نوايا المهدي وانتصاراته ، وبعضهم له اتجاه يرى أن مصلحة الدين والوطن لا يكمن في اتباع المهدية ولا مناصرة الحكومة التركية وإنما لهم نظرة وطنية أخرى فالشيخ محمد شريف نور الدائم يرى في معاداة المهدي أن مصلحة الدين والوطن اتباع الطريقة السمانية التي أسسها جده الشيخ الطيب[1].

الثاني: تيار أنصار الحكومة التركية :-

أنشأت هذا التيار الحكومة التركية للوقوف ضد الثورة المهدية، وأغلب أعضائه يشغلون مناصب حكومية مثل القضاء والتدريس والإفتاء، وكانت أصواتهم خافتة واكتفي أنصاره بالقدر الذي أرضوا به عبد القادر باشا حلمي ورأوا من الحكمة ألا يندفعوا لآخر شوط مع الحكومة نسبة لانتصارات المهدي الداوية.

يوافق الباحث الأستاذ بله مدني في تقسيمه للشعر والشعراء إلى تيارين، ولكن يخالفه في وضع محمد شريف نور الدائم مع التيار الوطني لسبب أنه يرد أن يتبع الناس طريقة جده الشيخ الطيب، فمعظم المصادر التأريخية ذكرت اختلاف المهدي مع أستاذه محمد شريف نور الدائم لأسباب لا علاقة لها بما ذكره بله. فمهما تكن الأسباب لا يمكن لوطني مثل محمد شريف أن يقف ضد وطني من بلده وهو الإمام المهدي. وعلى الرغم من مناهضة محمد شريف للحكومة وقصيدته في سوء إدارتها إلا أنه لا يمكن أن يوضع ضمن التيار الوطني .فهو لم يثر من أجل الوطن بل من تأثره بدفع الضرائب.

تميَّز الشعر في هذا العهد بخصائص ومميزات منها :-

1/ قلة الأخطاء اللغوية والنحوية واستخدام القافية وجودة السبك وطول القصائد.

2/ أدى اتجاه الثورة المهدية إلى تأثر الشعر بالثقافة الإسلامية والاقتباس من القرآن الكريم.

---

[1] جغرافية وتأريخ السودان – نعوم شقير ، الجزء الثالث – ص118

3/ اعتمد أسلوب الشعر في هذه الفترة على التصوير والتقرير والسرد أما أسلوب الجدل والبرهان فنادر عندهم.

4/ يمتاز الشعر بالعاطفة الصادقة وخاصة الشعر الذي قيل في رثاء المهدي ويمتاز كذلك بالخيال وأغلب معانيه محصورة في نطاق المهدية وتتراوح ألفاظه الشعرية بين الجزالة والضعف والخمود .

هذه لمحات من الشعر في عهد المهدية واختصر الباحث الكثير من الحقائق التأريخية وأبقى على الجوانب التي تساعد في الجواب عن السؤال المطروح . استطاع المهدي أن يخرج الأتراك من السودان ويكون أول حكومة وطنيه في السودان إذا اعتبرنا أن حكومة سنار حكمت جزءاً من السودان والأتراك أجانب هل الشعر الذي قيل في عهد المهدية وطنياً.

للإجابة عن هذا السؤال وهو محور الباحث يذكر الباحث ما يلي :-

1. شعار الدولة المهدية هو الإسلام وتشبه المهدي في جميع أفعاله وأقواله بالرسول (ص) وكان هدفه أن يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً وحبب الشهادة لأصحابه .

2. في كل النماذج الشعرية التي وقفت عليها لم ترد كلمة الوطن إطلاقا عند الشعراء في عهد المهدية.

3. الإمام المهدي وخليفته لم يكن هدفه تحرير السودان فقط من الأتراك بدليل فتحه للخرطوم والاستعداد لنشر المهدية في العالم وهذا يطابق المفهوم الإسلامي للوطن القائل إن أرض الإسلام كلها وطن للمسلمين.

4. السودان في هذه الفترة كان يخضع للقبلية بدليل حروبات الخليفة عبد الله مع القبائل التي ناصبت المهدية العداء .

5. أهم قضية ذكرها الباحث ووقف حولها كثيراً أنه على الرغم من مساوي الأتراك إلا أنه وخلال فترتهم بعد هزيمة الشايقية وحتى نهاية عهدهم بالسودان لم تثبت المصادر التأريخية أي ثورة وقفت ضدهم (على الرغم من أنهم محتلون للسودان) إلا في نهاية فترتهم التي اصطدمت بالثورة المهدية ، وثورة المهدية بعد وفاة المهدي تعرضت لكثير من الثورات الداخلية (على الرغم من أنها حكومة وطنية) وقصر مدة حكمها.

6. توجد مناطق من أرض السودان خاضعة للإنجليز في الشرق والشمال ولم يتبلور الوعي الوطني في هذه الفترة.

وفي ضوء ما ذكر الباحث من حقائق يتضح أنه في عهدي المهدية الأول والثاني لم يوجد شعر وطني على الإطلاق بمفهومه الحديث وكل ما قيل من الشعر خاصة في مدح المهدي هو إسلامي يشكل المفهوم الإسلامي للوطن الذي لا يعترف بحدود الدولة ولذا يكون الشعر في عهد المهدية هو النموذج الأمثل لمفهوم الوطن في الإسلام.

المبحث الثالث

الشعر الوطني في فترة الحكم الثنائي

1956-1898

يقسم الباحث الشعر في هذه الفترة إلى مرحلتين:-

المرحلة الأولى: (1898م - 1924م) :-

وهي مرحلة ما بعد سقوط الدولة المهدية مباشرةً وحتى قيام ثورة على عبد اللطيف.

سقطت الدولة المهدية في العام 1898م ورغم أنها تمثل حكماً وطنياً إلا أن الشعراء لم يرثوها كما رثوا دولة سنار حين سقطت وصمت الشعر فلم يصور بسالة الأنصار في كرري ولا المجازر التي ارتكبها الإنجليز بحق المواطنين[1].

تطرق محمد محمد على لعدم تفاعل الشعراء مع زوال الدولة المهدية وأرجعه إلى سببين :-

السبب الأول : أن الكارثة كانت أقوى من أن تدع مجالاً للشعر .

والسبب الثاني : غضب القبائل من سياسة الخليفة عبد الله التعايشي الذي انحرف بدعوة المهدي وشن العديد من الحروبات الداخلية على الخارجين على سلطته ، وفي ذلك يقول محمد محمد على: (وشعراء الشعر الفصيح كلهم من أولاد البلد الذين أذل الخليفة عبد الله التعايشي قبائلهم ، لهذا لم تهزهم الكارثة ولم تحرك أعماقهم وهذا هو التعبير الصحيح لانصراف الشعراء عن خوض غمار هذا الحدث الجلل)[2].

ذكر الأستاذ عزام أبو بكر* أسباب الصدام بين الخليفة وبعض القبائل بقوله: (ينشأ عادة نتيجة لما تقوم تلك القبائل من عبث وفساد كما أن بعض زعماء القبائل لا يطيقون أن تنافسهم سلطة الخليفة في أرضهم كما كان بعضهم يتخلف عن دعوة الجهاد)[3].

---

[1] تأريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار ، ص، 214 .

[2] الشعر في المعارك السياسية ، محمد محمد على ، ص، 307 .

* عزام أبو بكر، مواليد 1937م بشندي حاز على الماجستير في التريخ من جامعة القاهرة، عمل مدرساً للتأريخ ومديراً للتوجيه في المرحلة الثانوية.

[3] العلاقات بين الخليفة عبد الله التعايشي وقبائل السودان، الأستاذ عزام أبو بكر الطيب، مطبعة جامعة الخرطوم، المطبعة القومية للثقافة والفنون، الطبعة 1992م، ص53.

ودلل محمد محمد علي على تفسيره لهذا بأبيات للشاعر علي الشامي* يبشر فيها بوصول جيش الفتح الإنجليزي قائلاً[1]:-

بشرى لجيش بالفتوح قد ظفر بالصبر من زمن فبشر من صبر
حشد الجنود ولا وعود تعوقهم إلا ملاقاة العدو بما أصر
بقيادة الشهم اللواء سردارنا رجل السياسة والحروب الكتشنر

يوافق الباحث محمد محمد علي في تفسيره الأول فالمواطن السوداني في ذلك الوقت لم يتوقع أن تنهار الدولة المهدية بهذه السرعة لاعتقادهم في الإمام المهدي، ولكن الباحث يخالفه في السبب الثاني فمهما كان الاختلاف مع الخليفة عبد اللهشديداً، إلا أنه لا يمكن أن يصمتوا عن قول الشعر وتصوير الفاجعة، ويحتمل أن يكون هنالك شعر قيل في هذه الفترة لكن ضعف التوثيق أدى إلى عدم تدوينه ، أما مسألة استبشار السوداني بالأجنبي فهذه مردودة ، فالقيم والأخلاق السودانية تمنع هذا، والسوداني لا يفضل الدخيل على بني جلدته مهما بلغت شدة الاختلاف، والشاعر علي الشامي الذي استشهد به محمد محمد علي أصله من الشام وليس سودانياً خالصاً.

بدايات الشعر الوطني 1889- 1924م :-

أحكم الإنجليز قبضتهم على السودان وبسطوا سيطرتهم التامة على البلاد إلا سلطنة الفور التي استقلت ذاتياً ، وقضوا على الثورات البسيطة التي قامت بعد سقوط المهدية، وانصرف الناس إلى حلقات العلم ومجالس الذكر[2].

تقول زينب الفاتح البدوي* عن فترة الشعر الوطني في الحكم الثنائي(تنقسم فترة الحكم الثنائي إلى قسمين: القسم الأول يبدأ بعد الحرب العالمية الأولى، ويؤرخ له عادة بظهور أوائل الخريجين من كلية غردون التذكارية والشعر في هذه الفترة يتبع النماذج التقليدية للقصيدة متأثراً بشعراء التقليد في مصر والعالم العربي، وبرزت في أشعار الشعراء في هذه الفترة روح الإصلاح والرجعة إلى الحضارة الإسلامية وأهم شعراء هذه الفترة محمد سعيد العباسي وعبد الله البنا وعبد الله عبد الرحمن وعبد الرحمن شوقي)[3].

---

* علي الشامي، أصوله شامية، جاء إلى السودان ولم يتجاوز العاشرة من عمره، نزح إلى دنقلا 1894م، أخذ العلم من علماء دنقلا.

[1] شعراء السودان ، سعد ميخائيل ص 235 .

[2] تأريخ السودان الحديث ، ، ضرار صالح ضرار

* د. زينب الفاتح البدوي، أستاذ بجامعة الخرطوم

[3] زينب الفاتح البدوي، التجديد في الشعر السوداني المعاصر ، ص 14

وتقول عواطف عمر عبد الله عن الأدب الوطني في الفترة التي سبقت ثورة 1924م: (وهي مرحلة ركود عام أو هي مرحلة الهدنة التي أعقبت سنوات العراك واصطبغت بصبغة المعاملة التي يلقاها المنهزمون بعد الهزيمة ، فقد تحكم المستعمر في كل شيء وكمم الأفواه وفرض العزلة على العالم الخارجي ، وكان الهدف في ذلك أن يستمر أبناء الوطن في ركود ذهني يقعدهم عن المقاومة ثم ظهرت حاجة المستعمر إلى وجود فئة متعلمة تساعد في شغل الوظائف الدنيا ، ففتح المدارس لصغار الموظفين وارتفع الشعر في هذه الفترة من ناحية المستوي في الصياغة وبراعة التعبير لأنه اعتمد على قدر من التعليم المنظم ، وقراءة دواوين شعراء الوطن العربي ومن حيث الشكل انتهج النهج التقليدي ، ومن ناحية المضمون اكتسب الواقعية والتصق بالمجتمع فصار أكثر اهتماماً من ذي قبل بقضايا الوطن ، وجاء معظم شعر هذه الفترة في المناسبات واهتموا بالمديح وأعطوه عناية خاصة ومدحوا شخصيات المجتمع البارزة واتخذوا من شعر المناسبات مطية لبث الروح الوطنية ، وتحريك النفوس ضد الأعداء)[1].

يرى الباحث أن تحديد زمن لبداية الفترة بعد الحرب العالمية الأولى جانبه الصواب ، لأن صمت الشعراء عن قول الشعر بعد سقوط المهدية مباشرةً لا يعني أنهم لم يقولوا شعراً طوال هذه الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، ويمكن أن يكون هناك شعر ولكن ضعف التدوين أدى لعدم ظهوره سيما أن هنالك حركات تحررية وطنية في هذه الفترة مثل حركة ود حبوبه تم الوثيق لها في الأدب القومي.

ومما يجب ذكره أن الدكتور محمد سعيد القدال الذي أرخ للحركة الوطنية ذكر أن المرحلة الأولى لها تبدأ من العام 1889 م أي بعد سقوط المهدية مباشرةً وحتى العام 1918م. وذكر القدال الحركات الوطنية المناهضة للإنجليز في هذه الفترة مثل حركة الشكابة ومقاومة النوير[2].

أنشأ الإنجليز كلية غردون التذكارية وعدداً محدداً من المدارس فتخرج فيها جيل جديد اتصل بالثقافة المصرية وعرف ما كان يجري في العالم العربي والإسلامي، ورأى كيف يستخدم الشعراء العرب ماضي العروبة والإسلام سلاحاً لمحاربة الاستعمار .

---

[1] صالح عبد القادر حياته وشعره – عواطف عمر عبدالله – الطبعة الأولى – 1991 – دار الجيل بيروت – ص67 .
[2] تأريخ السودان الحديث ، محمد سعيد القدال ص 7 .

يقول الدكتور عبده بدوي: (اندلعت في هذه الفترة ظاهرة الالتفات إلى الينابيع الإسلامية الأولى . وكان ما يشغل الشعراء منها الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم وكانت وقفتهم الكبرى تتركز على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والعام الهجري)[1].

كان الدين يعني عندهم هو معني الوطن فالوطن هو الإسلام والأهل هم المسلمون ، وقد عبّر عن ذلك الشيخ عبد الله عبد الرحمن* بقوله[2]:-

فليس سوى الإسلام من وطن لنا ولا غير أهليه أعد صحابا
كفى بقبيل الله جنساً ومذهباً وبالله رباً وبالكتاب كتابا
وبالمصطفي المختار صفوة خلقه نبياً زكا في العالمين نصابا

من خلال هذه الأبيات وضح الشعر مذهب الشعب السوداني بوضوح في هذه الفترة وألغى الإطار الضيق للوطن بحدوده الجغرافية وجعل أرض الإسلام كلها وطناً لهم .

يقول د. عباس محجوب* جودة عن شعراء هذه الفترة: (تميز شعراء هذه المرحلة بغلبة الطابع الديني على شعرهم ، وامتزاج أفكارهم بعواطفهم الدينية وربطوا الوطنية بالدين ودعوا إلى جمع كلمة المسلمين والوحدة والتكاتف[3].

ويقول أحمد خير المحامي (لقد ظل زمام المقاومة الشعبية منذ قيام الحكم الثنائي في السودان إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى منحصراً في أيدي الزعامات الروحية وكان الجهاد الديني ضد الكفار لا ضد المحتل الأجنبي أو المستعمر هو الشعار الوحيد الذي تهتز له القلوب وتتحرك له المشاعر ويقيم له أهل الرأي وزناً)[4].

يوافق الباحث الأستاذ أحمد خير المحامي في غلبة المفهوم الإسلامي للوطن في هذه الفترة، لكنه يخالفه في أنَّ أحمد خير حدد المدة الزمنية بفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى فقط ، ولكن في الواقع أن هذا المفهوم استمر إلى ما بعد قيام ثورة على عبد اللطيف بقليل أي قبل ظهور الأحزاب وتكوين مؤتمر الخريجين .

---

(1) الشعر الحيث في السودان، د . عبده بدوي، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1981 ص 96 .

* عبد الله عبد الرحمن، شاعر سوداني، ولد سنة 1891م، له ديون الفجر الصادق، وديون العروبة وكتاب العربية في السودان.

(2) الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن ص 9

* د. عباس محجوب، أستاذ بجامعة القرآن الكريم، أديب وناقد، ألف بعض الكتب .

(3) الشعر السياسي السوداني – عباس محجوب جوده – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة – كلية الأدب – 1975م – ص60

(4)كفاح جيل – أحمد خير المحامي ، ص 17

تطور الشعر الوطني الديني في هذه الفترة ولم يقتصر التطور على السودان فقط بل مد طرفه إلى أطراف العالم الإسلامي ، فهذا عثمان هاشم* يبكي ماضي الإسلام وينعي على المسلمين التفرق والشتات بقوله[1]:-

واهٍ على الإسلام أصبح ضائعاً أودي بــه وأماته الإظلام
بالأمس كانت دولة العز التي صال الرشيد بها وطال هشام
واليوم أطفئ نورها وجلالها والمسلمون مفرقون نيام
هذي الجزيرة وهي باكية أسى والهند تندب حظــها والشام

وهذه نزعة قومية قوامها الإسلام .

يرى الباحث أن النزعة الإسلامية للوطن التي انتظمت هذه الفترة تعود لأسباب أهمها :-

السبب الأول: الشعراء ما زالوا متأثرين بالنزعة المهدية ونهجها الإسلامي.

السبب الثاني: تأثير الصوفية الكبير على المجتمع السوداني منذ القدم وحتى اليوم.

السبب الثالث: الشعراء السودانيون مقلدون لشعراء العالمين العربي والإسلامي.

الرموز الوطنية في هذه الفترة:-

شكل السيدان عبد الرحمن المهدي وعلى الميرغني وجدان الأمة السودانية في ذلك الوقت وأثرا على السواد الأعظم من السودانيين فسعي الحكم الثنائي إلى استمالتهما ونجح في ذلك، الأمر الذي أدي إلى تعرض الطائفية الدينية للهجاء وهو نوع من الهجاء الذي يدعو للإصلاح والثورة على المستعمر وطرده[2].

يقول الشاعر عبد الله محمد عمر البنا* في ذلك:[3]:-

وهيكل عبدته الناس عن سرف كالسامري بلا عقل ودين
يحتال بالدين للدنيا ليجمعها سحتاً وتورده في قاع سجين

* عثمان هاشم، ولد ببربر سنة 1898م، ذكره سعد مخيائيل صاحب كتاب شعراء السودان.
[1] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص 268
[2] الشعر في المعارك السياسية، محمد محمد على ص313.
* عبد الله محمد عمر البنا، ولد 1891م، له ديوان البنا، كان عميد الأدب العربي بكلية غردون التذكارية.
[3] شعراء السودان ، ص 171، 172

يقول الدكتور عبده بدوي متحدثاً عن علاقة رجال الدين بالإنجليز (أما الحكم الثنائي فقد سمح بعودة الطرق الصوفية وبإذكاء الصراع الخفي بينها وبإظهار الاحترام لأقطابها بل لقد جذبوا للحفلات الرسمية مثل حفل تتويج الملك جورج ملك بريطانيا)[1].

وبلغ الأمر ببعض رجال الدين أن وقفوا موقفاً معادياً لثورة اللواء الأبيض، وانعقد اجتماع في بيت السيد عبد الرحمن المهدي حضره مجموعة من الأعيان ورجال الدين ورفعوا مذكرة مؤيدين فيها الإنجليز ومنددين بحركة علي عبد اللطيف وكتب أحدهم* مقالاً في جريدة حضارة السودان جاء فيه (إنها أمة وضيعة تلك التي يقودها علي عبد اللطيف)[2].

والشاعر مدثر البوشي* يدعو إلى تحكيم السيف وينعى على رجال الدين موقفهم المتخاذل من القضية الوطنية يقول[3]:-

يقال رجال لا وربك أنهم جديرون حقاً أن يقال الفواطم
نفوس أبت فعل الجميل لأهلها وأيد إلى الأعداء نعم اللهازم
فما روع العلياء إلا عمائم تساوم فينا وهي فينا سوائم

أقذع البوشي في هجاء رجال الطائفية الدينية الذين استكانوا للإنجليز وثبطوا همم الناس تمكيناً للإنجليز. ويرى الباحث أنهم مسئولون كبار لأنه قال (تساوم فينا)، ولكن يمكن أن يكون رأي رجال الطائفية هو حقن الدماء وعدم إثارة القلاقل وتحقيق مطالب الشعب بوسائل سلمية، ويكون هذا من قبيل الحكمة السياسية لأن اندفاع الشباب في بداية الشعر الوطني كان جارفاً ويرى أن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة . ويرى الباحث أن هنالك مواقف مشرفة للطائفية وإسهاماً لا ينكر حتى تحقق استقلال السودان.

المرحلة الثانية: 1898-1956 :-

وهي المرحلة التي شهدت قيام الحركة الوطنية الحديثة ومهدت لاستقلال السودان.

---

[1] الشعر الحديث د. عبده بدوي، عالم المعرفة ص 99

* وهو سليمان كشة أحد أعضاء جمعية الإتحاد.

[2] تأريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال ص 449

* مدثر البوشي، ولد بامدرمان سنة 1901م، تخرج في قسم القضاء الشرعي بكلية غردون له كتاب البعث الوطني،عين وزير العدل سنة 1954م.

[3] ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ص 91

يعرف الدكتور عبد الله حمدنا الله* الحركة الوطنية بقوله: (فالحركة الوطنية عندي هي الحركة التي قادها الشباب المتعلم في قلب الخرطوم وتمتاز بأن لها أهدافاً ولها تنظيماً وهي تبتدئ بجمعية الاتحاد السرية إبان الحرب العالمية الأولى وتنتهي مع الاستقلال)[1].

يرى الروائي مبارك الصادق* أن الحركة السياسية الوطنية كانت وليدة الحركة الثقافية من خلال الجمعية الأدبية التي انبثق منها مؤتمر الخريجين العام[2].

ويؤرخ الدكتور قاسم عثمان النور للحركة الوطنية بقوله :-

(وكانت الحركة الوطنية الحديثة تلك الحركة التي نشأت وترعرعت بعد ثورة 1924م، وقد قادها الخريجون وبدأت في أول أمرها حركة إصلاحية متواضعة، ثم ما لبثت أن أخذت أبعاداً أخري جديدة ، وقد لعبت الجمعيات الأدبية دوراً مهماً في هذه الحركة[3].

يرى الباحث أن العام 1916م يمثل البداية الحقيقية للحركة الوطنية الحديثة وذلك للعوامل الآتية :-

1. استكمال وتشكيل الوطن السوداني بمفهومه الجغرافي الحالي نسبة لسقوط دولة الفور الثانية وانضمامها للسودان بعد مقتل السلطان على دينار.
2. ظهور المدارس الحديثة التي أسهمت في رفع الروح الوطنية التي تدعو إلى استقلال السودان مثل كلية غردون يقول حسن نجيله*: (كانت كلية غردون تضم عدداً من الشباب المتوثب المؤمن برسالته نحو وطنه ، وكان لهم أثر واضح وبارز في المجتمع فهم يسهمون بخطبهم وأشعارهم في مختلف المناسبات كالاحتفال بالهجرة النبوية الشريفة وعيد الميلاد وغيرها من المناسبات التي استقلها المثقفون تنفيساً لما كانوا يلاقونه من كبت وخوف)[4].

---

* عبد الله حمدنا الله، أكاديمي معروف وأستاذ الدراسات العليا بجامعة أفريقيا العالمية ، له عدد من الدراسات والبحوث في التأريخ ، شارك في مؤتمرات علمية داخل وخارج السودان .

[1] جريدة الخرطوم، حوار مع دكتور عبدالله حمدنا الله، الخرطوم الثقافي 6 / 1 / 2009 ، ص 7 .

* مبارك الصادق، قاص وروائي سوداني وناقد ، صدرت له مجموعة قصصية مثل السير في الليالي الممطرة سنة 1979م ، من المؤسسين لرابطة سنار الأدبية .

[2] المرجع السابق

[3] أضواء على الحركة الوطنية – قاسم محمد نور – وزارة الثقافة – الخرطوم – 2004م ص3

* حسن نجيلة، ولد سنة 1918م، من أوائل المعلمين السودانيين عمل بعدد من الصحف، وصاحب مجلة القلم، له كتابان ذكرياتي في البادية وملامح من المجتع السوداني، يمتاز بعذوبة الكلمة، توفي سنة 1982.

[4] حسن نجيلة ، ملامح من المجتمع السوداني ، ص 128

3. الحرب العالمية الأولى وانعكاساتها على الداخل والخارج .
4. تأثير ثورة 1919م المصرية في الثوار في السودان فساعدت في بروز الوعي القومي .
5. ظهور الروح الوطنية التي تدعو إلى استقلال السودان .
6. انتشار الصحف في السودان مثل صحيفة الرائد وحضارة السودان
7. إرسال الطلاب السودانيين إلى مصر وتشبعهم بالروح الوطنية ومعايشة نضال الشعب المصري.

أ/ الملامح التأريخية للحركة الوطنية 1924 – 1953م :-

مرت الحركة الوطنية السودانية بأطوار متعددة كل طور فيها يحمل ملامح محددة تختلف عن الطور الآخر نتيجة للعوامل المؤثرة التي عاشها هذا الطور ولكنها تتفق كلها في الهدف الاسمي وهو تحرير السودان من الاحتلال البريطاني[1] .

اختلف المؤرخون[2] في فترة ما بعد المهدية وفي العام 1924م هل تشكل هذه الفترة الطور الأول من أطوار الحركة الوطنية الحديثة التأريخية أو لا ، وعلى الرغم من اختلافهم إلا أنهم متفقون على وطنية حركة علي عبد اللطيف ويعتبرونها الطور التمهيدي .

يتفق الباحثون على أن هذه الفترة شهدت أحداثاً جساماً قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى واندحار ثورة علي عبد اللطيف. وفيها استشعر أهل السودان هويتهم الوطنية فزاد الوعي الوطني وتطور في المدن، حيث ضعفت الروابط القبلية وتوفرت العوامل التي تعمل على شحذ الهمم والشعور القومي. وشهدت هذه الفترة قيام نادي الخريجين وقيام جمعية الاتحاد السوداني 1920م التي أسهمت في إذكاء روح الوطنية. إذ كان الانضمام إليها يتم على أساس الاقتناع السياسي وليس القاعدة القبلية ولكن تعرضت هذه الجمعية للانقسام الذي أدى إلى تكوين جمعية اللواء الأبيض التي فجرت الأحداث عام 1924م .

الطور الثاني: 1924 م – 1937م :-

---

(1) ملامح من المجتمع السوداني ، ص 128
(2) مر ذكره

ظهر شعاران في هذه الفترة الأول بعنوان (السودان للسودانيين) وعلى الرغم من ظاهره البراق إلا أنه يدعو إلى التعاون مع الإنجليز. والثاني بعنوان (وحدة وادي النيل) الذي يدعو للاتحاد مع المصريين ، ولكن ضعفت الحركة الوطنية في هذه الفترة للأسباب الآتية :-

- إبعاد المصريين من السودان .
- هزيمة جمعية اللواء الأبيض وتشريد أعضائها .
- إبعاد المثقفين من العمل السياسي المباشر .

الطور الثالث: 1938م - 1945م :-

شهدت هذه الفترة قيام مؤتمر الخريجين العام الذي سيطر على الحركة الوطنية من 1938م - 1945م و أدى دوراً عظيماً في الساحة السياسية ، فتوسعت رقعة التعليم وساعدت سياسة الإنجليز التي اتجهت إلى التعاون مع السودانيين بهدف إشراكه في الحكم ساعدت المؤتمر كثيرا في تنفيذ أهدافه ورغم اتفاق أعضائه في الأهداف إلا انه يحمل بذور خلافات جمة بينهم .

الطور الرابع: 1945م - 1953م :-

في هذا الطور ازداد الوعي القومي كثافةً و أدت عوامل شتى أدت إلى وصول الحركة الوطنية أعلى قمة لها من هذه العوامل نهاية الحرب العالمية الثانية وتكوين الأحزاب السودانية الوطنية ، والهيئات والتنظيمات الشعبية وتتويج نضال الحركة الوطنية بالاستقلال سنة 1956م .

الشعر في فترة الحركة الوطنية 1924م 1953م:-

تفاعل الشعر مع روح التحرير التي انتظمت الأمة وقام بدوره كاملاً في التعبئة والاستنفار واستنهاض الهمم والذي ساعد على ذلك أن معظم قواد هذه الروح كانوا أدباء وشعراء ساهموا بالكلمة والسيف في سبيل الانعتاق والتحرير[1] .

يقول د. عبده بدوي معلقاً على الشعر في هذه الفترة[2]:-

(تعتبر هذه الفترة من أخصب الفترات الشعرية الوطنية التي مرت على البلاد ذلك لأن آمال الشعب قد تحددت وطاقاته قد تفجرت لتطل على حياة جديدة وتكسب أرضا جديدة أرض الحرية).

يوافق الباحث د. عبده بدوي فيما ذكر ويرى أن التغيرات المحلية والخارجية هي التي أدت إلى تلك الخصوبة. فحاجة الأمة إلى الشعراء لن تنقطع فهم لسانها الناطق وجنودها المدافعون المتهافتون إلى الجهاد المتزاحمون على مورد الشهادة . وتواصل عواطف عمر عبد الله الحديث عن الشعر الوطني السوداني في عهد الاستعمار البريطاني المصري فتقول متحدثة عن الفترة الثانية وهي الفترة التي أعقبت ثورة على عبد اللطيف: (تناول الشعر في هذه المرحلة أغراض الشعر المختلفة من مدح ورثاء وهجاء وغزل ووصف ، أما الشعر السياسي فحظي بنصيب وافر من العناية لارتباطه بالحركة الوطنية فقد كان شعراء هذه الفترة أكثر ارتباطاً بقضايا الوطن ، وأعمق أحساساً بالوطنية من سبقوهم فبدءوا يمجدون الوطن ويرفعونه إلى أعلى الدرجات ويتبادلون في شعرهم القضايا الوطنية كالصراع القائم بين السودانيين والإنجليز ، ولما جاء العهد الثنائي اتخذ الوطنيون الشعر وسيلة لمنافحة هذا الحكم وتقويضه وحاولوا عن طريقه دفع الناس لمناصرة الحركة الوطنية[3].

يلاحظ الباحث أن فترة الثلاثينيات اتجه فيها الشعر إلى محاولة إحياء التراث والتأريخ الإسلامي ، والحديث عن بعض المظاهر الاجتماعية السودانية ، ثم مشاركته من بعد في مؤتمر الخرجين العام . وفي فترة الأربعينات أصبح الشعر يتحدث عن مواجهة الاستعمار بصورة مباشرة ، مثل أشعار جعفر حامد البشير وشاعر المؤتمر على

---

[1]- تأريخ الحركة الوطنية ، ص 227

[2] الشعر الحديث في السودان، د. عبده بدوي ص 125

[3] صالح عبد القادر – حياته وشعره – عواطف عمر عبد الله – ص67

نور ولكن الظاهرة التي نمت وبرزت أن الشعراء السودانيين أصبحوا يعبرون من خلال انتماءات سياسية، وهي ظاهرة لم تكن مألوفة من قبل وأيضاً أصبح الشعر يحمل أفكاراً مثل الاتحاد مع مصر أو السودان للسودانيين .

حدد السودانيون الهدف الأسمى بعد اندحار ثورة علي عبداللطيف وهو نيل الحرية والاستقلال وإن اختلفت الطرق التي تؤدي إلى هذا الهدف ، والشعر في هذه الفترة يمثل وقود المعركة فكلما خمدت نار الكفاح ألهب الشعر أوارها مرة أخرى وكان الصراع قائماً بين الإنجليز والمصريين والسودانيين فدارت محاور الشعر بينهم الثلاثة .

أولاً: الشعر والإنجليز :-

كان الإنجليز أهل السلطة العليا في حكم السودان وكانت مقاليد الأمور بأيديهم وتعددت العلاقات بينهم وبين السودانيين واختلفت نوعية هذه العلاقات فمنهم من شايعوهم وارتضوا حكمهم ولكن السواد الأعظم ناصبهم العداء[1].

مظاهر الشعر الوطني مع الإنجليز :-

يرى الباحث أن معظم الشعر الذي قيل في الإنجليز وحكمهم طابعه الثورة والرفض لهم ، وتحمل هذه الأشعار رفضاً واضحاً للضيم والظلم والتسلط للأمة وفيها تذكير بقوة السودانيين وفخر أصولهم المشهورة بالثبات .

إذا كانت هناك قلة مدحت الإنجليز فيكون ذلك لأسباب شخصية كما ذكرت أو مواقف عابرة أو مناسبات أو مصانعة لهم ، يقول هنري رياض متحدثاً عن الذين مدحوا الإنجليز ومعللاً لمدحهم إياهم بقوله (رغم أن بعض الشعراء مالوا إلى مدح الإنجليز خشية أو رغبة في الحصول على المزيد من الحظوة والمال والمنافع إلا أن البعض الأخر الذي أيد الاستعمار انطلق من تفكير معين وهو أنه كان يعتقد في الاستعمار الغربي بعض الفوائد التي يمكن أن تكون سبباً في نهضة وتقدم البلاد[2].

من الذين مدحوهم عبد الله محمد عمر البنا الذي يقول مادحاً الملك جورج الخامس[3]:-

---

[1] الشعر الحديث في السودان عبده بدوي ، ص 179

[2] توفيق صالح جبيرل – شاعراً وناثراً – هنري رياض – دار الجيل – بيروت – 1986م، ص37

[3] ديوان البنا ، ص 136

إلـــى أن وضـــعت الرحـــل فـــي ظـــل ماجـــد مليـــك مهيـــب للرغائـــب يبـــذل

يرى الباحث أنَّ مدح البنا للملك الإنجليزي لم يكن عن عاطفة صادقة أو نية في العطاء ، بل لأنه أنعم على سيده عبد الرحمن المهدي بالنيشان لأنَّه يخاطب عبد الرحمن بهذا البيت ومادحاً جورج بقوله[1]:-

فجاد فكان الجود منه سجيةٌ وأيقن أن الشكر بالملك أجمل

وصـــاغ لـــك النيشـــان قربـــاً وحليـــةً وإن كـــان صـــاغته الفضـــائل أول

تورط بعضهم فمدح الإنجليز مدحاً صريحاً مثل الشاعر عبد الحميد وصفي الذي قال مادحاً ملك الإنجليز مدحاً صريحاً[2]:-

رب الجلالـــة جـــورج مـــن تعنـــو لـــه كـــل الملـــوك بذلـــة وصـــغار

هـــو شـــبل إدوارد العلـــى حفـــيده مـــن بـــين الأنـــام لـــه عظـــيم فخـــار

وكان مدح الإنجليز الغرض منه التفاتة الإنجليز إلى البلاد، وإقامة حكم العدل فيها والقضاء على الجهل الذي كان الداء اللعين فكم أشقي وكم أذل فكانوا يأملون منهم أن يعمروا الأرض، ويبسطوا فيها النعيم. ويرى الباحث أن هذا هو السبب الذي حدا بالشعراء لمدح الإنجليز فمعظم القصائد التي قيلت في عهدهم كانت تحوي هذه المطالب يقول حمزة الملك طمبل[3]:-

أسعدونا فقد شقينا بجهل مطبق كالدجى وفقر وبؤس

وأقيموا فنحن أحوج منكم ليد تعمر البلاد ورأس

وادفعونا إلى الأمام فأنتم أقدر العالمين من غير لبس

يقول صلاح الدين المليك معلقاً على هذه القصيدة التي مدح بها الشاعر حمزة الملك طمبل الإنجليز وملكهم بقوله: (طمبل يحب الكمال والرجولة، لذا جاشت عواطفه ونظم هذه الأبيات لا ترحيباً باللورد ولا إكراماً لأهله في شخصه، وإنما تقديراً لصفات إنسانية وإشباعاً لنوازع شخصية و إنه بهذا يمثل نبل الخصم المهزوم الذي يتجرع مرارة الهزيمة ويحس بالانكسار لكنه يمدح خصمه في اعتداد يمليه عليه كريم الأخلاق)[4].

---

[1] ديوان البنا ، ص 136

[2] شعراء السودان ، ص 210

[3] ديوان الطبيعة ، ص 52

[4] شعراء الوطنية – د. صلاح الدين المليك – دار التأليف والنشر – جامعة الخرطوم – ص160

ومهما كان التعليل برجاء تحقيق السعادة من الإنجليز والدفع إلى التقدم والرفاهية ، إلا أن الباحث يرى أن الشاعر لم يحالفه التوفيق في عبارة (أقيموا) للمحتل ولا اعتقد أن هناك شاعراً آخر طلب الإقامة للإنجليز . فمهما فعلوا من خير وأسدوا من معروف يبقي اغتصابهم للأرض ونهبهم لخيراتها غصة في حلوق الكثيرين .

ويقول الشريف محمد أحمد عبد الرحمن مخاطباً الحاكم العام[1] :-

أنل الشعب هناءً وسرورا واملأ القطر نعيماً حبورا
واقض بين الناس ما شئت تجد شعبك المخلص للنعمى شكورا

وبلغ بعض الشعراء مرحلة متطورة في مدح الإنجليز فعاتبوا المواطنين الأحرار الذين رفضوا الظلم وثاروا على الإنجليز فعندما أضرب طلبة كلية غردون تحامل عليهم الشاعر ممجداً الحاكم العام بقوله[(2)]:-

وكان زمانه عدلاً ويمناً وخيرات ورحمات وعيداً
وأنت عميد أهل الفضل فاصفح وكن لشباب نهضتنا عميداً
وملتمسا لذلتهم سبيلا جعلت لكل منحرفٍ رشيدا

والشاعر بقوله هذا يريد أن يشفع للطلاب عند الحاكم العام، فمدحه هنا من أجل الصفح عن الطلاب، ولا يراه الباحث موالاةً للإنجليز، ويكون الشاعر بهذا المدح أفاد الحركة الوطنية لأنه استطاع أن يحمي خيرة الشباب من فتك الإنجليز.

ولكن الشعر الذي قيل في مجابهة ومناهضة الإنجليز كان أقوى وأعنف وأكثر فدخل كل الشعراء معركة التحرير يلهبون الحماس ويغذون الوجدان ببديع القول ورائع الشعر. اتخذ الشعراء في هجاء الإنجليز مظاهر شتى فبعضهم عرض بهزيمة الإنجليز في الحرب العالمية الثانية وذكرهم بكفاح السودانيين معهم ولم يجنوا منهم سوى الوعود السراب يقول الشريف محمد أحمد عبد الرحمن[(3)]:-

سئمنا الوعود الخاليات وعذرهم وخبث مساعيهم وسود المزاعم
وكنا لهم درعاً غداة تقهقروا ويطاردهم جيش العدو المهاجم
وثرنا على الطليان في غير أرضنا ونحن رجال الحرب عند التصادم

---

[1]- صحيفة السودان ، 1946/22م
[(2)] المرجع السابق ، ص 72، 73
[3] - المرجع السابق

وأبيات الشاعر هذه تدل على خيبة الرجاء ومرارة الخداع والغش عند الإنجليز الذين لم يقدروا صنيعهم ووقفتهم معهم ساعة الضيق، وقريب منه قول محي الدين صابر*[1]:-

أنحن في كل مرة سند للعاجزين يد والحرب هوجاء
في (طبرق) دمنا يشكو وفي كرن وفي الصحراء حشاشات وأحناء

والشاعر هنا يخصص طبرق وكرن اللتين شهدتا بعض مواقع الحرب العالمية الثانية وكان المظهر الأبرز بعد التعريض بهزيمة الإنجليز تصوير طغيانهم وظلمهم الذي تعدد وأخذ أشكالاً شتي، فهذا شاعر يصورً طغيان الحاكم العام[2]:-

طغى فأعد للأحرار سجناً وصير أرضنا سجناً مشاعاً
هما سجنان يتفقان معنى ويختلفان ضيقاً واتساعا

وعندما أمتن السير روبرت على أهل السودان وذكرهم بفضل الإنجليز عليهم انبرى له جعفر حامد البشير[3] :-

طغى فاعد للأحرار سجناً وصير أرضنا سجناً مشاعاً
هما سجنان يتفقان معنى ويختلفان ضيقاً واتساعا
مننت علينا بالرفاهة والغنى وبالعلم والعمران ما أعظم المنا
و أردفت أنا قد رفعنا بلادكم إلى المستوي الأعلى وكانت من الأدنى
يقول تقدمتم كثيراً بعهدنا ونحن نري أنا كثيراً تأخرنا

والمظهر الثابت من مظاهر هجاء الإنجليز مهاجمة الشعراء للنظم الدستورية التي خصصها الإنجليز للموالين لهم ويرى الباحث أنهم خصصوها لتكون غطاء لهم وليحدثوا فتنة بين السودانيين ونال المجلس الاستشاري لشمال السودان النصيب الأوفر من السخط ، ودعا الشعراء لمقاطعة هذه النظم .

يقول الشاعر جعفر حامد البشير*[4] :-

---

* محي الدين صابر، تعلم بمصر وحصل على الدكتوراة، شعره قليل، لا ديوان له.
[1] الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي ص 544 .
[2] المرجع السابق، ص13.
[3] حرية وجمال جعفر حامد البسير ص 49
* جعفر حامد البشير، شاعر وأديب سوداني، عمل بالصحافة والإعلام، ورأس تحرير مجلات وصحف مختلفة، له ديوان شعر بعنوان حرية وجمال.
[4] - حرية وجمال ، ص 53 .

ألا قاطعوا لا نظم الله عقدها مجالس للتشريع واهية العقد

مجالس يقتاد الدخيل ذمامها فتنقاد حيرى لا تعيد ولا تبدي

وكان جعفر حامد حاداً في مهاجمة أعضاء هذا المجلس فهجاهم وسخر منهم بل وصل حداً وصفهم (بالأنجاس) يقول[1] :-

قد أجلسوا الأخشاب في الكراسي

رمزاً إلى النفاق والإفلاس

من كل وسواس لهم خناس

وكل فرد ينتمي للناس

مجرد من نعمة الإحساس

ما أشبه الأنجاس بالأنجاس

ثانياً: الشعر الوطني ومصر :-

كانت مصر الشريك الثاني في حكم السودان وساهمت بالرجال والمال في فتح السودان وكانت بدورها تتبع لانجلترا فلم يهاجمها الشعراء السودانيون إلا بعد موقفين[2].

الموقف الأول :-

عندما غدرت بثوار اللواء الأبيض فلم تشارك في المعركة حسب الاتفاق وانكشف ظهر الثوار وهزموا .

والموقف الثاني :-

عام 1954 م حيث فهم المواطنون أن مصر تقف في طريق تقدمهم وإنها ستتدخل حين يكون الاستفتاء في صالحها .

بخلاف هذين الموقفين كان السودانيون يكنون حباً صادقاً لمصر ، بل إن كثيراً من السودانيين كانوا يربطون مصيرهم بمصر وظهر شعاران في هذه الفترة أقواهما الشعار الداعي للوحدة مع مصر .

من الأسباب التي دعت السودانيين لحب مصر ذهاب الطلاب السودانيين إلى مصر وتلقيهم العلم في جامعاتها التي فتحت أبوابها لهم بكل سهولة تقول زينب الفاتح

---

[1] حرية وجمال جعفر حامد البشير ص 82

[2] تأريخ السودان الحديث ص 441

البدوي: (كانت مصر هي قبلة الطلاب السودانيين الذين تحرمهم الإدارة البريطانية في السودان فرصة التعليم العالي لأسباب سياسية فيهرعون إلى الجامعات المصرية فتقبلهم بسهولة ويسر)[1] .

يقول سعد الدين فوزي* في طلبة سودانيين سافروا إلى مصر لتلقي العلم[2]:-

ذهب الرفاق إلى الكنانة مسرح الأدب الرحيب

في كعبة العلم المباح لكل أبناء الجنوب

عمل كثير من الشعراء تحت راية الوحدة مع مصر لأنهم يرون فيها الخلاص من مشاكل السودان .

يقول حسن طه[3]:-

يا وحدة أثبت التأريخ نشأتها من عهد خوفو ومن توت عنخ آمونا

مصر هي الرأس للسودان قل لهم كلاهم وحدة جسماً وتكوينا

ويقول عبد الله عبد الرحمن وكان من أشد دعاة الاتحاد مع مصر[4] :-

إنما مصر والعروبة والسودان شعب أبى الإله انفصاله

اشتهر محمد سعيد العباسي بمحبة مصر فهو مفتون بها وديوانه وثيقة ناطقة بحبها و يعلن مذهبه السياسي ويعول على مصر في النهوض بالسودان لأنهم أقرب الناس إلى أهله يربطهم بهم رباط الدم واللغة يقول[5] :-

بني مصر الكرام ولا برحتم مثالاً للشعوب العامليا

سعيتم نحو غايتكم كراماً وذدتم دونها مستبسليا

خذوا بيد البلاد وثقفوها وكونوا في حوادثها المعينا

ويرى الباحث أن تيار الشعراء الأقوى كان الداعي لوحدة مصر مع السودان.

---

[1] التجديد في الشعر السوداني المعاصر، زينب الفاتح البدوي . دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الاولى 1985 م، ص 5 .

* سعد الدين فوزي، شاعر سوداني ولد سنة 1921م ، تخرج في كلية غردون وتخصص في الاقتصاد ، أسس كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم له أبحاث وديوان شعر بعنوان: من وادي عبقر .

[2] المرجع السابق ص 5

[3] صحيفة صوت السودان 1946/10/16م

[4] ديوان الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن، ص103.

[5] ديوان العباسي، ص120.

والتيار الآخر الداعي إلى فصل مصر عن السودان ومعاملتها معاملة الند يقوده شعراء كثيرون أشهرهم أبو القاسم محمد عثمان الذي أحبطه موقف مصر تجاه قضايا السودان بعد أن كان من الداعين للوحدة معها فانقلب عليها بقوله[1]:-

كنت أشدوا بها هزاراً وفياً فتسير الأيام أيان أذهب
غير أنى صحوت من حلم أراه ومن نومة الضمير المغيب
لست أرضى إذا استباح كبير كبريائي ولست أعنو لمنصب
إن في مصر ياندیمي يا شيخ حياة إلى المذلة تنسب

ويتواصل الغضب العارم على مصر ويتذكر الناس هروبها من معارك 1924م ، يقول توفيق صالح جبريل* مستنكراً هروبها وخيانتها للأبطال وعدم اشتراكها في المعركة التي قضت على ثورة اللواء الأبيض[2].

أين كنتم وكان هذا الولاء يوم هانت على البلاد الدماء
يوم هب الشباب والتهب العزم ونادى إلى الأمام الغرباء
يوم نادي لتحيا مصر ويحيا النيل وليربط البلاد الإخاء
يوم خانتكم القوى وتوارت الوجوه القبيحة الصفراء

استخدم الشاعر الاستفهام الإنكاري الممزوج بالحسرة والندم والحزن على موقف مصر التي يراها السودانيون قبلة أنظارهم وشريكة مصيرهم فسقطت مصر عند كثير من الشعراء السودانيين .

محاور الشعر الوطني في فترة الحكم الثنائي:-

سلك الشعر الوطني في تلك الفترة اتجاهات وطنية معينة أهمها :-

1/ البكاء على الماضي :-

انقسم هذا الاتجاه إلى اتجاهين عام وخاص ، أما العام فكان بكاء على ماضي المسلمين والأمة الإسلامية . وأمة وادي النيل و كانوا يرددون ذكر المدن الإسلامية

[1] صحيفة العلم 1949/1/23م

* توفيق صالح جبريل، شاعر سوداني، أحد أعضاء جمعية الاتحاد السودان، عاش في الفترة 1897، 1966م، له ديوان أفق وشفق، عمل فترة بالتدريس.

[2] صحيفة السودان الجديد 1955/8/15م

العربيـة والخلفـاء العظـام ومـا إلـى ذلـك ويقتـرن هـذا كلـه بتصـوير هـوان الحاضـر وذلتـه وحقارته ويعزون سبب ذلك إلى ضعف الوازع الديني[1] .

يقول عبد الله محمد عمر البنا :-

سل دار عاتكة عن شأن عاتكة
فيها وعن سائل فيها لـهارون
وسـل زبيدة عن قصر تبوأه
بعد الأمين حسام الشهم مامون
أخلي منابرها من في مقابرها
من كل متضـح الآثار مدفون
وقبلها أبك دمشقاً أنها فجعت
بسـادة عبروا الدنيا سلاطين

وكان هدف الشعراء من هذا إثارة حميـة النـاس ليفيقوا من سباتهم وهذا عثمـان هاشم يقول أيضاً[2] :-

واهٍ على الإسلام أصبح ضائعاً أودى بـه وأماته الإظلام
بالأمس كانت دولة العز التي صال الرشيد بها وطال هشام
واليوم أطفي نورها وجلالها والمسلمون مفرقون نيام
هذي الجزيرة وهي باكية أسي والهند تندب حظها والشام

و يذكر الشاعر عبد الرحمن شوقي* وادي النيل ويحزن لما أصابه ويهجو أبنـاءه الذين أسلموه للمستعمر بقوله[3] :-

مضـى الزمان وقلبي ممتلئ ألماً
وفي فؤادي أسى كالنار مضطرما
حزناً علـى أمةٍ بالنيل قائمةً
تشكوا الأوار وأخشى أن تموت ظمأ
كرت عليها سنون ما انتهت وبـدا

[1] شعراء السودان ، ص 151
[2] شعراء السودان ، ص 268
* عبد الرحمن شوقي، شاعر سوداني، ولد سنة 1896م، تخرج في قسم المهندسين في كلية غردون التذكارية.
[3] شعراء السودان ، ص 204

هذا الهـلال إليها اليوم مبتسما

وفي الاتجاه الخاص يقول: محمد سعيد العباسي* باكياً سنار[1] :-

زرت سنار الجوانح أثري زفرات هدت قوى الصبر هدا

إن محا الدهر حسنها فلقد كانت مراداً للمعتفين وخلدا

لهف نفسي فقدتي يا قبلة الخير كهولاً حموا حماك ومردا

وانحصر الاتجاه الخاص في البكاء على ماضي السودان ولكن هذا الشعر في هذه الفترة قليل .

يرى الباحث أن هذا المحور من الشعر الوطني السوداني مرده إلى الإحباط الذي اعترى الشعراء جراء تقاعس السودانيين وفتور همتهم واستكانتهم للإنجليز ورأى الشعراء في ذكر هذه المعارك استنهاضاً للهمم وتذكيراً لأهل السودان بمقدرة أجدادهم على الرغم من بدائية سلاحهم من مقابلة الأعداء ودحرهم فهي دعوة صريحة ليحذوا حذوهم .

وحظيت مواقع المهدية شيكان وتوشكي وكرري بمكانة خاصة عند الشعراء وكان شاعرنا محمد المهدي المجذوب دائم الذكر لكررى . (وسيتوسع الباحث في هذا الموضوع في جانب آخر من جوانب البحث) .

يقول محمد المهدي المجذوب[2]:-

بالسفح من كرري بقية ثورة حملت لسيف كريهة مدرار

جبل به أثر الدمـاء كأنه عطر بذابل أغصن وثمار

أنبوءة في صخرة مكتوبة ثنيت وراء تجلد ووقار

يقول الشاعر في جبل سرغام الذي شهد المعركة الفاصلة بالقرب من كرري[3]:-

فيك يا سرغام سر حير الشم الجبالا

تلك يا سرغام حرب آه لو كانت سجالا

لا تسل عن ملك قوم بل فسلني كيف دالا

* محمد سعيد العباسي، شاعر سوداني، ولد بالنيل الأبيض، سنة 1880م، له ديوان شعر يحمل اسمه، درس في الخلوة وبمصر، وهو من بيت زعامة دينية.

[1] ديوان العباسي ، ص 42

[2] - نار المجاذيب ، ص 31

[3] صحيفة الفجر، عرفات محمد عبد الله 1934/12/16م

فالشاعر يتحسر على ذهاب ملك قومه ويرسل أنات دامية ويتأوه على الحكم الوطني الذي انتهي بنهاية الدولة المهدية في كرري .

نجد في سجل التأريخ الوطني بالسودان شخصيات مؤثرة قادت هذه الأمة إلى معاني العزة والكبرياء وحاكت من أهازيج البطولة أغاني يرددها الزمن يقول محمد المهدي المجذوب متحدثاً عن مهيرة بنت عبود[1].

مهيرة كم أمنت بها ولى أماني حين فرقنا الغرام
أقول لها أحبك وهى تصغي إلى شبح وضيعني الظلام
وعاد الصبح مبتسماً شجاعاً فقلت له لقد ذهب السلام

2/ **شعر المناسبات :-**

ظهر نتيجة لسياسة القهر والتسلط التي انتهجها الإنجليز في بداية عهدهم على الشعراء وكافة شرائح المجتمع خوفاً من إثارة الوعي في النفوس . يقول فضيلي جماع: (كان الشعراء يتصيدون المناسبات الدينية العامة فيجدها الشعراء سانحة يطرقوا فيها على آذان المستمعين من جمهور الحفل لأنها كانت لا تنشر في الصحف لأن فيها خشن القول والهمز واللمز والطعن في المستعمر) .

وتميز شعر المناسبات بالخصائص الآتية :-

أ- محاربة الجهل والخرافة وبث الوعي القومي .

ب- جاء أكثره في المناسبات الدينية مثل الهجرة والأعياد وكذلك في المناسبات الاجتماعية .

ج- أسهم في إشعال ثورة 1924م لأنه حمل بذور الدعوة لمحاربة الطائفية .

د- أدي دوراً كبيراً للحركة الوطنية لأنه كان يعتمل بثورة غامضة وحارب الفساد وكانت المناسبات الدينية تهدف إلى إيقاظ المشاعر الوطنية والدعوة إلى الثورة يقول الشاعر حسيب على حسيب مخاطباً الهلال.

بلادي أنت ريحاني وروحي وأنت حقيقتي ومدي خيالي
بني وطني وما ناديت إلا بني الهيجاء في يوم النزال
بلادكم تروم بكم حياة وما الأوطان إلا للرجال[(1)]

[1] الشرافة والهجرة ، ص 37 .

3/ الحنين إلى الوطن :-

وتجلى هذا الفن في لحظات الغربة والسفر والابتعاد عن الوطن (السودان) ، يقول خليل فرح* يناجي بلده وهو مسافر[1]:-

يا دار عاتكة ومهد حياتي
ومثار أهوائي وأصل رشادي
لك كالطبيعة في الخمائل روعة
وعليك من سحب الجلال هوادي

يقول حسن نجيلة[2]: (كان خليل فرح أحد شباب ثورة 1924م ، إذ جعل من فنه وأغانيه ترانيم للحركة الوطنية شدا بها الحداة وغنتها الجماهير في كل مكان) .

يقول فضيلي جماع :-(من العوامل التي جعلت شعر خليل فرح في الوطنية قريباً من الذوق العام إكثار الخليل من مدح الوطن والإشارة إليه بضمير الجماعة نحن وانصرافه لقضية الوطن شاعراً ومغنياً حتى اشتهر به وكان خليل فرح يسبح وحده في كتابة الشعر السياسي وكان ظاهرة شعرية سباقة[(3)]).

4/ مدح زعماء الطائفية :-

انقسم الشعراء إزاء هذا الاتجاه إلى قسمين: القسم الأول غاضبون عليهم لموالاتهم للإنجليز والقسم الثاني مدحوهم وأثنوا علي جهودهم .

خص الشعراء عبد الرحمن المهدي بشعر كثير لأنهم عندما يمدحونه سيتذكرون ماضي دولة المهدية يقول عبد الله محمد عمر البنا[4] :-

يا بن الذي خضعت ميل الرقاب له
وأتعب السيف و الأرماح و القلما
يود كل عزيز أن هامته
نالت بعزتها ما يوطئ القدما

---

(1) حضارة السودان حسيب على حسيب – 1934/5/7م

* خليل فرح، ولد عام 1898م، قال الشعر الفصيح والعام، شاعر مطبوع، له ديوان شعر، ساهم في الحركة الوطنية، توفي سنة 1932م.

[1] ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة

[2] ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ص 194، دار الخرطوم للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1994م

(3) قراءة في الادب الحديث، فضيلي جماع – الطبعة الأولى 1991م – ص7

[4] ديوان البنا ، ص 144

يقول الشاعر محمد عمر البنا مادحاً السيد على الميرغني وهو مدح ذو طابع سياسي[1]:-

من اتبع الهوى شرقا وغربا فإنَّ هواي أصبح ميرغنياً
نزلت بنسبتي لهم مكاناً وزرت قريع مجدهم علياً
عرفت الشمس منه فلا أبالى إذا استخفي سهيل أو ثريا

حظي آل المهدي بالمديح بصفة خاصة أكثر من آل الميرغني ، يقول الأستاذ محمد محمد علي: (مدح السيد عبد الرحمن المهدي أكثر مما مدح السيد على الميرغني لأن السيد علي الميرغني لم يمارس العمل السياسي المباشر كما مارسه السيد عبد الرحمن المهدي)[2] .

ويرى الباحث أن هذا يعود إلى الأسباب الآتية :-

1- تأريخ جدهم الإمام محمد أحمد المهدي البطولي وتحرير السودان على يديه.

2- تبني آل المهدي شعار الدعوة إلى الاستقلال (شعار السودان للسودانيين).

5/ مدح الأبطال السابقين :-

حظي الزبير ود رحمة بشعر كثير ، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد المرضي[3]:-

كنف الزبير الهاشمي أصالة غوث الأرامل عصمة المستعصم
أرقصت خيلك في ربا مغناهم وغناؤه صوت الحديد الأعجم

6/ الشعر الوطني الصريح :-

اتفق في هذا الاتجاه معظم شعراء هذه الفترة وكان الهدف منه القضاء على الحكم الثنائي ونيل الحرية وتطور هذا الاتجاه بتعاقب الفترات إلى أن نال السودان استقلاله ولم ينته بنيل الاستقلال وإنما واصل مسيرته القاصدة نحو الإصلاح ونقد الممارسات الخاطئة في عصر الاستقلال .

يقول عبد الرحمن شوقي مستنكرا إقامة السودانيين على الذل والهوان والضيم ناعيا عليهم الاستكانة والشتات ، مذكراً لهم بماضي الأجداد وعراقة الحسب والنسب مفضلاً الموت على هذه الحياة البائسة[4].

---

[1] ديوان البنا، ص159
[2]- الشعر في المعارك السياسية ، محمد محمد علي ، ص 313
[3] الشعر الحديث في السودان ، ص 423
[4] شعراء السودان عبد الرحمن شوقي ، ص 199

أترضى أن تضام وأنت حرٌ
وتسمح أن تلين لهم قناتي
فحدث عن بني النيلين قوماً
بأدنى النيل أو أعلى الفرات
بأنا ننتمي حسباً ومجداً
إلى من في الجزيرة من رفات
وليس الجود بذل دريهمات
لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد
ليحيا أهلها بعد الممات

7/ الشعر السياسي :-

وهو نوع من أنواع الشعر الوطني لا يعمد إلى المواجهة المباشرة مع المحتل، بل يعمد أصحابه إلى مصانعة الإنجليز وتنوير الشعب بقضايا الأمة وتكوين الجمعيات الوطنية ذات الأهداف المتعددة .

يقول فضيلي جماع: (يستوقفنا الرعيل الأول في مطلع هذا القرن بحسه الوطني التقليدي العميق ، وحين نقول التقليدي فإننا نعني أن هموم الوطن كانت محصورة وواضحة للعيان مثل رحيل المستعمر من التراب الغالي ، وأخري سمو وتقدم هذا الوطن المتخلف ليلحق بركب الحضارة أما الموضوع الأول رحيل المستعمر فقد اختلفت درجة الإفصاح عنه بين شعراء النصف الأول من هذا القرن بين مجاهر ومهادن)[1].

فنلاحظ أن أكثر الشعراء في هذه الفترة آثروا السلامة فلم ينفعلوا بإحداث البلاد وقضاياها لأن قبضة الإنجليز كانت تضغط على مشاعر المواطنين خصوصاً بعد اندحار ثورة على عبد اللطيف ولم يكن مسموحاً بنشر ما يخالف سياساتهم ومن أشهر القصائد في هذا الشأن قصيدة توفيق صالح جبريل وهي تدور حول زيارة اللنبي[2] :-

أيها القوم لا تجروا الذيولا

---

[1] قراءة في الادب السوداني الحديث – فضيلي جماع – ص 136
[2] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ، ص 199

يأنف الحر أن يعش ذليلا
سمتونا العذاب ضيقتم الأرض
علينا حتى هوينا الرحيلا
جمع الجمع أرهب القوم حتى
أصبح السيد النبيل ذليلا

ويقول الشاعر إبراهيم بدري مخالفاً رأي أعضاء جمعية الاتحاد حين أرادوا حلها نتيجة الوشاية من أحد أعضائها بالمسئول البريطاني صمويل عطية قلم المخابرات في ذلك العصر [1] :-

عهد قوي لم تزده الحادثات سوى ازدياد
ويحوطه القصد ال شريف وأشرف القصد الجهاد
من أجل فرد خائن تبغون حل الاتحاد
والمرء يقطع زندة خوف التسمم والفساد

العروبة :-

أحس الشعراء بالقومية العربية وكان إحساسهم بها عفوياً عميقاً لا يقف عند بلد دون بلد وإنما هو الكيان الممتد بين آسيا وأفريقيا .

يرى الباحث أن شعر العروبة بدأ منذ العصر التركي المصري وكانت بدايته قصيدة الشيخ يحيى السلاوي في مدح عرابي ، وثمة ملاحظة مهمة هي أن شعر القومية العربية في العهد التركي إسلامي بحت وليس بمفهوم القومية العربية في هذا العهد الذي شهد الحركات القومية العربية الحديثة ذات الأيدولوجيات المختلفة .

يقول مبارك المغربي* متحدثا عن الأمة العربية جاعلها وطناً واحداً لا انفصام له [2] :-

آه للعروبة جسم لا انفصام له لا يعرف الجسم أجناسا وأوطانا
إن جئت دجلة قد شاهدت ليبية أو زرت نجدا فقد جئت لبنانا
وإن دعاك الهوى يوما إلى يمن فقد نزلت بها مصر وسودانا

[1] ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ص
* مبارك المغربي، شاعر سوداني، توفي 1982م، رقيق العاطفة، له ديوانا شعر، عصارة قلب وأناشيد.
[2] عصارة قلب، مبارك المغربي ، ص 105

هيهات أن يفسد الباغون وحدتنا إذا وقفنا تجاه الحق إخوانا

10/ أفريقيا :-

لم ينس السودانيون إفريقيتهم ، والقبائل الإفريقية تشكل جانبا مهما من تكوين البلاد العضوي ، ومن أكثر الشعراء الذين ارتبطوا بالزنوج والأفارقة شاعرنا محمد المهدي المجذوب الذي صرح بهذا الشعور كثيرا في شعره ونراه مأخوذاً بحياتهم يقول[1] :-

فليتي في الزنوج ولي رباب تميل به خطاي وتستقيم

وفي حقوى من خرز حرام وفي صدغي من ودع نظيم

واجترع المريسة في الحواني وأهذر لا ألام ولا ألوم

يرى الباحث أن الذين نقدوا الشاعر في هذه القصيدة لم ينتبهوا لعبارة: (ليتي) التي ذكرها فهي أداة للتمني والتمني هو طلب أمر غير مأمول في حصوله فكيف ينقده النقاد في أمر لم يفعله ؟ وسار على هذا النهج شاعر أفريقيا وصوتها المجلجل محمد مفتاح الفيتوري* الذي يقول[2] :-

قلها لا تجبن لا تجبن قلها في وجه البشرية

أنا زنجي وأبي زنجي الجد وأمي زنجية

أنا أسود لكني حر أبغي نيل الحرية

وتدور معاني الشعر السوداني في أفريقيا حول تصوير البؤس الذي يعيشون فيه والظلم الذي ارتكب في حقهم مثل الرق والتفرقة العنصرية .

يقول د. عباس محجوب جودة[3] معلقاً على شعر الفترة الثانية هذه: (صيغ شعرهم بالحماس والوطنية والقومية بمعناها المحلي فكانت دعوتهم وتثقيفهم بحيث يكونون أهلاً للمسئولية وتحمل تخليص الشعب من الاستعمار وكانت ثقافة هذه الفترة بشرت بالتجديد وفتحت المنافذ على الأدب الغربي وفنونه) .

ويواصل د. عباس محجوب[4] تعليقه على هذه الفترة: (ودعت قصائد هذه الفترة إلى معالجة التمزق داخل المجتمع الواحد والدعوة إلى الوحدة الوطنية والتكتل في مواجهة

---

[1] منابر ، ص 20

* محمد الفاتح الفيتوري، ولد في الجنينة سنة 1930م، درس بالعهد الديني، عمل بلبنان، وليبيا، من مؤلفاته أغاني أفريقيا وعاشق لأفريقيا.

[2] أغاني أفريقيا، الفيتوري ، ص 28

[3]- الشعر السياسي في السودان ، د. عباس محجوب جودة ، ص 60

[4]- المرجع السابق

الاستعمار كما ركزت على نشر مفهوم الوطنية بمعناها المحلي الذي أصبح مقبولاً إلى حد بعيد فلم يكن في أوائل العشرينات مفهوم للوطنية واضحاً بل كانت مرتبطة بالدين) .

الفصل الأول

حياة الشاعر وبيئته وآثاره الأدبية

المبحث الأول

حياة الشاعر

اسمه ونسبه :-

هو محمد بن الشيخ محمد المهدي المجذوب بن الفقيه محمد بن الفقيه أحمد بن الفقيه جلال الدين بن الفقيه عبد الله النقر بن الطيب النيَّة الشاذلي بن الفقيه حمد بن الفارس الفقيه محمد المهدي المجذوب بن على البكاء (من خشية الله) بن حمد ضمين الدامر بن عبد الله المشهور برجل (درو) بن محمد بن الحاج عيسي ود قنديل بن حمد بن عبد العال بن عرمان[1].

وينسب الشاعر إلى قبيلة الجعليين، وكان آباؤه فقهاء ومشايخ طريقة الشاذلية المشهورة بمنطقة الدامر. وفي ذلك يقول[2]:-

وأنـــا الشـــاعر أهلـــي جعـــل والمجاذيـــب مكاشـــيف الغمـــر

والمكـــايلاب وشـــيخي عطـــوة مـــنهم الراهـــب موســـي والنقـــر

وكان يلقب بالشعبي نسبة لاهتمامه بقضايا الشعب[3].

مولده :-

ولد الشاعر محمد المهدي المجذوب في مطلع عام 1919م بمدينة الدامر[4] ، وذكر محمد مصطفي هدارة[5] في كتابه تيارات الشعر العربي المعاصر أن مولده كان في سنة 1919م ودعَّم قوله هذا ببيتي شعر له، الأول من قصيدة له نظمها عام 1949م يقول فيها[6]:-

إن عشرين من حياتي وعشراً ملأتني مرارة واختيالا

والثاني من قصيدة أخرى نظمها عام 1954م يقول فيها:-

---

(1) نار المجاذيب، محمد المهدي المجذوب، لجنة التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، 1969م، ص9.
(2) الشرافة والهجرة، محمد المهدي المجذوب، لجنة التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، 1973، ص 178.
(3) جامعة الخرطوم ، قاعة الشارقة – الدكتور أحمد محمد البدوي، محاضرة عن الشاعر محمد المهدي المجذوب.
(4) دراسة بيلومترية وثائقية، د.قاسم عثمان النور، وزارة الثقافة، الخرطوم، بدون، ج1، ص2.
(5) تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، د. محمد مصطفي هدارة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1972، ص323.
(6) نارالمجاذيب، ص299.

وجاوزت من عمري ثلاثين حجة وخمساً ولم تصدق هوي المواعد[1]

نظم الشاعر القصيدة الأولى عام 1949م وعندما قال: (إن عشرين من حياتي وعشرا) أي ثلاثون عاماً مضت وهذا يعني أنه ولد في عام 1919م، وكذلك القصيدة الثانية التي نظمها عام 1954م والتي ذكر فيها أن (عمره خمسة وثلاثون عاماً) وهذا يعني أنه ولد عام 1919م.

ويقول الدكتور عثمان محمد عثمان كنه*: إنَّ مولده كان عام 1919م.[2] ويرجح الباحث أنَّ مولده كان 1919م استناداً إلى مقابلة شخصية مع ابنه عوض الكريم*[3].

طفولته :-

كانت طفولة الشاعر محمد المهدي المجذوب بالدامر ذات أثر واضح في شعره ، وبلغ إعجابه بالطفولة درجة عالية حتى لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر الطفولة ، بل إن الكثير من قصائده تعددت فيها الصور التي تمجد هذه المرحلة من العمر.

يقول المجذوب[4] :-

أذكرت سدراً بالجزيرة شابكاً والطلح مثل عجائز أشباح

أتأمل النبق المنضر صبغة منها زمام جيبي المسماح

ذهب الصبا ذو العدل غير مجامل وطوي الرماد صباحه الصباح

وفي ذكره للصبا والطفولة يتحسر الشاعر على ذهاب أيامه الأولى، فهاهو يقف عليه ويقول [5]:-

سلام على ظل الصبا وهو وارف تبسم في نواره وهو فاقع

وقفت له من بعده كل دمعة يرق بها طفل من الحزن راضع

---

(1) المرجع السابق، ص 110.

* دكتور عثمان محمد عثمان كنة، ولد عام 1958م، حصل على الدكتوراه من جامعة أفريقيا العالمية، عمل محاضر بعدد من الجامعات السودانية، له عدد من الأبحاث، يعمل الآن مدير مركز التعليم عن بعد جامعة جوبا.

(2) الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب، د.عثمان محمد عثمان كنه، رسالة ماجستير، ص23.

* الأستاذ/ عوض الكريم محمد المهدي المجذوب، عمل بالصحافة وشارك في عدد من المحاضرات والندوات عن والده الشاعر محمد المهدي المجذوب ، له عدد من البحوث الأدبية عن والده الشاعر .

(3) جامعة الخرطوم، مكتبة السودان، مقابلة مع ابنه 2007م.

(4) الشرافة والهجرة، ص 171.

(5) المرجع السابق، ص 78.

ويقول[1] بعد أن ضاق به الحال في الخرطوم ذاكراً مشاهد قريته:-

وقرعة حلبوا فيها وأعجبها رغو يفور علـى زهو يناديني

وصدح ديك ينادي في عريشته أغني لروحـي من عود وتلحين

ويقول[2]:-

أترى نتقي وعريك طفل راق ملء الخـطوط والألوان

يعتلي الديك ظلة كالمجوسي جلا ريشه على النـيران

وصحا النخل واقفاً يخلع الليل ويلقيه عن قـدود حسان

وقال محمد المهدي المجذوب كلمات موحية قدَّم فيها ديوان (نار المجاذيب) ممجداً فيها الطفولة (وخرجت مع الحيران إلى الفزعة لنحتطب وفي قبضتي الصغيرة (فراراً وماء) من بحر النيل في زجاجة خضراء وتغوص أقدامنا في كثبان الرمل السمر وتتعلق أعيننا بزرقة النيل ونريح طفولتنا في السدر الظليل ونعود إلى النار بالعُشر والسلم وتطعمنا النار مغرب كل أربعاء (بليلة) من كرامة اللوبيا المباركة وعيش الرِّيف الحلال[3]).

وزاد إعجابه وافتتانه بها لذا نراه إذا أعجبه شيء وأخذ من نفسه مأخذاً بعيداً أعاده إلى صور الطفولة فشبهه بجانب من جوانبها ، فالصبح في براءته عنده كالطفل، والحنان الغامر يذكره ببسمة الأم لطفلها الرضيع، وإذا أعجبته روضة غناء ذكَّره حسنها بأحلام الطفولة ونسائم الفجر التي تبعث في النفس نشاطاً ومرحاً تعيده إلى فرحة الطفولة، فهو قبل هذا وبعد طفل العنايتين حنان الله والعيش في معاني الجمال.[4]

تعليمه :-

تلقى محمد المهدي المجذوب تعليمه الأول بمسقط رأسه بالدامر، وتعلم في الخلوة فحفظ القرآن في سن مبكرة ودرس على والده مبادئ النحو واللغة، وحفظ شعر الشيخ محمد المجذوب، ثم توافر على ديوان عبد الرحيم البرعي اليمني، ثم ديوان ابن الفارض[5]وعاش في بيئة علمية دينية صوفية مشبعاً روحانية وقرآناً تشربه وأحسه ومن ثم

---

(1) المرجع السابق ، ص 60.
(2) الشرافة والهجرة ، ص 88.
(3) نار المجاذيب، ص 9.
(4) في الأدب السوداني المعاصر، د. حسن أبشر الطيب، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى 1971م، ص 15.
(5) الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي ، ص67.

ثم صوَّره في شعره أصدق تصوير، ووثَّق لهذه الفترة وذكر اللوح ونار القرآن والطار والذكر يقول [1]:-

أتذكر ناراً أوقدت عند خلوة عشاء تغنى بالكتاب المنزل

ويقول[2]:-

لوحي من العشر اللبون كراته سبَّاحة بحريرها السياح

ويقول: (كان لوحي المرهف من خشب العشر الخفيف، حفظته وعرضته على شيخي ذات صباح ثم ذهبت وطليته بجيرة بيضاء لبنية صافية وجفّ كأنه ورقة صقيلة)[3].

وبعد أن أكمل شاعرنا دراسته بالخلوة في الدامر، ارتحل إلى الخرطوم سنة 1927م لينتظم في سلك التعليم النظامي، وهذه النقلة هي الكبرى في حياته التي تركت آثارها في نفسه في مجال الشعر والفكر. وفي ذلك يقول: (وانتقلت بعد الخلوة القرآنية في الدامر إلى مدارس الحكومة في الخرطوم حتى تخرجت في كلية غردون)[4]. يقول محمد المهدي المجذوب عن فترته التي قضاها في المدرسة:(كانت المدرسة شيئاً غريباً، أحسست في أعماقها بذلك الحرص المادي والتطاحن، ولم يجمع الأطفال فيها شيء مقبول فهم قبائل شتي وجنسيات وافدة وأساليب في العيش والسلوك مختلفات ، لم أدر أين أضع نفسي من هذا كله، واستمر شيخي الداخلي في تعليمه الخاص لي واستمر التلميذ الجديد مع المدرسة)[5].

يتضح من هذا القول إنَّ الشاعر وعلى الرغم من انتمائه للمدرسة إلاَّ أنه ما زال متأثراً بالخلوة وشيوخها.

قضي محمد المهدي المجذوب أربع سنوات بكلية غردون[6]. وتخرج فيها كاتباً بقسم الكتبة ودخل بعد ذلك في الحياة العملية، وكان قد التحق بكلية غردون عام 1935م وتخرج فيها سنة 1939م بعد أن تلقى تعليمه الأوسط بالخرطوم.

وظيفته :-

---

[1] نار المجاذيب، ص 308.
[2] الشرافة والهجرة، ص 171.
[3] الشرافة والهجرة، ص 7.
[4] نار المجاذيب، ص2.
[5] مجلة الثقافة السودانية، مصلحة الثقافة، حوار مع الشاعر، العدد 1، المجلد 1، نوفمبر 1976م، ص 10.
[6] دراسة بيلومترية وثائقية، د. قاسم عثمان نور، ص3.

بعد أن تخرج محمد المهدي المجذوب في كلية غردون كاتباً بقسم الكتبة[1] دخل في الحياة العملية، فعُيِّن محاسباً بحكومة السودان عام 1939م، وانخرط في مجال عمله بهمة ونشاط خادماً السودان. كان نزيهاً في عمله، محافظاً على المال العام، يقول[2]:-

موظف من ربع قرن ولم أرقد على نهب ولا رشوة
ولمَّا أشد قصراً له أجرة أسكن في الأطلال بالأجرة
ولما أطل وقتي بسيارة ناعسة الأجفان كالهرة

وكان محمد المهدي المجذوب متبرماً من هذه الوظيفة التي أصابته بالملل وفرضت عليه القيود، وقبل كل ذلك كان تبرمه شديداً لأنَّه يعمل تحت إمرة المستعمر نراه يقول[3]:-

هذه حالتي أعيذك من حالي أقاسي وظيفتي وقيودي
وأسوى الحساب أعمدة الأرقام تجري مثل القطار المديد
واشتغلنا للإنجليزي في المكتب يغتالنا بأجر زهيد

والتزم محمد المهدي المجذوب هذه الوظيفة ولم يتركها رغم ضجره منها، وكانت وسيلة رزقه وكفاحه في العيش ولكنه لم يمدحها. يقول المجذوب[4]:-

نكافح والأرزاق منا جوافل وأطفالنا لا يفطمون مع العسر
وما قتل الأحرار إلا وظيفة تؤجل شهراً ليس يغني إلى شهر
نسيغ أجوراً من هوان وحسرة ونرضى بطغيان الأعنة والزجر

ويصوِّر محمد المهدي المجذوب حالته (يوم الماهية)[5]:-

وقفت إلى الصراف والدين واقف بكشف كحبل البير أهوى إلى الورد
سلام على الصراف أضحي أصابعاً تراقص بين الخضر والحمر والرَّبد
أوقع في كشف المواهي فليتهم وقد نقدوا صانعوا حيائي من النقد

وعلى الرغم من رأيه السالب في الوظيفة وهجومه الدائم عليها، إلا أنه استفاد منها سواءً في حياته المادية – رغم مرارة الفقر البادية عليه – أو في تجاربه في الحياة .

---

[1] دراسة وثائقية ، قاسم محمد نور ، ص 3.
[2] الشرافة والهجرة، ص 203.
[3] الشرافة والهجرة، ص 165.
[4] منابر، ص 25.
[5] تلك الأشياء، محمد المهدي المجذوب، دار الجيل بيروت، ط 1981م، ص 169.

طوَّف محمد المهدي المجذوب بحكم عمله في أقاليم السودان المختلفة[1]، ولابد أنَّ هذا الترحال أكسبه ألواناً جديدة من التجارب، كما زاده خبرة بالبيئة السودانية عامة وبعادات الناس وتقاليدهم وطرق معيشتهم، وفي شعره تظهر سمات كل مرحلة من مراحل تنقله، وسيتطرق الباحث لها بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله في جانب آخر من جوانب هذا البحث.

ظلَّ محمد المهدي المجذوب يتنقل من مدينة إلى أخرى ومن إقليم إلى إقليم بهمةٍ عاليةٍ ونشاط متجدد غير عابئ بالعوائق والمتاريس، مقدماً خبراته وتجاربه لأبنائه (صغار الموظفين)، وكان يحثهم على خدمة الوطن كيف لا وقد كان وطنياً حقاً مسلحاً بالعلم والرأي والأدب مصوراً كل ذلك في شعره إلى أن تقاعد بالمعاش في العام 1978م بعد حياة عملية ثرة حافلة بالبذل والعطاء[2].

وفاته :-

يقول الأستاذ مجذوب عيدروس[3]*: (تقاعد محمد المهدي المجذوب بالمعاش في العام 1978م، ولكنه واصل في التأليف حتى مارس 1982م حيث جاء النبأ مفجعاً للكثيرين، لقد غاب صاحب نار المجاذيب والشرافة والهجرة، ورحل الذي جاء بالبشارة، وقدَّم القربان، وكتب سفر خروج شعرنا وأمَّتنا من مضيق الجمود إلى فضاء الحداثة، ومن كهف التقليد إلى رحابة التجديد، فها نحن بعد مرور السنوات الطويلة على رحيله نذكره ونقرأ له).

تبارى الشعراء في رثائه فيقول البروفيسور عبد الله الطيب[3] :-

أخ كان يرعاني وكان يعين ويحفظ حقي عنده ويصون
وكان رفيق العمر في زمن الصبا إلى أن أتي عصر المشيب يحين
بكيتك يا مهدي فقدك فاجع ورزؤك لا يلغي على و يهون

وقال منير صالح عبد القادر*[1]:-

---

[1] دراسة بيلومتريه وثائقية، د. قاسم محمد نور، ص3.
[2] نار المجاذيب، ص 3.
(3) الصحافة ، مجذوب عيدروس ، العدد 4223 ، 2005/3/18م ، ص 5
* مجذوب عيدروس، ولد بالدامر، سنة 1949م ، درس بود مدني ، وتخرج في المعهد العالي للموسيقى والمسرح ، مؤسس رابطة الجزيرة للآداب والفنون وتقلد فيها منصب الأمين العام لعدة دورات ، صحفي ثقافي ، رئيس القسم الثقافي بجريدة الصحافة ورئيس تحرير مجلة الخرطوم ، جمع وحقق ديوان البوشي .
[3]- الصحافة ، عبد الله الطيب ، العدد 7061 ، 1982/4/1م
* منير صالح عبد القادر، شاعر سوداني ولد سنة 1919م، وتوفي سنة 1964، له ديوان شعر بعنوان أشتات من أشتات.

خبراً أشعل الجوارح نارا فلقد كان نعيه استنكارا
من أثار الأسي ومن أعلن الحزن ومن الذي أزاح الستارا
كنت ارتاح للحروف التي ينسج منها الخواطر والأشعارا

ويقول كمال بشير *[2]:-

يا من شرى بالشعر في المدثر وسما على حسَّانها والبحتري
يا رائع الأشعار قلَّ نظيره نعماك قد نلت الجنان فأبشرِ
من لم يبع رأيا على كسب ولم يهد القصيد لخائن أو مفتري
ابن المجاذيب المبارك نهجهم السائرين على طريق الأشعري
ديوانك الباقي وشعرك ماثل كالخالدين على جبين الأعصر

---

[1] الصحافة، منير صالح عبد القادر العدد 7067 ، 1982/4/8م.
* كمال بشير، شاعر سوداني معاصر للمجذوب كان مدير العلاقات العامة بوزارة المواصلات
[2] الأيام، كمال بشير، العدد 10543 ، 1982/3/8م.

المبحث الثاني

بيئة الشاعر وأسرته

أصل المجاذيب :-

تعتبر أسرة المجاذيب من أشهر الأسر الدينية في السودان التي اهتمت بنشر الثقافة والوعي الديني، ونمت هذه الأسرة، وذاع صيتها، وصارت أساساً لبعض الطرق الصوفية، ومنارة شامخة يؤمها الكثيرون من طالبي العلم.

ذكر أ.د عون الشريف قاسم* أنَّهم جعليون منسوبون لجدهم حمد بن محمد المجذوب ، وكان معاصراً لود ضيف الله، وأخذ الشاذلية بالحجاز وتوفي بالدامر عن خمسة وثمانين عاماً ، وأول من بدأ نشاطهم العلمي الحاج ود قنديل الجعلي في عهد الفونج[1].

والمجاذيب أهل دين وعلم بقدر ما هم أهل أرض وزراعة .

يقول محمد المهدي المجذوب[2]:-

وفي المساجد زراع لهم شيخ تأوي الغريب وتحمي كل مهتضم

ويقول نسيم مقار[3]: (الجدير بالذكر أنَّ فقراء المجاذيب لم يتخذوا العلم والدين حرفة للتكسب بل عملوا بالتجارة والزراعة لذلك اكتسبت الدامر أهميتها كمركز إشعاع ديني وثقافي ومركز تجاري هام تمر القوافل عن طريقه إلى الشام والجنوب والبحر الأحمر وإن كانت تجارة الدامر الأساسية مع دنقلا وشندي وبربر).

وطن المجاذيب :-

عاش المجاذيب في الدامر، ويرجع تأريخ قيام هذه المدينة إلى أوائل عهد الفونج. يقول محمد عوض[4]:(وعشيرة المجاذيب هي التي أنشأت مدينة الدامر منذ أربعة قرون على أقل تقدير، وقد كان موطنهم قبل ذلك في قرية صغيرة تبعد عن الدامر عدة أميال واليوم أصبحت الدامر العاصمة الروحية للمجاذيب).

---

* عون الشريف قاسم، ولد بحلفاية الملوك سنة 1933م، تخرج في كلية الآداب جامعة الخرطوم، نال الدكتوراه، أصبح وزير الشؤون الدينية، رأس تحرير عدد من الإصدارات، له كتاب القبائل والأنساب.

(1) القبائل والأنساب، عون الشريف قاسم – ج الخامس، ط أولي 1996م – الخرطوم ، ص2094

(2) نار المجاذيب – محمد المهدي – ص 28.

(3) فقه الأحاديث في السودان – نسيم مقار – ط 1 – 1995م – مركز الدراسات السودانية، القاهرة – ص9.

(4) السودان الشمالي – سكانه وقبائله – محمد عوض، ص 173.

الدامر من أعظم وأقدم المدن الدينية في السودان، وأضفى عليها موقعها الجغرافي المهم الكثير من الفوائد لاسيما من الناحية التجارية حيث كانت ملتقى القوافل التجارية، ويوجد بها أحد أكبر أسواق المواشي في السودان الذي يتقاطر عليه الناس من أنحاء البلاد بل حتى البلدان العربية يأتي منها بعض التجار وذلك لشراء الإبل التي تستخدم عندهم في سباق الهجن، كذلك اشتهرت الدامر بمديح أهلها للرسول صلي الله عليه وسلم وفيها اتبع الفقيه محمد المجذوب الطريقة الشاذلية.

التأريخ السياسي والوطني للمجاذيب :-

أولاً: المجاذيب والفونج :-

بنت مدينة الدامر لنفسها صلات واسعة طيبة تقوم على الاحترام والتقدير عند ملوك الفونج بسنار. وكان لموقعها المميز تأثير ديني ثقافي تجاري مهم في الوسط الشمالي من السودان دعَّم كثيراً من هذه الصلات فبعث ملوك الفونج بأبنائهم لتلقي العلوم والمعرفة والفقه والشرع في مساجد المجاذيب وخلاوبهم وكانت لا ترد لهم شفاعة عند ملوك الفونج [1]. وقد سلَّم لهم ملوك الجعليين بهذه السلطة الدينية على مدى تأريخهم ولم ينازعهم فيها أحد، وقد قصدهم الناس في عهد مملكة سنار للدراسة والعلم والفتاوى والاستشارة وبغرض التجارة والكسب.

ويرى الباحث أنَّ العلاقة المتميَّزة والحسنة بين الفونج والمجاذيب تعود للتقارب الديني بينهما فكلاهما يهتم بنشر الإسلام والثقافة الإسلامية، وقد صادف ذلك هوىً في نفوس الفونج فلم تحصل بينهما أي عداوات أو مكايدات ، بل استفاد الفونج من تقاربهم مع المجاذيب في ابتعاث أبنائهم إلى خلاويهم .

ثانياً: المجاذيب والأتراك :-

رفض المجاذيب الحكم التركي منذ البداية، فهم فرسان ورجال دين بنفس القدر يخشون على عاداتهم وتقاليدهم ودينهم من بدع يأتي بها الحكم الجديد، فيوضح عبد الرحمن الخانجي ذلك بقوله: (في تصوري أنَّ رفض المجاذيب للحكم التركي كان رفضاً في حقيقته من البداية لمحاولة الحكم التركي الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية، وأنْ يسلب القبائل الجمع بينها. ولما كان المجاذيب يجمعون بين السلطة الزمنية والدينية

---

[1] أصداء النيل ، عبد الله الطيب – ص 25.

معاً – رغم ولائهم الاسمي للجعليين في شكل السلطة الزمنية – كان من الطبيعي أن يرفضوا مفهوم الحكم الجديد ويقاوموه)[1].

وإن كان التأريخ يذكر مقاومة قبائل الشايقية للحكم التركي، فأيضاً للمجاذيب دورهم في مناهضة الحكم التركي فقد اشتركوا في (معركة الكويب) وهي بالقرب من مقرن أتبرا بالنيل، إبان الفتح التركى ، وأيضاً اشترك المجاذيب في معركة (قوز الحلق) على نهر عطبرة و كانت بعد مقتل إسماعيل باشا[2].

أما في شرق السودان فقد قام الشيخ محمد المجذوب الثاني وابن أخيه الشيخ الطاهر وابنه محمد وأسرتهم بالحفاظ على تراث المجاذيب في هذا الجزء من السودان بعد أن كاد ظلم الأتراك أن يذهب به فأسسوا مساجد وزوايا، أدت دوراً كبيراً في نجاح الثورة المهدية بهذا الجزء من البلاد كما سنري.

بعد فترة استقرار الحكم التركي، تحسَّنت الصلات بين المجاذيب والأتراك، ففي شرق السودان بلغت الحكومة التركية درجة بعيدة في إكرام الشيخ الطاهر المجذوب، فكان المساجين يقومون بقضاء حوائجه مثله مثل بقية كبار الموظفين من الأتراك، وكذلك الأمر في الدامر وخاصة في عهد مظهر باشا الذي أرجع إليهم كثيراً من أراضيهم وأطيانهم التي سلبت منهم[3].

لكن رغم ذلك ظلت النفوس تجتر مرارة مجزرة الدفتردار ومقتل سليمان بن الزبير على يد (جسي باشا) مما مهَّد للثورة المهدية كثيراً بين فقراء المجاذيب.

وثَّق محمد المهدي المجذوب مقاومة المجاذيب الأتراك في "الكويب" كثيراً وفي ذلك يقول[4]:-

صبحوا الترك وباتوا ليلهم في ضياء السيف يتلون السور
(والكويب) انتزعوا في يومه أنفس الترك بفتوى المختصر

يرى الباحث أنَّ الأتراك سعوا لكسب ود المجاذيب لتأثيرهم الديني ومكانتهم عند الناس ، لكي يساعدوهم في استقرار الدولة لأن البيوت الدينية في ذلك الوقت كانت تحظى بتقديس خاص عند عامة الشعب ونجحت هذه السياسة إلى حدٍّ كبير.

---

(1) دراسة وتحليل نار المجاذيب – عبد الرءوف الخانجي – ص 22.
(2) من نافذة القطار – د. عبد الله الطيب، ، ص 83.
(3) دراسة وتحليل، نار المجاذيب – ص 25
(4) الشرافة والهجرة ، ص 179

ثالثاً : المجاذيب والمهدية :-

كان للمجاذيب دورٌ كبيرٌ ومهمٌ في نجاح الثورة المهدية بشمال السودان وشرقه فالثورة المهدية – منذ البداية – اعتمدت على الجانب الديني الصوفي مستغلة إيمان الناس وعاطفتهم الدينية وهي بهذا المفهوم لم تفصل بين السلطة الدينية والزمنية فالأمام المهدي رجل ميدان وفارس حلبه بقدر ما هو مرشد ومعلم وفقير وصاحب كرامات كما أن الدعوة المهدية هي دعوة للإسلام بكل ما فيه من سماحة ورجولة وأصالة .

يقول د. إبراهيم فوزي متحدثاً عن علاقة المجاذيب بالمهدية: (عندما حاصر الأمام المهدي مدينه الأبيض سنة 1882م أرسل إلى الشيخ الطاهر المجذوب في شرق السودان يستحثه على مناورة الحكومة واعتذر الشيخ المجذوب للأمام المهدي ليكون أميراً لكبر سنه وأرسل من قبله الأمير عثمان دقنه للإمام المهدي ليكون أميراً وقد ساور المهدي الشك حيال تصرفات الشيخ المجذوب ، إلا أنَّ إشارته بوجوب اندلاع الثورة في نواحي سواكن حتى تعجز الحكومة عن إرسال جيش من هذا الطريق إلى السودان جعلت الأمام المهدي يطمئن إليه ويثق به)[1].

بعد أن أعطت الأمارة للأمير عثمان دقنة أرسله الإمام المهدي بمنشوراته إلى شرق السودان داعياً طائفتي الختمية والمجاذيب للدخول في دعوته فاتخذت الختمية موقفاً مغايراً بينما ناصرها المجاذيب وبايع الشيخ الطاهر وأتباعه الأمير عثمان دقنه أميراً شرعياً على شرق السودان من قبل الإمام المهدي[2] .

أما فرع المجاذيب الآخر بالدامر بقيادة الشيخ الأمين أحمد المجذوب فقد شارك في سقوط مدينة بربر آخر معقل شمالاً للسلطة الحاكمة وتقدم الشيخ محمد خير وانضم بجيشه إليه وزحفا معاً قاصدين حسين باشا حاكم بربر بعد أن رفض التسليم رغم الإنذارات المتعددة التي أرسلت إليه وبعد حصار قصير وهجوم مركز سقطت حصون بربر في أيدي الثوار وتأمنت بذلك الثورة المهدية في الشمال تماماً[3].

رغم الدور الذي أداه المجاذيب في نجاح الثورة المهدية إلاَّ أنَّ نكبات عدة كادت تحيق بهم في عهد الخليفة عبد الله بل إنّ بعض كبار قواد المهدية جاهروهم العداء .

---

(1) السودان بين يدي غردون وكتشنر ، إبراهيم فوزي – بدون طبعة، 1319هـ، ج 1
(2) دراسة وتحليل نار المجاذيب – عبد الرءوف الخانجي – ص 27
(3) تأريخ وجغرافية السودان – نعوم شقير، ص 788

كانت هنالك شخصيات مقدمة من المجاذيب نالت مناصب قيادية في جيوش المهدية مثل: (الشيخ أحمد بن جلال الدين والحاج أحمد والفكي الطيب محمد ومجذوب بن الفكي عبد الله النقر والشيخ محمد مجذوب بن الشيخ الطاهر بشرق السودان)[1].

[1] دراسة وتحليل نار المجاذيب – عبد الرءوف الخانجي .

المبحث الثالث

آثاره الأدبية

بدايته الشعرية :-

بدأ محمد المهدي المجذوب قول الشعر في سن مبكرة واستمر في هذا طيلة حياته فأول قصائده يرجع تأريخها إلى عام 1934م أي حين كان عمر الشاعر خمسة وعشرين عاماً .

قال محمد مصطفي هدارة*[1]: (إنَّ بدايته الحقيقية كانت سنة 1934م، ووصف إنتاج هذه الفترة بأنه يغلب عليه روح التغزل بل حصرها في ثلاث قصائد فقط ووصفها بالبساطة والسذاجة).

يقول ابنه عوض الكريم محمد المهدي المجذوب[2]: (بدأ محمد المهدي المجذوب قرض الشعر منذ الرابعة عشرة من عمره ولم يدوَّن شعره إلا في العام 1935م وعمره ستة عشر عاماً وأول قصيدة هي (جاهل صغير)التي يقول فيها:-

سلام الحب ياحبِّى ويا دائي وياطبِّي

عاب النقاد بداية محمد المهدي المجذوب الشعرية ووصفوها بالجهل والسذاجة ولكن ابنه عوض الكريم ردَّ عليهم بقوله[3]: (إن والده لا يملك أدوات الصناعة وهو جاهل في عمره).

ويواصل ابنه عوض الكريم الحديث حول بداية والده الشعرية الحقيقية فيقول[4] :(بداية محمد المهدي المجذوب الحقيقية كانت سنة 1941م وهى قصائد " الوجه الآخر " ، 1941 ، " الحبيب الأعمى" 1941).

---

[1] تيارات الشعر العربي في السودان – د. محمد مصطفي هدارة– ص323

* د. محمد مصطفي هدارة ، أستاذ الأدب العربي المساعد ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، عمل في جامعة الخرطوم سنة 1966م وشارك في الحياة الأدبية في السودان كاتباً بالصحف اليومية ، له كتاب تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان .

[2] ندوة عن الشاعر – جامعة الخرطوم – معهد عبد الله الطيب – قاعة الشارقة – يوم 2007/3/24م الساعة 11 صباحاً.

[3] المرجع السابق .

[4] المرجع السابق

مذهبه الشعري:-

لم ينتهج محمد المهدي المجذوب مذهباً معيناً في الشعر ، والمذاهب الشعرية التي كانت سائدة في زمنه هي الرومانتيكية والواقعية ، وكان يصنع الشعر على أحوال متفرقات واعترف بصعوبة الشعر يقول[1]: (ليس لي مذهب شعري ،فقد حاولت التعبير عن نفسي بصدق ، ولم التفت إلى مذهب نقدي ، ولم أجعل اللغة غاية وأخشاها وأشتهى الخروج عن قوانينها الصارمة ،ولا أعرف تقطيع البيت على تفاعيل ،وما زلت أتعجب ممن يطيق هذا التركيب وأشهد له بالبراعة) فليس للمجذوب مدرسة معينة ينتسب إليها ، تقليدية كانت أو تجديدية ،فقد رفض كل هذه الأشكال ،ثم عاد ليكتب الشعر على طريقته الخاصة ،غير ملتزم بمدرسة أو مقلد لأحد فيما ينظم .ويرى الباحث أن قوله هذا يمثل منهجاً شعرياً لكنه يقصد به أنه لم يلتزم منهجاً معيناً يتقيد به.

يقول المجذوب[2]: (ثم عدت لأكتب شعري على كيفي ،غير مبال بالفريقين لإحساسي العميق بأن الشعر السوداني مأخوذ من أعماق هذا البلد في أي صورة جاء). يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب يقصد بالفريقين المذهبين الرومانتيكى والواقعي.

يقول عبد الرحمن الخانجى* [3]: (محمد المهدي المجذوب من خلال دراستي لنار المجاذيب لم يتمذهب ولم يعتنق مذهباً شعرياً معيناً ، ففي بعض قصائده يلتقي مع الشعراء الرومانتيكيين في حبه ونظرته للطبيعة وثورته وتمرده ، كما يبدو واقعياً اشتراكياً في قصائد أخرى، ينفعل بالشعب وطبقاته المحرومة، أسلوبه على مدى واحد وثلاثين عاماً جيَّد متماسك (1934 – 1965) لا تحس فيه تهافتاً في العبارة ، ولا خللاً في الصياغة ، أو ضعفاً في التركيب، وشعره في جملته متفائل بالحياة والمستقبل يبشر بسيادة الخير وانتصاره في النهاية يؤمن بالإنسان والحياة).

يقول سامي سالم* [4] : (لم يكن محمد المهدي المجذوب شاعراً فحسب ، بل كان كبير القوم وشيخ طريقة، طوى تحت الجناح الشعري جُلّ الموضوعات الشعرية

---

[1] نار المجاذيب – محمد المهدي المجذوب – ص7

[2] أصوات ودخان – محمد المهدي – سوريا – د،ت ، 2005 الناشر أسرة الشاعر .

[3] دراسة وتحليل نار المجاذيب – عبد الرحمن الخانجى، رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم – 1971م – ص493

* الأستاذ عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجي من أوائل الذين بحثوا في شعر محمد المهدي المجذوب له رسالة ماجستير بعنوان: دراسة وتحليل نار المجاذيب بجامعة الخرطوم سنة 1970م .

* سامي سالم، ولد بأمدرمان سنة 1953م، عمل بالحقل الصحفي في مصر والسودان، كاتب مشارك في عدد من الإصدارات الخارجية، مات بكندا، عام 2000م.

[4] الصحافة – حياة محمد المهدي المجذوب ووفاته – سامي سالم – العدد 7118 ، 1982/6/7م .

والهموم داخل المجتمع السوداني، لم يقصر شعره للانتصار لمذهب من المذاهب الفكرية، كان شعره مزيجاً رائعاً من الحقائق الفكرية).

ويرى الباحث أن عدم تقيد الشاعر بمذهب معين في الشعر أدى إلى كثرة إنتاجه مقارنة بمن سبقوه من شعراء السودان لأن الحرية تؤدى إلى كثرة الإبداع، ويظهر عدم تقيد الشاعر بمذهب معين في أوزانه المتعددة وأنواع شعره.

وعدم تمذهب الشاعر أدى إلى عدم تأثره بشاعر معين الأمر الذي أدى إلى كثرة مشايخه في الشعر ، يقول محمد المهدي المجذوب عن نفسه[1]: (مشايخي من الشعراء لا أول لهم ولا آخر من العرب والعجم الفصحاء قدامى ومحدثين رجالاً ونساء وأنا لهم مدين).

آثاره الأدبية :-

يقول المجذوب: (أحسب أن كل أعمالي دارت حول الناس وموقفي منهم كنت أريد التعبير عن إحساسي بهم ومشاركتهم في كل شي ، وفي أعماق كل شعر فيه أو بحث عن الحب ، حتى وإن لم يحدث. لا أُعرف في الحياة الأدبية في السودان ، فأنا من أبناء جيل صنعوا ما استطاعوا مخلصين ، وأعرف دور من سبقونا من الرواد العظام وأعرف دور من جاءوا بعدنا وهم أفضل منى لا شك في ذلك)[2] .

قسَّم الباحث إنتاجه هذا إلى ثلاثة أقسام لأسس معينة منها كثرة إنتاجه وتفرده. والأقسام هي:-

القسم الأول:-

دواوينه الشعرية :-

يقول د. عثمان كنة في مقدمة كتاب الصورة الفنية عند المجذوب: (الشاعر محمد المهدي المجذوب يقف على قمة الهرم الشعري السوداني إنتاجاً ودراسة وانتشاراً ، فقد صدرت مجموعة أشعاره في عدد من الدواوين لم تصدر لشاعر سوداني آخر وما زالت أسرته وتلاميذه ينقبون ويبحثون عن هذه القصائد والأشعار فقد كان الشاعر غزير الإنتاج متنوع الأنماط والأشكال)[3].

---

[1] نار المجاذيب – محمد المهدي المجذوب – ص7.
[2] القسوة في الحليب – ديوان شعر – محمد المهدي المجذوب.
[3] الصورة الفنية لشعر محمد المهدي المجذوب – عثمان كنة – ص 9.

أصدر محمد المهدي المجذوب ثمانية دواوين شعرية كاملة وهى[1]:-

1. نار المجاذيب: الخرطوم، لجنة التأليف والنشر، 1969م .
2. الشرافة والهجرة: الخرطوم، دار النشر والتأليف جامعة الخرطوم، 1973م .
3. البشارة القربان الخروج: الخرطوم، دار التأليف والنشر جامعة الخرطوم، 1976م .
4. منابر: الخرطوم، شركة المكتبة الأهلية بيروت دار الجيل، 1981م .
5. تلك الأشياء: الخرطوم/ شركة المكتبة الأهلية، بيروت دار الجيل، 1981م .
6. شحاذ في الخرطوم: الخرطوم، شركة المكتبة الأهلية، 1994م .
7. أصوات ودخان :- ط1 سوريا د.ن.2005م – الناشر : أسرة محمد المهدي المجذوب – تنفيذ أسرة أو شركة نار المجاذيب للخدمات .
8. القسوة في الحليب: ط1 سوريا د.ن.2005م، الناشر أسرة محمد المهدي المجذوب تنفيذ شركة نار المجاذيب للخدمات.

الديوانان الأخيران صدرا حديثاً على نفقة الأسرة وحدثني ابنه عن ضعف العرض الذي قُدم لهم لطباعتهما فتولوا الطباعة بأنفسهم . فمحمد المهدي المجذوب يمتاز بغزارة الإنتاج الأدبي شعراً كان أم نثراً ويعترف بأنَّ الشعر من أصعب الفنون[2].

يرى الباحث أن اعترافه هذا تواضعٌ منه وليس ضعفاً فالأدباء غالباً لا يمدحون أنفسهم ولا يقرظون أعمالهم .

يقول حسام الدين ميرغني*: (الشاعر محمد المهدي المجذوب له دواوين شعرية مهمة أحدثت علامة فارقة في خارطة الشعر السوداني والجدير بالذكر أن ديواني القسوة في الحليب وأصوات ودخان هما آخر عنوانين صدرا للراحل هذا العام)[3].

يقول عنه الدكتور صديق عمر الصديق* (أكبر شعراء السودان فناً وغزارة إنتاج، دواوينه ثمانية) [4] ويقول عوض الكريم محمد المهدي المجذوب[5]: (أضاف

---

[1] القسوة في الحليب، محمد المهدي المجذوب، ص 2.

[2] نار المجاذيب، ص7

* الأستاذ حسام الدين ميرغني، صحفي سوداني وناقد فني تنقل بين عدد من الصحف السودانية ، يعمل الآن رئيس القسم الثقافي لجريدة الرأي العام .

[3] الصحافة – حسام الدين ميرغنى ، العدد 4886 ، 2007/1/21م –

* الدكتور صديق عمر الصديق، حصل على دكتوراه من جامعة الخرطوم عام 2002م، شارك في عدة ندوات داخلية وخارجية، له مؤلفات مثل كتاب اتجاهات النقد عند د. عبد الله الطيب، ترأس عدد من المؤسسات، الآن مدير معهد البروفيسور عبد الله الطيب للغة العربية.

[4] ندوة عن الشاعر، جامعة الخرطوم – د. صديق عمر – أستاذ الأدب العربي – جامعة الخرطوم – 2007م

[5] المرجع السابق

محمد المهدي المجذوب إلى المكتبة السودانية إضافة ثرة وأنا أخشى الحديث عنه لأن المتحدث عن شعره كالذي أصابه المس فارتحل إلى بحر الغزال وميدان عبد المنعم وجبل توتيل ، ترك محمد المهدي المجذوب ثمانية دواوين ومخطوطة لم تطبع ، فيها ست وأربعون قصيدة موزعة بين الطول والقصر وأطول قصيدة هي ذات أجراس "72" بيتاً ، وأقصر قصيدة هي: المجهول ستة أبيات من شعر الصبا . ومعظم قصائد هذه المخطوطة قيلت في الفترة مابين (1935م – 1944) إلا عشر قصائد مابين (1952م – 1970) وهذا يدل على أن محمد المهدي المجذوب كان يتبع سياسة التقديم والتأخير في أشعاره ، وفي هذه المخطوطة التي لم تطبع تظهر سمات القلق في شعره).

جمعت هذه المخطوطة بدايات شعر محمد المهدي المجذوب ، وقصد ابنه من هذا القول التأكيد على أن بدايات محمد المهدي المجذوب الشعرية لم تنشر .

تميز محمد المهدي المجذوب بكثرة إنتاجه الشعري ، وكان أبوسن يراه ثالث ثلاثة شوقي ونزار قباني[1].

دارت معظم أشعار محمد المهدي المجذوب حول قضايا ومشاكل الناس وكان صوت الضعفاء والفقراء المجلجل ولسان حال البسطاء ، وطرق كل قضايا الشعب الاجتماعية والثقافية والسياسية حتى لقب (بالشعبي) اعترافاً بانحيازه لقضايا الشعب ،يقول المجذوب: (أحسب أن كل أعمالي دارت حول الناس وموقفي منهم كنت أريد التعبير عن إحساسي بهم ومشاركتهم في كل شيء، وفي أعماقي كل شعر حب أو بحث عن الحب حتى وإن لم يحدث ، لا أُعرف في الحياة الأدبية في السودان فأنا من أبناء جيل صنعوا ما استطاعوا مخلصين وأعرف دور من سبقونا من الرّواد العظام وأعرف دور من جاءوا بعدنا وهم أفضل مني لاشك في ذلك)[2].

تتجلى إسهامات محمد المهدي المجذوب الأدبية فيما تركه من ثورة أدبية هائلة مثلت ثمانية دواوين أنطقت الكثيرين بالثناء عليها وعلى شاعرية صاحبها ويمكن أن نقف عند قول الأستاذ حسن أبشر الطيب* مثالاً لذلك[3]: (شاعر يحتضن الطبيعة ويبثها شوقه وحنينه ويغذيها عميق وجده كلماته حبلى ، معطاءة، مرهفة تضوع بالمعاني والنغم

---

[1] الانتباهة – صحيفة – الأربعاء – 2007 – العدد 378

[2] نار المجاذيب، ص 7

[3] في الأدب السوداني المعاصر، حسن أبشر الطيب، الخرطوم، الدار السودانية 1971م، ص12

المموسق لـه مقدرة فذة فـي تأصـيل الكلمـات وتفجيـر الـدلالات الحسـية والمعنويـة لهـا يستطيع أن يكسبها ظلالاً وارفة ورمزاً واعياً وبعداً ثالثاً . مستقل بذاته الناضجة الأصيلة يعيش في واقع مجتمعه بكل مشاعره كأنها قضاياه الخاصة ، مفتون بأروع جوانب الحياة لذلك يعيش كل لحظة فيها بعمق يغنى بها ويتغنى لها).

ويكفـي قـول الأسـتاذ محمـد عشـري صـديق:* (أهـم شـاعر عربـي فـي السـودان، وشـعره مـن أكبـر دواويـن الشـعر العربـي مـن لـدن امـرئ القيس إلـى الآن) [1] و صـدق عشري في قوله ولا اعتقد أن هناك شاعراً سودانياً له ثمانية دواوين.

إضـافة إلـى كثـرة دواوينـه يمتـاز كـذلك بخاصـية طـول الـنفس فـي القصـائد وهـو طول القصيدة مع المحافظة على جودتها .

القسم الثاني :-

لقاءاته وحواراته وكتاباته في الصحف :-

رصـد د. قاسـم عثمـان النـور*[2] أكثـر مـن مائـة حـديث صـحفي أو حـوارات فـي المجـلات كتبهـا محمـد المهـدي المجـذوب أو تحـدثت عنـه. ورأى الباحـث أن يشـير إلـى بعض منها في هذه المساحة لأهميتها.

---

* محمد عشري صديق، ولد بأم درمان تخرج في كلية غردون، عمل مترجماً وصحفياً، من أبرز كتاب مجلتي النهضة والفجر، انتخب عضواً في الهيئة الستينية لمؤتمر الخريجين، له كتاب بعنوان آراء وخواطر.

[1] جامعة الخرطوم، قاعة الشارقة، أحمد محمد البدوي، محاضرة عن الشاعر (حضرها الباحث)، 2007/3/28م .

[2] دراسة وثائقية، قاسم عثمان نور، وزارة الثقافة الخرطوم، 2004م، ص23.

* د. قاسم عثمان نور ، ولد بالكوة ، سنة 1938م ، عمل في سجل المكتبات أستاذاً في عدد من الكليات الجامعية وله العديد من المصنفات في المكتبات .

من أهم الحوارات التي أجريت معه حوار أجراه معه عبد الرحيم أبو ذكرى[1] وحوار آخر أجراه معه عيسى الحلو[2] وأيضاً مع عبد الوهاب هلاوي[3]. وقدم محمد المهدي المجذوب ديوان صديقه محمد محمد على.

أما مقالاته في الصحف والمجلات فهي كثيرة، فقد أثرى الساحة الأدبية السودانية بكتابات جريئة، ومقالات حيّة شكلّت وجدان المثقف السوداني في فترة تعد من أزهى الفترات في تأريخ الصحافة السودانية أو الأدب السوداني عموماً. وتوزعت آراؤه هذه بين الصحف والمجلات، ولم يحصر إنتاجه هذا في صحيفة دون الأخرى . نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر عناوين المقالات الآتية :-

أصالة الأدب السوداني [4]، من أفواه الأدباء [5]، دشمان المجذوب[6]، الهادي العمرابي كما عرفته [7]، قصة الأدب السوداني[8]، الشعر في معركة الاستقلال [9] وغيرها وغيرها من العناوين التي أثارت جدلاً واسعاً بين المثقفين.

ويرى الباحث أنه على الرغم من انتماء الشاعر للحزب الجمهوري إلا أنه قصر كتاباته في الصحف على النواحي الأدبية ونادراً ما تجد له مقالاً سياسياً.

القسم الثالث :-

رسائل محمد المهدي المجذوب :-

لم تقتصر إسهامات محمد المهدي المجذوب على ما تركه من دواوين شعرية ومقالات أدبية، بل إنَّ هنالك كتباً عديدة كثيراً منها لم ينشر، وأشار إليها مجذوب عيدروس بقوله[10]: (المطلوب الآن أن يعكف العاملون في دار النشر بجامعة الخرطوم،

---

[1] مجلة الثقافة السودانية – العدد الأول 1972م – عبد الرحيم أبوذكرى – ص108 – 130.
[2] الأيام – ملحق الأدب والفنون – العدد 9380 ، 1978/4/14م عيسى الحلو.
[3] مجلة الإذاعة السودانية – العدد 38، مايو 1981م .
[4] صحيفة الرأي العام – العدد 4413 – 1959/12/12م .
[5] الرأي العام – العدد 4930 – 1961/9/14م .
[6] الثورة – صحيفة يومية – العدد 468 – 1962/2/21م .
[7] الأيام – العدد 6936 – 1973/9/17م .
[8] الشباب – الأعداد 193 – 194 – 196 – 1976م.
[9] الأيام، العدد 10485 – 1982/1/2م .
[10] الصحافة، العدد 4223، 18/مارس/2005م، ص5.
* رجاء النقاش ، أديب مصري معاصر وناقد عاش في العصر الحديث
* ريدي الأمير ، أديبة عراقية ، حاصلة على ليسانس الأدب العربي ، عملت معلمة لبعض الوقت ومديرة للمركز الثقافي العراقي ببيروت ، لها عدد من الأعمال القصصية .مثل وعود للبيع وعلى لائحة الانتظار .

وأسرة الشاعر على استخراج إجازة الكتب التي تمثِّل كنزاً حقيقياً لا يقل عن ذلك الكنز الذي احتفظ به الناقد المصري رجاء* النقاش والمتمثل في رسائل محمد المهدي المجذوب إلى القاصة العراقية ريدي الأمير* والذي قالت عنه ريدي أنها تمثِّل كنزاً من البلاغة والمعرفة وثروة أدبية لا تُقدَّر بثمن أودعتها رجاء النقاش لإخراجها في كتاب).

كان محمد المهدي المجذوب حاملاً مشعل البحث عن هوية سودانية ثقافية، وبهذا الفهم قدمه الأفارقة في مؤتمرات كتاب آسيا وأفريقيا، ويجله الأدباء العرب في ملتقياتهم ، ولازالت دواوينه التي لم تنشر بعد ، حافلة بكل جديد رغم مرور السنوات، وهذا شأن الشعر الخالد الذي يزداد توهجاً مع مر السنين[1].

يقول علي أبوسن* (المرحلة الثانية من أحاديثي مع محمد المهدي المجذوب جاءت في شكل رسائل متبادلة، من المؤسف أنني لم أحتفظ بصورة من رسائلي إليه، ولكنى أحتفظ بكل رسائله، وسأنشر هذه الرسائل هنا دون أن أحذف منها شيئاً إلا ما تقتضى الضرورة حذفه، مع وضع نقاط مكان المحذوف وآمل أن يتعامل القراء مع أسلوب محمد المهدي المجذوب في كتابة الرسائل كما يتعاملون مع أسلوبه في كتابة الشعر، ولابد أن يجد القارئ العذر للمجذوب في بعض الأحكام التي يصدرها على بعض معاصريه هي أحكام قاسية صريحة فقد كان يعانى في تلك الأيام من إحساس هائل بخيبة الأمل في المثقفين السودانيين)[2].

اختص محمد المهدي المجذوب أخاه علي أبوسن بصداقته ورسائله، فهو مركز أسراره الذي يأوي إليه كلما ادلهمت به الخطوب وانتابته الهواجس والظنون. وكان أول تقديم لكتابته النثرية موضوعه النثري " صاحب الحمامة"[3] وهي موجودة في المخطوطة.

رصد الأستاذ علي أبوسن أكثر من خمس عشرة رسالةً للمجذوب لعشيقته روز مارى واطلع عليها الباحث جميعها.

أيضاً هفا قلب محمد المهدي المجذوب لفتاة إنجليزية تعرَّف عليها فقط بالرسائل بواسطة صديقه أبي سن فاختصها كذلك برسائله وفي ذلك يقول مخاطباً صديقه أبا سن:

---

[1] الصحافة، العدد 4223، 18/مارس/2005، ص5

* الأستاذ علي أبو سن، صديق الشاعر ودبلوماسي سوداني، عمل بسفارات السودان بفرنسا ولندن سنة 1963م، نائب رئيس الحزب الوطني الاتحادي حتى عام 1997م.

[2] المجذوب والذكريات، على أبو سن، الجزء الأول، 1997م، ص 174.

[3] ندوة عن الشاعر مر ذكرها .

(أريد فتاة تكتب إليَّ ... بين الثلاثين والأربعين. تكون أما وحبيبة .. عرَّفها بأحوالي جميعاً والأمر جد ولا يحتاج إلى مزيد من الشرح ويحسن أن تكون وحيدة محزونة مثلى. تحسن الكتابة والوضوح والصراحة وتكون ذات فهم عميق .. عسى أن ينفعني ذلك في تنظيم نفسي)[1].

سيختار الباحث أنموذجين لرسائل محمد المهدي المجذوب باللغتين العربية والإنجليزية حتى نقف على الملامح العامة لأسلوب محمد المهدي المجذوب في كتابة الرسائل .

يقول محمد المهدي المجذوب في رسالة قصيرة لروزمارى[2]:-

I st . Febr 67
Dear, Rosemary
How do you do ?

I hope you are well and happy. Did you receive the poems? And how is the dear pragmatic messenger ? Give him (or her) my SALAMS (greetings).

You are not like and you but yourself , I like you as you are .

You are not like any one but you are kind and I feel happy when talking to you even though I do not know what to say.

Tell me , do you hate writing to me .

I think very much a bout you . Thanks .

Yours MOHDI MAGZOB

أول فبراير 67 [3]

كيف حالك ؟ آمل أن تكوني بخير وسعيدة . هل وصلتك القصائد ؟ وكيف حال عزيزي الساعي البراجماتيكى؟ أبلغيه (أو أبلغيها سلامي) .

أنت لا تشبهين أحداً إلا نفسك . وأنا أريدك كما أنت . أنت عطوفة وأشعر بالسعادة حينما أتحدث إليك ، بالرغم من أنني لا أعرف ماذا أقول . خبريني ، هل تكرهين الكتابة إلى ؟ أفكر كثيراً بك .

شكراً / محمد المهدي مجذوب

بهذا يكون محمد المهدي المجذوب قد تطرق لمعظم ضروب الكتابة الفنية.

---

[1] المجذوب والذكريات – على أبوسن – الجزء الأول – 1997م، ص 23
[2] المرجع السابق – ص13
[3] المجذوب والذكريات – على أبو سن – ج 1 – ص 239

يرى الباحث أن كتابات محمد المهدي المجذوب النثرية ورسائله تميزت بالآتي:-

1- سلامة اللغة والتنوع في الأغراض ويظهر هذا في رسائله لعلي أبى سن فقد كان يصف له كل ما يحدث في السودان بالتفصيل من الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية.

2- الإقلال من الألوان البلاغية واختفاء السجع في كتاباته النثرية.

3- استخدام اللغة العامية (الدارجة) بكثرة في كتاباته وخاصة لصديقه على أبى سن واختفائها عندما يراسل روزمارى.

4- محمد المهدي المجذوب كان لا يستحي من ذكر الألفاظ التي يعف اللسان عن ذكرها وكان يحذفها علي أبوسن ويضع نقاط للدلالة عن الحذف ، استقباحاً لذكر المحذوف.

5- معظم رسائل محمد المهدي المجذوب لعلي أبى سن كانت رسائل سياسية نلحظ فيها الضجر من الحكومات التي عاصرها.

6- كان دافع رسائل محمد المهدي المجذوب لروزمارى العاطفية القلق والضجر ، ولم يكن شديد العاطفة بدليل هروبه منها حين قدم لندن.

7- تظهر سمة من سمات محمد المهدي المجذوب الأدبية في صوره النثرية وهى ذكر الصباح في رسائله وكان يرمز بها إلى انبلاج فجر الحرية والعدل.

8- محمد المهدي المجذوب كان يعانى من خيبة الأمل في المثقفين السودانيين لذا كان في رسائله يصدر أحكاماً قاسية وصريحة على بعض معاصريه.

9- امتازت رسائل محمد المهدي المجذوب بصفة الطول والاسترسال وذكر التفاصيل الدقيقة.

10- تظهر في رسائل محمد المهدي المجذوب ثقافته العالية وإتقانه للغة الإنجليزية.

مكانته الأدبية وآراء النقاد في شعره :-

اكتسب محمد المهدي المجذوب مكانةً أدبية عظيمة وسط أقرانه ووسط العامة، فيكفي انتماؤه إلى أسرة المجاذيب التي تجد الاحترام والتقدير من العامة أما الخاصة فقد كتبوا عنه كثيراً .

يقول الأستاذ عثمان كنة[1]: (الإنتاج الغزير والحضور الدائم في المحافل الشعرية والأدبية للأديب محمد المهدي المجذوب قابله اهتمام مماثل من النقاد والكتاب والباحثين ويقارب ما كتب عن محمد المهدي المجذوب ما كتبه النقاد عن شعر التجاني يوسف بشير ، وتنوعت الكتابات عن محمد المهدي المجذوب بتنوع شعره وعطائه الأدبي والثقافي ومجموعة الرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية والأوراق العلمية التي قدمت عن محمد المهدي المجذوب وعصره تقف شاهداً على الدور الرائد الذي أداه محمد المهدي المجذوب في مجال الشعر السوداني).

يقول عبده بدوي [2]: (يعتبر محمد المهدي مجذوب من الشعراء الأوائل الذين شكلوا الملامح الحقيقية للشعر السوداني، وخطورة هذا الشاعر أنه لا يصدر عن ثقافة غربية أو رؤى غير متمثلة في الوجدان الاجتماعي للحياة السودانية).

يقول الدكتور إبراهيم الحاردلو*: (وأشهد أنَّ محمد المهدي المجذوب كان شاهد عصره صادقاً مع نفسه في كثير مما عبَّر عنه في شعره، و من سمات الحداثة في شعر محمد المهدي المجذوب التنوع والإيجاز، فتجد أكثر شعره مقطوعات قصاراً تشبه المقطوعات التي نجدها في الشعر الإنجليزي، ثم تجد التنوع في القافية حتى في القصيدة الواحدة)[3].

يقول عبد الهادي الصديق*: (نجد أنّ شاعراً مثل محمد المهدي المجذوب يطرح الأصول جميعاً في سطور شعره، فنجد فيه المكان السوداني بكل تفاصيله وملامحه المتفردة، ونجد عنده النغم الصوفي العذب واللفظة العربية الفخمة بكل زخمها وخشونتها، إلى جانب التعبير الشعبي بكل سذاجته وبساطته، وهذا الشمول جعل محمد المهدي المجذوب أكبر وريث لمحاولات حمزة الملك طمبل وإشراقات الصوفية من أهل بيئته، ونرى أن الشاعر يستقى من كل هذه الأصول في وقت الحاجة المناسب ما يكفي حاجته الفنية. وبهذا الشمول يحتفظ محمد المهدي المجذوب بكل رواسب الموروث وأصول الثقافة، بينما يختلف تناوله لها من حال إلى حال فلا نجده يتظاهر ضد أصول الثقافة

---

[1] الصورة الفنية في شعر المجذوب، د. عثمان كنة، ص18.

[2] الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي– القاهرة – 1962م

* الحاردلو ، أستاذ اللغة العبرية والعربية بجامعة الخرطوم ، رئيس تحرير مجلة الآداب ، جامعة الخرطوم .

[3] شعر محمد المهدي المجذوب صفاه الوجع وأنضجه الألم – إبراهيم الحاردلو – الصحافة العدد 7191 ، 1982/9/2م

* عبد الهادي الصديق، تخرج في جامعة الخرطوم، التحق بالسلك الدبلوماسي السوداني، عمل محاضراً بالمعهد العالي للموسيقى والمسرح، حاز على عدة جوائز، له عدد من المؤلفات مثل أصول الشعر السوداني واتجاهات الشعر السوداني المعاصر.

العربية التقليدية إلا بما يخدم فنه الشعري ولا يأخذ من الأصول الصوفية إلا بما يكسب فنه الشعري الإشراق والنغم، ولا ينظر إلى الموروث الشعبي بعين الاحتقار والازدراء، ومع كل هذا فهو على وعي تام بتأثير الأرض التي يقف عليها شعره)[1].

يقول الأستاذ/ علي أبو سن: (شعر المجذوب شعر رصين ، شديد الفصاحة ، جزل العبارة ، قوي الأثر ، وقد يبدو صعباً لأول وهلة ، ومشاعر المجذوب شديدة التعقيد وهو في نفس الوقت طويل النفس ، متشابه الإحساس مع التجاني يوسف بشير)[2].

لخص الأديب الناقد الدكتور أحمد البدوي* خصائص ومميزات ومزايا شعر محمد المهدي المجذوب وشخصيته في الآتي[3]:-

1- شاعر قصيدة موزونة ومقفية، وأفضل قصائده على النهج العمودي الذي مارسه ومساحة الشعر الحر ممدودة في ديوانه، ومقاطعه في الشعر الحر من جيّد الشعر الحر.

2- حفظ القرآن في طفولته وقرأه ودرس النحو على والده الشيخ المجذوب، فنجد في شعره الفصاحة والجزالة، ويظهر ذلك في نفسه الطويل حين تطول القصيدة.

3- محمد المهدي المجذوب شاعر وعالم متمكِّن من اللغة العربية ليس فيه ضعفٌ.

4- درس في كلية غردون الإنجليزية وعرف اللغة الإنجليزية بطلاقة وله من النثر الإنجليزي رسائل وتصنيفات.

5-شعر محمد المهدي المجذوب متماسك القصائد ويمتاز بالوحدة العضوية في القصيدة.

6-محمد المهدي المجذوب شاعر رسام، فنجد في شعره مشاهد وربما أفاد من فن السينما فنلاحظ مشاهد الدلوكة والذكر والذاكرين.

7-تظهر احتفائية محمد المهدي المجذوب بالمساكين والفقراء وإنسانيته معهم، ولا يهتم بالأفندية ولا الجلابة فنجد في شعره قصائد عن شحاذ وبائعة الكسرة، فهو أول من طرح قضايا المهمشين بهذه القصائد.

---

(1) أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق،الخرطوم 1973م، ص77 .

2- المجذوب والذكريات ، علي أبو سن ، ص 8

* د. أحمد البدوي، أستاذ الأدب والنقد بجامعة الخرطوم، له مجموعة من المؤلفات شارك في عدة ندوات داخلية وخارجية.

(3) جامعة الخرطوم، ندوة عن محمد المهدي المجذوب، الدكتور أحمد محمد البدوي، 2007م.

8-كبرياء محمد المهدي المجذوب جعله يترفع عن الحكام والوزراء، فهو صوفي متقشف ولا يبالى أن يبيت جائعاً، فقد ترفع عن أصحاب المناصب وعن أولاد الذوات واندمج مع الشماسة.

أضاف الدكتور الصديق عمر الصديق ملمحاً من ملامح شعر محمد المهدي المجذوب وهو الإيغال في جرح الأشياء والتفكر العميق[1].

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب ملأ الدنيا بشعره وشغل الناس بإبداعه، فقد كان جزل العبارة، متوقد القريحة، حاد الذكاء، رقيق في مواضع الرقة وقوى في مواطن القوة، ويكفي غزارة إنتاجه وكثرة مفرداته، وقد تحدث عنه الناس في حياته وكتبوا عنه بعد مماته ورثوه شعراً ونثراً.

مصادر ثقافة محمد المهدي المجذوب :-

يرى الباحث أنَّ ثقافة محمد المهدي المجذوب الأدبية تشكلَّت من محاور معينة، فأولى هذه المحاور حفظه للقرآن في سن مبكرة، وثانيها دراسته للسنة النبوية الشريفة، وثالثها دراسته للنحو ومبادئ اللغة منذ طفولته على والده، ورابعها توفره على دواوين الشعراء مثل شعر جده الشيخ محمد المجذوب وديوان ابن الفارض وديوان عبد الرحيم البرعي اليمني. وخامسها تجواله وترحاله في ربوع السودان مما أكسبه دراية ومعرفة .

موضوعاته الشعرية :-

يقف محمد المهدي المجذوب حائراً أمام تعريف الشعر فيقول[2]: (ليس لدي تعريف للشعر لم أفكر في هذا قط وقد حاول الكثيرون من أهل النظر تعريفه. وقرأت كلاماً شافياً لأديب أوربي غاب عني اسمه يقول: (إن المشتغلين بالشعر يسألون دائماً ما هو الشعر والسائل عن هذا كمن يسأل عن الحياة ما هي والحياة لا تعرف بل تعاش وهكذا الشعر[3]) ، ويقول: (لقد ذهب أولاد العرب إلى أوربا ورأى بعضهم من الآداب والفنون شيئاً بالغ العظمة وبهرهم، فتركوا ما نشأوا عليه من آداب فكانوا مقلدين تابعين وعادوا إلينا بهذه المشهيات الإفرنجية من كلاسيكية تقليدية وأخري مجددة ورومانسيه ورمزية وواقعية إلى آخر هذه الأطباق . مثلهم في هذا مثل الذين قعدوا في التراث العربي

---

[1] جامعة الخرطوم، ندوة عن محمد المهدي المجذوب، د. الصديق عمر الصديق، سنة 2007م.

[2] .الشرافة والهجرة، محمد المهدي المجذوب، ص7 .

[3] المرجع السابق، ص8.

لا يتحركون، قدسوه ولم يستطيعوا الخروج عليه فكرروه وأكثره لا قيمة له، كلا الفريقين سلبي في إنسانيته ولقد حيروني قبل زمان)[1].

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب تطرق لجميع جوانب الشعر وقد ساعده في ذلك عدم اتباعه لمذهب معين، فكتب بالفصيح والمرسل في حديثه عن الوطن، ابتداءً من الأغراض القديمة التي أجادها مثل الفخر والمدح والهجاء الغزل والوصف، ثم تطرق للوطن واصطفاه بشعره وجعل شعره أداة من أدوات التعبير، وانحاز للشعب وظهرت في شعره اتجاهات عديدة ومضامين مختلفة، وفي بدايته الشعرية انجذب للرومانتيكية في أساليبها ومضامينها وموضوعاتها، وقد انفتح على مشكلات الجماهير بعض الانفتاح فكان هذا إرهاصاً بظهور تيار الواقعية في شعره، فانغمس في هذا التيار حتى غطى على كثير من إنتاجه الشعري في سنواته الأخيرة.

يقول مجذوب عيدروس: (التجريب كان سمة بارزة من سمات محمد المهدي المجذوب فحينما انتمي للحزب الجمهوري كان يتلمس طريق الحداثة في الأربعينات وكذلك حين وقع بيان المدرسة الكريستالية كان يجهر بالتمرد والتجريب خارج الأطر التقليدية المتعارف عليها ومن ذلك معركته مع جمعية الأدباء ومقدمته للغناء والعشب والزهور للنور عثمان أبكر*)[2].

دارت موضوعات محمد المهدي المجذوب الشعرية حول الوطنية والرومانسية والواقعية والوصف والفخر.

قال الأستاذ هدارة عن الطبيعة في شعر محمد المهدي المجذوب وهي من موضوعات الرومانتيكية [3]: (محمد المهدي المجذوب يعيش في أحضان الطبيعة السودانية وهي طبيعة كثيرة الألوان والظلال أتيح للمجذوب أن يشهد صوراً كثيرة منها في تطوافه في أنحاء السودان سعياً وراء عمله وهذا الفارق بين محمد المهدي المجذوب والرومانتيكيين في معظم شعره مرده إلى نزوعه نحو الواقع بالرغم من ترسمه خطي الرومانتيكية في معظم شعره).

---

[1] المرجع السابق، ص8.

* الشاعر النور عثمان أبكر، ولد ببورتسودان عام 1938م، درس في كلية الآداب جامعة الخرطوم، هاجر إلى ألمانيا والدوحة، له أربعة دواوين شعرية منها صحو الكلمات المنسية، من مؤسسي مدرسة الغابة والصحراء، توفي عام 2006م.

[2] الصحافة، مجذوب عيدروس، العدد 4686 2، /2007/2م.

[3] تيارات الشعر العربي المعاصر، محمد مصطفي هدارة، ص 344.

ظهر اتجاه الواقعية عند محمد المهدي المجذوب بكل مقوماته شكلاً ومضموناً، أما من ناحية الشكل التحرر من الوزن والقافية وهذا من سمات القصيدة الواقعية وقد صرح به محمد المهدي المجذوب ودعا له فنراه يقول :-

اترك الشعر المقفى وتعوذ منه ألفاً [1]

لست كالأعمى الذي كربج حرفاً دق حرفا

واخترع جرساً ومعني واجتنب نحواً وصرفا

ما الذي تسمع هل تسمع تصفيق الجريدة

ارمها واشرد مع البحر لآفاق بعيدة

وحدة الشعر قصيدة قلبوها كالعصيدة

حين كبوا (الشرموط) ماعت كالمديدة

حصر محمد المهدي المجذوب شعره في قضايا المجتمع السوداني فظهرت عناوين مثل (بائعة الكسرة)، (وكلب وقرية)، (وليلة شاتيه)، (وحفرة الدخان)، (والمولد)، وغيرها من روائع المجذوب.

وتحدث محمد المهدي المجذوب عن الوطن في تصوير الحياة الريفية وأكثر أغراضه الشعرية كانت عن الوطن والكفاح والقلق على مصير السودان والهجوم الصارخ على الأحزاب وعلى المثقفين الذين كانوا أدوات للأحزاب.

ولأن البحث عن الوطنية فقد عمم الباحث حديثه عن موضوعاته الشعرية ولم يفصل ولكنه سيعطي مساحة أكبر إن شاء الله عن شعره الوطني موضوع البحث.

---

[1] تلك الأشياء محمد المهدي المجذوب، دار الجيل بيروت، شركة المكتبة الأهلية، 1981.

السمات الفنية للشعر الوطني عند محمد المهدي المجذوب :-

يتناول الباحث في هذا المبحث الدراسة الفنية للشعر الوطني لمحمد المهدي المجذوب ، متناولاً فيها اللغة والأسلوب والمعاني والوزن الموسيقي والصباح والليل، وقصد الباحث من دراسة هذه السمات ليستفيد منها في تحليل محاور وموضوعات شعره الوطني .

أولاً: اللغة والأسلوب :-

1/ اللغة :-

امتاز الشاعر محمد المهدي المجذوب على شعراء جيله بالابتكار وتوليد المعاني و نظم في معظم أغراض الشعر فجاءت قصائده لوحات مكتملة الجوانب بما فيها من المعاني والمفردات التي استندت علي ذخيرة هائلة من مفردات اللغة العربية اكتسبها محمد المهدي المجذوب منذ طفولته عندما التحق بخلاوي أهله المجاذيب حافظاً للقران الكريم ودارساً لعلوم اللغة العربية وفنونها عند والده الشيخ مجذوب جلال الدين ليعود كل ذلك ملقياً بظلاله على شعره وشاعريته.

يقول د. الصديق عمر الصديق معلقاً على قصيدة المولد: (أما اللغة فجزالتها لا تستمد من التركيب والنظم العروضي وحده ذلك الذي عرف به الشاعر بل معجم الشاعر

هو مورد الجزالة بما يرفد به الفكر من شوارد الألفاظ في السياق الدلالي للصورة الواحدة ، وهنا تكمن أهمية ثقافة الشاعر في مضمار التفرد)[1] .

امتاز محمد المهدي المجذوب كذلك بسعة حفظه واطلاعه على دواوين الشعراء القدامى ، واطلاعه كذلك علي الثقافة الغربية ، وإقباله على اللغة الإنجليزية التي أتقنها فتميزت لغته بالآتي :

1- التأثر بالقران مثال قوله[2] :-

كم في دمائي من خمر مؤبدة كنار موسى وما في ضوئها رشد

وهذا مأخوذ من قوله تعالي[3] :-

ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ القصص: ٢٩ .

أيضاً يقول المجذوب :-

كم خانه القوم حتى قال عن ضجر أيخطبون وفى آذانهم وقر[4]

وهذا مأخوذ من قوله تعالى[5]: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽ .

2- تأثر بلغة الشعر القديم مثل :-

هل تضيئ البروق ضلمة نفسي أم تدك السيول هيكل رجسي[6]

فمحمد المهدي المجذوب يجاري البحتري في سينيته التي يقول فيها[7] :-

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

3- وكثيراً ما مزج المجذوب اللغة الفصحى بمفردات اللغة العامية الدراجية فظهرت كلمات في شعره مثل السجار والتمباك والكركار والقرمصيص والدلكة والفركة .

4- لغة محمد المهدي المجذوب سهلة وجزلة وكان لا يميل إلى استخدام الألفاظ الغريبة.

5- دخلت بعض المصطلحات الأجنبية في شعره التى تدل علي اطلاعه على الثقافات الغربية وإقباله علي اللغة الإنجليزية .

---

[1]- آخر لحظة ، د. صديق عمر الصديق ، العدد 235 ، 2007 ، ص 11
[2]- نار المجاذيب ، ص 297
[3]- سورة القصص: الآية 29
[4]- منابر ، ص 10
[5]- سورة الكهف ، الآية 57
[6]- نار المجاذيب ، ص 149
[7]- ديوان البحتري ، ص 152
3- منابر ، ص 189

6- نتيجة لنشأته الصوفية استخدم المصطلحات الصوفية في قصائده مثل الطار واللوح والشرافة التي استقاها من دراسته في الخلوة أو من سماعه للمديح .

7- كان محمد المهدي المجذوب شديد الاهتمام بالمحتوى عازفاً عن كل تقليد يقف بينه وبين مضامينه الوجدانية أو الفكرية .

2/ الأسلوب :-

تفرد الشاعر محمد المهدي المجذوب بكثرة إنتاجه وتعدد موضوعاته فأدى ذلك إلي تنوع أسلوبه ، وامتاز أسلوبه بالسمات الآتيه .

أ/ فخامة اللفظ

عندما يتحدث الشاعر عن مقاومة الإنجليز و يفتخر بنفسه وبجدوده الذين دحروا المستعمر يضخم العبارة ويقوي اللفظ ليضفي الحماسة والقوة ويظهر ذلك في قوله محرضاً شعب وادي النيل للثورة على المستعمر[3].

إلي السيف شعب النيل خوضوا بحده صدور المنايا واحكموا في المصائر

دعوا السلم تذهب مزقة بعد مزقة فما السلم إلا في لهيب المجازر

أفيضوا قنالاً من حقود مريرة ولا تمسكوا إرغاءها في السرائر

أديروا علينا الخمر من عطر منشم شفاني من يأس دعيّ مكابر

فيا موجة من غمرة النيل حرة تساور صخراً مد لهم الأظافر

سري دمك الخلاق درعاً وشارة ونصراً حنيفي الهدي والمآثر

فالألفاظ جذلة رنانة قوية وثابة والغرض واحد وهو التحريض على الثورة ، ونلاحظ فوق ذلك (ثراء المعاني واتساع الخيال والتعبير بالصورة البيانية والموهبة والذكاء في استخدام الصورة لرسم خطوط الفكرة ونسج خيوطها)[1].

ب/ رقة الألفاظ

أما إذا تغزل محمد المهدي المجذوب وذكر الصبابة والحب والهوى فألفاظه رقيقة عذبة تفيض بالوجد والحب والشوق وحرارة العاطفة وصدق الشعور يقول[2]:-

أحبابنا أو ما يتم سروركم إلا ودمعي حائر هتان
لم يبق لي إلا الأسى فعليكم مني الرضا وما بذاك هوان
يا سالبي أنس الحياة وما به أنس الحياة أما لديك حنان

وتتجلى رقة الألفاظ وعذوبتها في عشقه للوطن وحبه لترابه وهو عنده أسمى الحب وأصدق العاطفة يقول[3]:-

وطني الذي أهوى كتاب ملاحم كبري تضيئ على الزمان وتبهر
وعمائم بيض تهل عمائماً في ظلها كرم يهش منضر
وقري على النيل الوفي برزقه ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر
معصومة في خلوة ميراثها لوح وآيات عليه تسطر
والنيل قد لبس الضحى من خضرة متموج فيها العباب الأسمر
والرمل من ذهب يشف مآزراً تحت النخيل حريرها يتكسر
صور عشقت لها الحياة مريرة وبقيت بين خطوبها أتنظر

ج/ التكرار

ومن السمات الفنية البارزة في أسلوب محمد المهدي المجذوب الإكثار من التكرار ويظهر ذلك في قوله[1] :-

ويا وطني أهواك والحب قاتل فؤادي في أوجاعه غير نادم
ويا وطني لولاك ما بات واحداً صباي وأضناني بكاء الحمائم

ويقول مردداً (سلام علي توتي) دلالة علي الحسرة عندما استشهد فتاها[2] :-

سلام علي توتي علي النيل قلعة تطل علي الخرطوم كثبانها العفر
سلام علي توتي حزين مصابر علي المحيا لا دموع ولا قهر
سلام عليها في ثناياه موعد إلى هبة أخري ترقبها الثأر

ويقول في رثاء عمر طوسون[3] :-

1- الأدب في التراث الصوفي ، د. محمد عبد المنعم خفاجة ، مكتبة غريب ، مصر ، بدون تأريخ ، ص 178
2- نار المجاذيب ، ص 50
3- نار المجاذيب ، ص 143

يا مصر هزتك الرعود فرجعت فزع الصريخ جوانح الرجاف

يا مصر يا أخت الخلود تحية من جازع لك بالعزاء مواف

ويقول أيضاً مكرراً عبارة(بني وطني)مستثيراً حماس الشعب لطرد المستعمر[4] :-

بني وطني هل أرقب النصر منكم وما بكم يا قوم سوى الله ناصر

بني وطني ما أطلب العذر منكم وهيهات ما تشفي أساي المعاذر

بني وطني لم تنصفوني وغربتي هواكم على إني مقيم مهاجر

بني وطني الأحرار جنساً وفطرة لكم وبكم يستلهم النور شاعر

بني وطني في السجن حر منكم شديد القوى لا يعرف الخوف ثائر

ويلاحظ الباحث أن هذا التكرار يظهر في مواضع الحزن والرثاء . يظهر في قاموس الشاعر اللغوي كذلك استخدام عبارة (خمسون) بكثرة ويقصد بها فترة الاستعمار أي خمسون عاماً مرت ولم يتحقق الاستقلال يقول[5] :-

1- نار المجايب ، ص 56
2- منابر ، ص 100
3- منابر ، ص 94
4- منابر ، ص 9
5- منابر ، ص 88

خمسون عاماً وللأغماد جمجمة وللسيوف إباء ليس ينتصر

ويقول[1] :-

خمسون عاماً ومازالت جوانحنا تدمي نكتم فيها جمرة الغضب

ويقول أيضاً[1] :-

خمسون من عمر الزمن تصرمت كمداً وأنت على انتظار الثأر

ويقول مكرراً صدر البيت السابق[2] :-

خمسون من عمر الزمان تصرمت سوداً وأنت بها ترد وتقهر

وأيضاً هنالك كلمات تكررت كثيراً جداً في قاموسه الشعري مثل (بني وطني) التي قلما تخلو قصيدة وطنية منها مثل قوله[3] :-

[1]- منابر ، ص 109
2- منابر ، ص 109

3- نار المجاذيب ، ص 222
4- منابر ، ص 129

بني وطني ما الدين حزب وفرقة فما هو من نسل الشريف المخاصم

ويقول[1] :-

بني وطني هذا فتاكم مضرج وقاتله المأجور طاب له الأجر

ويقول[2] :-

فخراً بني وطني فإني شاعر بالخالدات من المآثر يفخـر

ويقول[3] :-

بني وطني إلي فكم عنانا حساب الحاكمين بلا حساب

د/ الاستفهام

ومن الظواهر الفنية في أسلوب الشاعر الاستفهام واستفهامه يخرج إلى معاني عدة تفهم السياق مثل الاستفهام التحسري والتقريرى والتعجبي والإنكاري والاستفهام الدال علي النفي.

يقول محمد المهدي المجذوب مستنكراً تفرق قومه[4] :-

النيل وحدنا فكيف أحالنا مزقاً ونحن علي الضفاف سواء

هل كان مؤتمر البلاد حبالة للحكم أم هو عفة معطاء

ويكون الاستفهام بمعني التمني[5] :-

متى أري النيل وزراعه ناجين من برق بلا عاصر

ويقول متحسراً متعجباً[6] :-

وما وطني ! أين ذاك الوطن

وراء الخيـــال

أراه فأعجـــب من جنة

تجاوزتـها وهي من رغبتي

إلي غيرها فـي المحـال

ويتحسر أيضاً بقوله[1] :-

5- مناب ر، ص 57
6- نار المجاذيب ، ص 144
7- منابر ، ص 111
1- منابر ، ص 29
[5]- منابر ، ص 32
[6]- نار المجاذيب ، ص 48

وطني أين ليس في شاطئ النيـ ل فلـــي غيره بنفسي نيل

دونه صخرة من الفقر والهم وبيـد مبيـدة وعليـل ويتحسـر الشـاعر

أيضاً فى قوله [2] :-

فأين فراري من بلادي وفي يدي سراج أراني محنتي في الدياجر

ويلاحظ الباحث أن الشاعر يكثر من الإستفهام التحسرى فى مبحث إحباط الشاعر ويأسه من حكومات بعد الإستقلال ، ويظهر كذلك الإستفهام التعجبى فى قوله[3]:-

إني لأعجب من نهي رجل يرضي المهانة من يدي رجل

أتلومهم عباد مصلحة صماء عارية بلا خجل

وفي الاستفهام الذي يفيد النفي يقول المجذوب[4] :-

من أين يشرق وجه العيد في وطن أيامه السود في سمعي وفي بصري

ويقول أيضاً[5] :-

أتحمل الحق وحداناً وصاحبه لا يستريح من الجزار والوضم

هـ/ النداء :-

من السمات المميزة لأسلوب محمد المهدي المجذوب استخدامه للنداء بكثرة وخاصة عندما يستغيث بني وطنه كما مر .

و/ الأمر :-

يكثر في أسلوب محمد المهدي المجذوب استخدامه للأمر ويختلف معناه بحسب المخاطب فيقول ملتمساً من شهيد النيل[6] :-

قم يا شهيد النيل أروع غرسه في شاطئ مزج الخصوبة بالدم

وأقرأ كتابك مورقاً في سره أبقي الحياة جديدة لم تسأم

ويكون الأمر عنده بمعني التمني ويظهر هذا في قوله[7] :-

---

[1]- نار المجانيب ، ص 79

[2]- منابر ، ص 69

[3]- منابر ، ص 71

[4]- منابر ، ص 85

[5]- منابر، ص 52

[6]- منابر ، ص 179

[7]- نار المجانيب ، ص 137

عد ياحمــام

بخضـرة السلام

ويقول أيضاً[1] :-

عج بنا يا فؤاد قد ملنا الناس وما في وفائنا من مــلال

وانشري يا ركاب لحن قوافيك التي ما رويتها لابتــذال

وارقصي واضربي الحوافر بالرمل وشقي الغبار بلا ذيـال

وعندما يخاطب أستاذه محمود محمد طه يكون الأمر عنده بمعني الدعاء[2] :-

محمود هات الفجر وامح به ليلاً إليه الشمس لم تصل

ز/ أساليب أخرى :-

هنـاك فنـون أخـرى فـي أسـلوب محمـد المهـدي المجـذوب ولكنهـا غيـر شـائعة الاستعمال مثل أسلوب النهي واستخدام كم الخبرية وأسلوب الحذف .

هذه بعض مظـاهر الأسلوب البـارزة فـي شـعر محمـد المهـدي المجـذوب ومنهـا يستنتج الباحث ما يلي :-

1- تنـوع ألفـاظ الشـاعر مـن حيـث الجزالـة والقـوة والرقـة والعذوبـة يتوقـف علـي موضـوع الشاعر إن كان فخراً أو مدحاً أو غزلاً أو نسباً .

2- يرجـع التكرار لطبيعـة الشـاعر الصـوفية لأن التكرر ظـاهرة فـي الأدب الصـوفي لكثرة الاسـتغاثات والابتهـالات ويمكـن أن يعـود التكـرار كـذلك عنـده للحسـرة والحـزن مـن الاحباطـات التـي عاشـها الشـاعر فنلاحظ أن معظـم مواضـع التكرار عنـد محمـد المهـدي المجذوب تكون في قصائد الحسره .

3- يختلـف الاسـتفهام بـاختلاف مواضـيع المخاطـب ولـم يسـتخدم الشـاعر الاسـتفهام الحقيقي إلا في مرات قليلة ، ويكثر عنده الاستفهام الإنكاري لأنـه كان حاداً في مخاطبة قومه ومخاطبة المستعمر ، كما يكثر أيضاً الاستفهام الذي يفيد التحسر ويرجع هذا لحزن الشاعر علي حالة وطنه .

---

[1]- نار المجاذيب ، ص 157

[2]- منابر ، ص 72

4- أكثر الشاعر من استخدام الأمر بمعانيه المختلفة ، فيكون الأمر عنده بمعني الدعاء إذا كان المخاطب شيخه أو أستاذه محمود ، ويأتي الأمر بمعني التمني إذا كان يخاطب معارك الأجداد أو يخاطب فؤاده .

5- أما النداء فيدل علي الاستغاثة والتضرع ويكون في غالب الشعر الصوفي الذي تأثر به محمد المهدي المجذوب وكان الشاعر يستغيث بني قومه للثورة على المستعمر.

6- أيضاً يتميز الشاعر في أسلوبه بالآتى:-

أ/ التصوير الدقيق ونقل المشاهد بصدق ووضوح .

ب/ نجد الأسلوب القصصي في أشعاره فهو أكبر قاص وله طريقة ومذهب في الحكي فتحس في قصائده أن يدير معك حواراً ويمنحك التفاصيل .

ج/ لم يلتزم منهجاً واحداً في بناء القصيدة فهو متأثر بالمنهج القديم للقصيدة العربية فيبدأ قصائده بالغزل ومرات عديدة ينتقل إلى غرضه مباشرة .

ثانياً : الوزن والموسيقى :-

بذل الشاعر جهداً ملموساً في تجويد لفظه والتفنن في نظمه فحقق الجرس المنشود وعمل على تنسيق مقاطع كلامه فجاءت ألفاظه معبرة عن معانيه ومصورة لمضامينه ، وسكب تجربته الشعرية في قوالب الشعر المألوفة التي طرقها شعراء اللغة العربية من قبله ومال كذلك إلى الأوزان النادرة .

وهو شاعر متمكن من لغته خبير ببحور الشعر وأوزانه وقوافيه رغم إنكاره معرفة هذه البحور حين قال[1]: (لا اعرف تقطيع البيت علي تفاعيل ومازلت أتعجب ممن يطيق هذا الترتيب وأشهد له بالبراعة).

دعا الشاعر إلى التحرر من القافية والوزن وصرح بذلك في شعره حين قال[2]:-

اترك الشـــعر المقفى وتعوذ منه ألفا
لست كالأعمى الذي كربج حرفاً دق حـرفا
واخترع جرساً ومعني واجتنب نحواً وصـرفا

[1]- نار المجاذيب ، ص 18
[2]- تلك الأشياء ، ص 331

علي الرغم من تعرف الشاعر على المذاهب الأدبية والتنوع الذي حدث في مجال تطور الأدب إلا أنه آثر أن يجد لنفسه موقعاً أخراً فكتب الشعر كيفما يريد غير مبال بأي من المذاهب الأدبية التقليدية أو الحديثة فقال: (ثم عدت لأكتب شعري علي كيفي غير مبال بالفريقين لإحساسي العميق بأن الشعر السوداني مأخوذ من أعماق هذا البلد في أي صورة جاء)[1] .

نظم محمد المهدي المجذوب الشعر المقفى الموزون كما نظم شعر التفعيلة والشعر المنثور فمعظم قصائده الواردة في ديوان(تلك الأشياء)موزونة ومقفاة ولا توجد بينها قصيدة منثورة أما ديوانه(الشرافة والهجرة) ففيه قصيدة واحدة منثورة وهي الزعيم التي يقول فيها[2] :-

فخ – سمين – حزبة – أجنبية – حنكلة – الأصوات والسوق والمأكلة

لحية التيس والحناء – طوى قرنيه – علي نيشان الملك جورج الخامس

وفي ديوانه (القسوة في الحليب) يظهر شعر التفعيلة في كل قصائده بينما تنوع ديوانه(أصوات ودخان) ما بين شعر التفعيلة والشعر المقفى .

نجد بعض القصائد غير المقفاة في ديوانه (الشرافة والهجرة) – مثل قصائد (مشوار) (وزاد آدم) التي يقول فيها[3] :-

في كل مرآة محطمة وبه شتيت الروح والبدن

لم يبق إلا الشعر أكتبه لو كان في أصدائه علم

يحتوي ديوانه (شحاذ في الخرطوم) على قصيدة واحدة منثورة يقول في مطلعها:-

وقف الشحاذ وفي يديه صرخة وقرعة وطمع منكسر الأنفاس

دموعه العمياء لم يسجلوا غناءها الجميل

وديوانه (البشارة والقربان والخروج)يحتوي على ثلاث قصائد نظمت كلها علي شعر التفعيلة .

---

[1]- القسوة في الحليب ، ص 9

[2]- الشرافة والهجرة ، ص 20

[3]- شحاذ في الخرطوم ، ص 1

تنـوع ديوانـه (نـار المجاذيـب) فنجـد بجانـب قصـائده المقفـاة والموزونـة قصـائد التفعيلة.

يقول د.عثمان كنه[1]: (هكذا نجد محمد المهدي المجذوب قد نوع في الأوزان من استخدام للقصـائد المقفـاة والموزونـة مـروراً بـالوزن غيـر المقفـى ثـم الشـعر الحـر (شـعر التفعيلـة) إلـي أن انتهـي بالقصـائد المنثـورة فهـذا الاسـتخدام والتنـوع جعـل محمـد المهـدي المجذوب متفرداً بوضع بصمات واضحة في الشعر السوداني) .

ثالثاً: الصباح والليل في شعر محمد المهدي المجذوب :-

المتأمل في شعر محمد المهدي المجذوب يجده يحمل في طياته ظواهر شعرية كثيرة ترددت بكثرة في شعره وقف عندها النقاد وحللوها ومن ضمنها الصباح والليل.

يقول الدكتور حسن أبشر الطيب: (وإعجاب الشاعر بالليل يتجلى في جل قصائده، وهناك أربع قصائد طوال تحمل في صدرها عنوان الليل: ليلة شاتية، ليلة ممطرة، عذاب الليل، ليلة. ولعل مردها هذا لإعجاب الليل يتيح له من الهدوء والطمأنينة، ما يجعله يخلد إلى تأملاته الذكية ومناجاته لنفسه)[2].

ويقول د. عثمان محمد عثمان كنه: (إنَّ تجربة محمد المهدي المجذوب مع الطبيعة لا تقف عند الليل، بل هناك مجالات وظواهر طبيعية لها تجارب مع المجذوب، ولها وقفات ذات أبعاد نفسية يعبِّر عنها محمد المهدي المجذوب بصورة تعكس حقيقة ما بداخله من ردود فعل أو انعكاسات على مشاعره مثل الصباح)[3].

ويتفق الأستاذ/علي أبو سن مع دكتور عثمان كنه في اهتمام محمد المهدي المجذوب بالصباح يقول معلقاً على خطاب وصله من المجذوب: (وفي الخطاب تظهر سمة من سمات محمد المهدي المجذوب الأدبية تلفت نظري دائماً في صوره الشعرية تلك هي علاقته بالصباح، فإذا كان نزار قباني شاعر النجوم لكثرة ورود النجوم في صوره

[1]- الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب ، ص 339

1- في الأدب السوداني المعاصر ، حسن الطيب ، ص 14

[3]- الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب ، دكنه ، ص 97

الشعرية فإنني أسمي محمد المهدي المجذوب شاعر الصباح لكثرة ورود الصباح في صوره الشعرية)[1].

ويؤكد علي أبو سن قوله هذا ذاكراً جزءاً من خطاب محمد المهدي المجذوب صوَّر فيه محمد المهدي المجذوب فرحته بخطاب علي أبو سن إليه يقول فيه: (جاء كصباح بعد ليل طويل نمت أضواؤه الدار)[2].

يرى الباحث أنَّ كثرة ورود الصباح والليل في شعر محمد المهدي المجذوب يعود للآتي:-

1-محمد المهدي المجذوب شاعر صوفي وسليل أسرة صوفية شعرية والصوفية لهم دلالات ورموز في الظواهر الطبيعية مثل الليل والصباح.

2-دائماً يصف الشاعر الليل بالطول في شعره وهذا رمز لليل الاستعمار البهيم فالشاعر يرمز للاستعمار بالليل.

3-وإذا كان الليل دلالة على الاستعمار، فلابد أن يكون الصباح رمزاً للحرية والاستقلال وانقشاع ليل الظلم، ومعظم الشعراء يربطون ما بين الليل والاستعمار والصبح والاستقلال، يقول محمد محمد علي متحدثاً عن استقلال أفريقيا[3] :-

الليل شرده الصباح المشرق والقفر زينه الخميل المورق

يقول الأستاذ علي أبو سن معلقا علي قصيدته عذاب الليل[4]: (أما في قصيدته (عذاب الليل) التي كتبها سنة 1943م، فقد تستشف أي علاقته بالليل ليست في الأساس رمزية، وإنما هي حالة خوف حقيقي كانت تغشاه أحياناً من ظلام الليل، فهو يصوِّر في هذه القصيدة رعب الليل تصويراً يبعث الرهبة في النفوس، ثم يأتى الصباح فينقذه، ولم يكن قد أفلت من رعب الليل إلا برحمة النوم). والقصيدة هي[5]:-

ودعاني الصباح يهمس في سمعي كطفل مدلل عبقري
لف رأسي بمعصميه وناغـاني بعينين في غرام ندي
وتشربت حسنه فأجـد الشـوق للري من جمال روي

[1]- المجذوب والذكريات ، علي أبو سن ، ص 172
[2]- المرجع السابق ، ص 172
[3]- ظلال شاردة ، محمد محمد علي ، ص 37
[4]- المجذوب والذكريات ، علي أبو سن ، ص 174
[5]- نار المجانيب ، ص 206

ورضيت الحياة تملأ سمعي بأصداء جانها الصبحي
كلنا نمسك بكأس وقد جد خمار الحياة في كل حي
أنضحي يا نسائم الفجر أضلاعي كبلينى بالغمام السخي

تفاعل محمد المهدي المجذوب بالحياة، وبشَّر نفسه بحياة خصبة وعيش نضير، ولكنه فوجئ بعوائق جمة وأدت حلمه الجميل، وظهرت له الحقيقة بكل مرارتها كليل بهيم جهل معه الصباح يقول:-

بشرت نفسي بالحياة خصبية وأرشت من عش الصباح جناحي
وفجعت نفسي بالحقيقة مرة وجهلت في وجه الصباح صباحي

تمسك محمد المهدي المجذوب بالأمل في حرية بلاده وطرد المستعمر، وعمل مع المخلصين لتحقيق هذه الغاية، وتيقن تماماً أنَّ السودان سيعود لأهله بعد جلاء المستعمر، ولكنه أحبط من خلافات الأحزاب، وكان الصباح حاضراً في قوله[1]:-

حسبت أنَّ جلاء الجند يعقبه صبح ألاقي به السودان سودانا

ويقول المجذوب[2]:-

وأشهد أنَّ الصبح ما عاد صادقا وكان على وجه الصبا غير كاذب

ويقول :-

ما الصبح إن صلبت عدالة حبه سود العتود فكل صبح محرم

ويقول أيضاً[3] :-

ما لهذا الصباح يسود في عيني حتى استراب فيه يقيني

ويخاطبه مستنكراً ابتسامه[4] :-

أيها الصبح كيف تبسم والدنيا دماء ترقرقت في الصعيد

وعلق عثمان كنه على هذا البيت قائلا: (ويثور محمد المهدي المجذوب على الصبح أحياناً وتسوء علاقته به، لأنَّ الصبح لم يعد صادقاً مع أنَّه كان صادقاً في زمن الصبا)[5].

---

[1]- منابر ، ص 55
[2]- تلك الأشياء ، ص 190
[3]- نار المجاذيب ، ص 55
[4]- نار المجاذيب ، ص 62
[5]- الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب ، كنه ، ص 99

ويرى الباحث أنَّ محمد المهدي المجذوب يقصد بالصبح، في هذا البيت، وعود الأحزاب بإقامة دولة تتوفر فيها أسباب الرفاهية والتقدم والوفاق.

أما في قول المجذوب[1]:-

إن يذهــب الترك عنا أطــلالهم هل تغيب

أقول والليل صخر الصبح آتٍ قريب

ويقصد صبح الاستقلال لأنَّه يتساءل أمام الصبح الآتي قريباً بأنَّ ذهاب المستعمر يعني خروجه، ولكن هل يغيب عملاء الاستعمار وتجاه هذا النزاع يتألم الشاعر ويقول أنَّ الصبح آتٍ قريب.

ويتشاءم الشاعر من الصبح ويقول[2] :-

أفي كل صبح ترحه بعد ترحه وصب على باب الحياة صريع

[1]- الشرافة ، ص 38

[2]- نار ، ص 63

الفصل الثاني
موضوعات شعره الوطني

مقدمة :-

أفرد الباحث جانباً كبيراً لموضوعات ومحاور الشاعر محمد المهدي المجذوب الوطنية لأنها تمثل الجانب الأهم في هذه الرسالة وهي الموضوع الرئيس لها .

يعتبر محمد المهدي المجذوب من الشعراء الذين اختصوا الوطن بأصدق أشعارهم وأنبل قصائدهم، وتفرد في حبه للوطن لأنه خصاه بديوان كامل اسماه منابر حصره كله في القصائد الوطنية ولم يكتف بذلك بل نثر قصائد وطنية في معظم دواوينه الأخرى. يقول محمد المهدي المجذوب في مقدمة ديوانه منابر: (في هذا الديوان قصائد منبرية وقد كنت أنشدت القصائد التي أسميت ديواني هذا باسمها على منابر الخريجين والأنصار أيام الشوق إلى الوطن والحكم الثنائي جامد الليل)[1].

تطرق محمد المهدي المجذوب لكل مجالات الشعر الوطني، وطرق كل أبوابه وعاش كل أحداث وطنه بقلبه وإحساسه وتابع قضاياه في مراحلها المختلفة، فلم يتخلف عن ركبها، يشدو طرباً في مواضع النصر، ويصب غضبه في لحظات الركود والاستسلام والنفاق السياسي.

قسم الباحث هذه الموضوعات الوطنية إلى عدد من المباحث وهي تحريض الشعب بالثورة على المستعمر ثم بين الباحث موقف الشاعر محمد المهدي المجذوب من الأحزاب وزعماء الأحزاب والمثقفين المنتمين لهذه الأحزاب ، ثم تحسر الشاعر على تفرق كلمة أبناء شعبه ودعاهم للوحده والتماسك، وتناول الباحث كذلك محاولات الشاعر لبث شحنات من الأمل والتفاؤل في نفوس الشعب مذكراً إياهم بمجاهدات جدودهم وكفاحهم من أجل طرد المستعمر. وتطرق الباحث كذلك لبعض الأفكار السياسية التي كان يؤمن بها الشاعر تلك الأفكار التي استقاها من ترحاله في ربوع الوطن ومن ملازمته لبعض

---

[1] منابر – ص 7

زعماء الأحزاب . ثم تناول الشاعر موضوعات وطنية أخرى مثل النيل والشعوبية والواقعية ثم مد طرفه إلى الوطن الكبير (العروبة وأفريقيا).

المبحث الأول

التحريض على الثورة

جعل الباحث الحديث عن التحريض على الثورة في شعر محمد المهدي المجذوب المحور الأول من مباحث دراسة الشعر الوطني ، التزاماً بالترتيب الزمني وأيضاً لكثرة ورود هذا النوع من الشعر عند محمد المهدي المجذوب ، فهو المحور الأكبرالذي كتب فيه محمد المهدي المجذوب لأن هدفه الأساسي كان طرد المستعمر.

كان محمد المهدي المجذوب وطنياً وكانت وطنيته شابة حارة ، وتلفت شاعرنا حوله بعيون واعية فرأى البريطانيين يحتلون بلاده الغالية ويستنزفون خيراتها ويقضون علي أخلاقياتها ومقوماتها الروحية ويفرقون بين مواطنيه حتى تفشت فيهم الحزبية ، فثار على هذا الوضع وصلاهم بنيران شعره الحامية.

محمد المهدي المجذوب يحس بإحساس وطنه ويتفاعل بقضايا شعبه ، وعندما كان الحديث عن طرد المستعمر همساً كان محمد المهدي المجذوب يزأر ويجلجل ويتفاني في كشف عيوب الاستعمار ، ولا يخشي في ذلك لومة لائم. وفي ذلك يقول عن نفسه: (أنا متطرف لا أعرف الوسط قط أحب بعنف وأبغض بعنف) [1].

يقول صالح شعيب صالح[2] : (كره السودانيون الاستعمار ولكن كراهية محمد المهدي المجذوب له كراهية الواعي المثقف القادر على الرؤية الصحيحة أكثر من غيره، لأنه استطاع أن يوظف القصيدة لخدمة قضية وطنه لأجل التحرر والاستقلال وقد عاني في ذلك كثيراً) .

عمل محمد المهدي المجذوب متطوعاً في قوة دفاع السودان ، وانخرط في الجيش ولم يكتف بالتحريض فقط بل شارك فعلياً في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء وأبلى بلاء حسناً يقول في ذلك مصوراً غارة إيطالية على الخرطوم[3].

وأصبحت جندياً فجاءت مغيرة وزامرة صاحت ففر المؤذن

ومن فوق رأسي خوذه مستديرة وكمامة بلعومها ليس يؤمن

---

[1] المجذوب والذكريات، علي أبو سن، ص181.
[2] القضايا الوطنية والاجتماعية في شعر محمد المهدي المجذوب – صالح شعيب صالح – ص 69.
[3] الشرافة والهجرة – ص 18

وأطلق نيراناً تعاوي وترتقي لها شعل في الليل تهذي وترطن

يقول دفع الله حماد حسين متحدثاً عن محمد المهدي المجذوب :(كثيراً من الشعراء يقولون ما لا يفعلون فماذا يضيره أن يقول مثلهم ولكنه لم ينزل إلى ذلك الدرك)[1]. والغريب في الأمر أن كراهية محمد المهدي المجذوب للإنجليز جعلته يواسي هتلر في هزيمته ويدعو على الإنجليز ويتمني هزيمتهم يقول[2] :-

ولا بأس أن تشقي بحرب لعلها تدك بلاد الإنجليز وتدفن

ليسقط (قلي) وليعل في الحرب(هتلر) فقوموا بني السودان وادعوا وامنوا

ويعلن وقوفه مع ألمانيا بقوله [3]:-

أني مع الألمان في حربهم وعطرتني ثائراً منشم

يرى الباحث أن التناقض واضح في موقف محمد المهدي المجذوب من الحرب العالمية الثانية ، فهو مع الإنجليز بسلاحه ومع الألمان بقلبه ، وهذا التناقص يعزوه الباحث لروح الشاعر القلقة ، أو لأنه كان يكره الإنجليز ولكن المصلحة الوطنية كانت معهم وعاطفته القلبية ضدهم نتيجة لمفاسدهم وخداعهم .

نلاحظ أن القسوة التي اتبعها الإنجليز في إخماد ثورة اللواء الأبيض عام 1924م جعلت الشعراء يتحاشون التصريح بتحريض الشعب ضد الإنجليز ، فكانوا يرمزون ويلمحون لأن الاستعمار ضيَّق الخناق على المثقفين وأمعن في تشريدهم وضربهم متخذاً كافة الوسائل في ذلك .

انبرى محمد المهدي المجذوب في شجاعة نادرة ومعه أصدقاؤه الأحرار غير عابئين ببطش الإنجليز ، ولا مهتمين بالوظيفة التي استحقوها بجهدهم وكانت غاية كل إنسان في ذلك الزمان ، بل لم يجعلوها قيداً يقيدهم عن واجبهم المقدس تجاه وطنهم السودان فركلوها في إباء وشمم .

يرى الباحث أن هذه الشجاعة النادرة في مقاومة الاستعمار استمدها الشاعر من منابع عديدة منها: انتمائه إلى قبيلة الجعليين المشهورة بالشجاعة الفائقة ، وإرثه التليد والتأريخ البطولي لجدوده المجاذيب ، وكذلك استمد الشاعر هذه الشجاعة من

---

[1] الخرطوم مجلة ثقافية – دفع الله حماد – سنة 1966م - العدد الثاني – ص 29

[2] الشرافة والهجرة، ص419.

[3] منابر، ص241.

شخصيته المصادمة الصادقة في الجهر بالرأي ، والالتزام الشديد بالمبدأ . ومما يدل على جرأته وشجاعته قوله مخاطباً المستر ويلز[1]:-

يا مستراً لا أبالي ثلج حمرته ولا مواليه طافوا حوله زمرا

كم حذروني فلم أحذر محافظة فما نشأت بشط النيل مؤتجرا

ويزمجر محمد المهدي المجذوب ويحشد كل صنوف اللغة ويتخير منها القوي الجزل الذي يناسب التهديد والوعيد ، فهو مسنود في تهديده هذا بتأريخ عريض من القوة والشجاعة فجده الملك نمر حارق الباشا في شندي يقول[2] :-

حذار فلي غضبة خنجر له قمة الأسد الواثب

حرقنا أخا الترك تدعو إليه نثور مع النمر الغاضب

عندما طرحت الأحزاب مطالب الشعب على المستعمر لأخذها دون إراقة دماء ، بوسائل سلمية ، وبالجلوس حول طاولة المفاوضات سخر محمد المهدي المجذوب منهم ، ورأى أن المطالب لن تتحقق إلا بالقوة ، ويلاحظ الباحث أن الشاعر يئس من الأحزاب ولكنه لم ييأس من بني وطنه ، فيولي وجهه شطر الشعب السوداني البطل ذلك الصانع الحقيقي للبطولات ، لأن محمد المهدي المجذوب يؤمن أنه بتوعية الجماهير يخرج المارد العملاق من قمقمه ، فيطرد الأعداء من دياره ويؤمن أنه بإيقاظ الجماهير تبدأ ثورة التحرير يقول [3] :-

إلى السيف شعب النيل خوضوا بحده صدور المطايا وأحكموا في المصائر

دعوا السلم يذهب مزقة بعد مزقة فما السلم إلا في لهيب المجازر

وفي ثورته على الإنجليز وتحريضه للشعب كان يستمد الروح من معارك الأجداد ، ذلك الرصيد الضخم من البطولة والفداء ، وكان يذكر الإنجليز بما لحق بمن سبقوهم من المذلة والهوان يقول [4]:-

ونحن قتلنا الترك فيها أعزة وطهرها المهدي من وضر الكفر

وشيكان نالت من رماح وضمر وثبن على غردون من شرفة الفجر

---

[1] منابر – ص 135
[2] منابر – ص 152
[3] منابر - ص 189
[4] منابر - ص 39.

كان محمد المهدي المجذوب يعلم أن معركة الاستقلال طويلة الأمد ، باهظة التضحيات ، وكلما فترت عزيمة شعبه أوقد جذوة النضال ، وأكد أنها حرب مفروضة لابد منها ، فالمستعمر لن يغادر إلا بلهيب المدافع فيطالب بالكفاح لانتزاع الاستقلال والحرية ، والحقوق بالفداء ، وبالدم وبالسيف وبالنار وأنه يهيئ النفوس لهذه المرحلة القاسية المريرة ، ويحلم بيوم يقوم فيه الشعب كله عن بكرة أبيه ثائراً لكرامته منتقماً من الغاصبين . يقول في ذلك[1]:-

حرب مقدسة العذاب طويلة أمواجها بصدورنا تتكسر

قمنا إليها مسلمين وما بنا فزع يصون كتابنا ونكبر

ويخاطب الحاكم العام رافضاً الذل والهوان ، وتتجلي شجاعته في أسمي معانيها ، غير مهتم بما تجره له هذه المخاطبة من مشكلات لا حصر لها يقول له [2]:-

فيا حاكم السودان ما الضيم لعنة علينا ولا السودان في النيل نوم

صحا الشعب فتكاً ذا أتي مدمدم وليس له إلا بعينيك مخدم

وذاك لوائي خافق فوق ثاقب مغير يخاف الله لا الترك يسلم

وصدق صديقه محمد المكي إبراهيم حين قال عنه (لم يحاول الاستلقاء علي أريكة مريحة تحت ظلال ، فهو أبداً في سعير الوغى ، فاتحاً عينيه علي العالم بكل ما فيه من الخير والشر والجمال والقبح والعمالقة والأقزام)[3].

ظهرت مفاهيم معينة لطرد الإنجليز مثل النضال والكفاح إلا أن خلفية الشاعر الدينية ، وأسرته العريقة كانت السبب في استخدام الشاعر لمفردة الجهاد بكثرة مثل قوله [4]:-

الآن يا وطني تهب منفضاً بالفكرة عنك سلاسلاً وجمودا

هو الجهاد وليس غير صباحه عيد يعود على البغاة وعيدا

لم يكن محمد المهدي المجذوب وحده من استخدم الجهاد ، بل كان معه شباب آمنوا بربهم ، والتزموا بقضيتهم ، فهذا توفيق صالح جبريل يقول محرضاً قومه[5].

---

[1] الشرافة والهجرة – ص 52

[2] منابر - ص 13

[3] جريدة الصحافة – العدد 5 – شهر أبريل سنه 1969م

[4] منابر – ص 23

[5] أفق وشفق، توفيق صالح جبريل – ص 54

إلى الممات جهاداً في قضيتنا إلى الحياة إلى أن نبلغ الأربا
دم الجهاد طهور راج لو قدح نور الجهود لضاء الأفق والتهبا

ويقول مصطفي عوض الكريم* [1]:-

داعي الجهاد دعا الشباب طويلا يا جارتي لقد اعتزمت رحيلا
لا تجزعي أماً ذهبت فإنني أعقبت من دنيا الخنوع بديلا

عندما كثرت دعاوي التثبيط والخذلان من الجهات التي كانت تخشى بطش المستعمر ، ودمويته وتحذر الشعب من مواجهته وعندما رأى محمد المهدي المجذوب أن دعوتهم بدأت تؤثر في بعض الناس أطلق صرخته مجدداً [2] :-

بني وطني هاكم طريقاً وعزمة فسيروا وخلوا قاعداً يتعذر
هي الحرب لم تضرم لظاها بطلقة وفرقنا في ساحة الحرب قيصر

وكان يؤمن بالثورة ، ويدعو لها ويراها الأمل الوحيد لحياة أفضل خالية من المستعمر ، ويكثر من استخدام لفظة بني وطني قائلاً[3] :-

بني وطني للنار في كل بقعة لسان ودخان في السموات أسود
يصيح بكم ثوروا على كل كافر بدمع الضحايا والدماء معمد

ويفتخر محمد المهدي المجذوب بأنه وهب قضية وطنه السيف ، والقلم وقد وهب الشاعر حياته للثورة واستعمل في ذلك كل أدوات الكفاح يقول[4] :-

فإذا أسيت فتلك غضبة ثائر متحرف لا شاعر متحسر
إن لم أكن فيك المغيرة بسيفه فانا المقاتل بالبيان الأحمر

لم يكن محمد المهدي المجذوب وحيداً في ميدان التحريض على الثورة ومقاومة الإنجليز ، بل التف حوله بعض الشعراء ، مقاومين الاستعمار بسلاح الكلمة وإن اتفقوا على مقاومة الاستعمار ، إلا أنهم اختلفوا في الوسائل المؤدية لهذا الغرض فبعضهم صرح بشجاعة ، والبعض الآخر خاف من سطوة الإنجليز فرمز لاسمه.

---

[1] التجديد في الشعر السودان ، د. سعاد الفاتح البدوي - ط 1 - 1985م – دار جامعة الخرطوم للنشر – ص 35
* مصطفي عوض الكريم ، شاعر وأديب سوداني ولد سنة 1923م بدلقو المحس تخرج في كلية آداب جامعة الخرطوم حصل على الدكتوراة سنة 1959م له مؤلفات في الأدب الأندلسي توفي سنة 1962م .
[2] منابر – ص 123.
[3] نار المجاذيب – ص 115.
[4] منابر - ص 17

ومما يدل على خوف بعض الشعراء من سطوة الإنجليز يقول شاعر رمز لاسمه هكذا م.أ.ع[1]:-

هذا بني وطني أوان جهادكم فإلى الجهاد لرفعة السودان
هيا بني وطني إلى الميدان ولتهتفوا يحيا الشباب الباني
يبنون للوطن الحياة وهكذا تبني الحياة بهمة الشبان

ومن الشعراء الذين استخدموا الرمز والتلميح في نقدهم للإنجليز الشاعر محمد أحمد المحجوب يقول محمد يوسف : (ومحمد أحمد المحجوب كصاحب مذهب سياسي معين ، كان من أكثر الشعراء هجوماً على الإنجليز والاستعمار لكن شعره اتسم بالرمزية في كثير من الأحيان ، فقد كان يحرض الشباب على الثورة ومناهضة الاستعمار[2]) .

وأورد محمد يوسف أبيات في رمزية المحجوب جاء فيها [3]:-

لا تحسب العلياء سهل منالها أو أنها تأتي مع الرغبات
فإذا تكسرت الرحى من شاعر سيعيدها الشعراء مكتملات
فأعد لمتحفك الجميل جماله وأعد بربك صادق العزمات

من الذين صرحوا ببغضهم للمستعمر مثل محمد المهدي المجذوب، الشاعر الدكتور كامل الباقر* فيبدو أنه من جماعة محمد المهدي المجذوب الذين يجهرون بالرأي صراحة يقول(4):-

قومي الكرام وما قومي سوي نخب من أل يعرب أو من آل غسان
خذوا حقوقكم لا تيأسوا أبدا ظلماً بظلم وطغياناً بطغيان
لا تطلبوا العون من ذئب يخادعكم فليس ذئب الفلا عندي بمعوان

أما محمد المكي إبراهيم* فأطلق صرخة مدوية ، وبشر بقرب الاستقلال ووضح للشعب طريق الخلاص يقول[5] :-

---

[1] جريدة النيل 3 / 1 / 1938م
[2] الخرطوم – مجلة ثقافية – مقال بعنوان دور الأدب في معركة الاستقلال – محمد يوسف – السنة الأولى – العدد الرابع – 1 / 1966م – ص 74
[3] المرجع السابق – ص 74
* كامل الباقر تلقى تعليمه بالمعهد العلمي بأمدرمان وحصل على الدكتوراة شارك بشعره في الحركة الوطنية له ديوان شعر يحمل اسمه.
(4) من وحي القلم الفضي، د. كامل الباقر، المكتب المصري للطباعة، الإسكندرية، ص31.
* محمد المكي إبراهيم ، ولد سنة 1939م وتخرج في كلية الحقوق جامعة الخرطوم ، عمل بعدة دول أوربية وأفريقية له عدة دواوين مثل أمتي ومن مؤلفاته الفكر السوداني أصوله وتطوره .
[5] الأعمال الكاملة – محمد المكي إبراهيم - ط 1 2006م - ص 92

أذعها اليوم قافية شرودا وطوفها على الدنيا بريدا
واجمع من طيوف الفجر دينا يزاحم مجدها الباقي خلودا
بني وطني فما أدعو ضنينا إذا حق الفداء ولا قعيدا
وكونوا كالعواصف ثائرات بروقاً خافتات أو رعودا
إذا الحق المضاع أثار يوماً تحدي النار واقتحم الحديدا

أما جعفر حامد البشير فكان مثل محمد المهدي المجذوب في الحدة والجهر بالرأي والجرأة ، ويرى الباحث أن انتماء الشاعرين (جعفر ومحمد المهدي المجذوب) إلى منطقة الجعليين المشهورة بالشجاعة والشهامة ساهمت في تغذية الشاعرين بهذا الشعور يقول جعفر حامد[1] :-

هيا أخي نحو الكفاح الأعظم ولهيبه المتطاول المتضرم
قد طال ليلك واستطال تألمي والحر يأنف يا أخي فتقدم
إن لم نثر أبدا ولم نتألم كيف الخلاص من العدو المجرم
هيا أخي حطم قيودك حطم وانزع بقلبك من نيوب الضيغم

من الشعراء الذين رفعوا شعار الدعوة الصريحة للثورة المسلحة ، والمقاومة الإيجابية ، الشاعر إبراهيم بدري الذي أطلق صيحة التضحية والفداء بعد أن ملَّ الاستعمار فأخذ يستنهض الهمم الوثابة لتثور وتقتلع الاستقلال عنوة من براثن الإنجليز يقول [2]:-

ألا فارس يستفيض حماساً ألا أين منكم رجال المضاء
فجدوا وشدوا وضحوا جميعاً وأدوا فقد آن وقت الأداء
وثوروا ليوثاً وموتوا كراما بذلك ندرك معني الجلاء

[1] حرية وجمال - جعفر حامد – ص 49
[2] دور الشعر في معركة الاستقلال – مصطفي طيب الأسماء – ص 23

المبحث الثاني

مآخذ محمد المهدي المجذوب على الأحزاب والمثقفين

يتناول الباحث في هذا المبحث موقف الشاعر محمد المهدي المجذوب من الأحزاب الوطنية وقادة الفكر والثقافة .

أولاً: مآخذه على الأحزاب :-

يقول الأستاذ بشير محمد سعيد*: متحدثاً عن الأحزاب في هذه الفترة: (وكان عدد الأحزاب السياسية في مستهل عام 1952م أحد عشر حزباً يمكن تصنيفها إلى مجموعتين المجموعة: الأولى مجموعة الجبهة الوطنية التي تنادي بوحدة وادي النيل وكان أكبر أحزابها حزب الأشقاء الذي استطاع فيما بعد أن يستوعب الأحزاب الاتحادية الأخرى ، ويطلق على كيانه الجديد اسم الحزب الاتحادي الديمقراطي وزعيمه إسماعيل الأزهري، وتقف في المجموعة الثانية الاستقلالية وهذه مكونة من ستة أحزاب وكانت تنادي بالاستقلال وزعيم هذه الجبهة حزب الأمة)[1].

ويجب أن نشير إلى أن الأحزاب المقصودة في هذا المبحث هي الأحزاب الطائفية التي سبق ذكرها.

يقول محمد أبو القاسم حاج حمد* مفصلاً الحديث عنها[2]:-

أ- الاتحاديون :-

نشأ هذا الحزب امتداداً سياسياً لمدرسة أبي روف الفكرية ، وهي مدرسة تماثل في حيويتها وروحها النضالية والثقافية جمعية ود مدني الثقافية، ووجد فيهم الختمية في البداية عنصراً صعباً المراس بإصرارهم على الروح العلمانية المرتبطة بالمبادئ المتحررة من علاقات الطائفية والتخلف، ولكن قيادة الختمية كانت ترى في شعاراتهم الاتحادية طريقاً لابد أن ينتهي بهم في أحضانها وقد كان.

---

* بشير محمد سعيد، ولد سنة 1921 في أم درمان تخرج في كلية غردون عمل بالتدريس وأسس صحيفة الأيام وكان رئيس اتحاد الصحفيين العرب وعضو في مجلس جامعة الخرطوم له مؤلفات في تأريخ السودان

[1] إدارة السودان في الحكم الثنائي، الأستاذ بشير محمد سعيد، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى 1988م، ص115.

* محمد أبو القاسم حاج حمد، مفكر سوداني من أصدقاء الثورة الأريترية ، له كتاب السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ، توفي سنة 1997م .

[2] السودان المأزق التأريخي وافاق المستقبل – أ. محمد ابو القاسم حاج حمد – الطبعة الثانية 1992م – دار الجيل للطباعة والنشر – بيروت / لبنان – ص 421

ب – الأشقاء :-

حزب قديم تحول مع أحزاب أخرى إلي الوطني الاتحادي ، ثم بعد الاتفاق الثاني مع الميرغني تحول الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي إلي الحزب الاتحادي الديمقراطي.

لم ينشأ حزب الأشقاء عن مدرسة فكرية بل جاءوا وليداً عن نشاطات فئة معينة داخل مؤتمر الخريجين ، غلب على بعضها صفة القرابة التي تجمع بين شقيق وشقيق ، وتتكون قيادة الأشقاء من الشباب الذين أيدوا فريق الأغلبية في خلافات نادي الخريجين عام 1931 وصمدوا مؤيدين بالقلم واللسان الاتجاه الانفصالي ، وقيام دولة سودانية وتحالفوا مع الختمية ذات النفوذ الشعبي العريض.

ج – حزب الأمة : -

نشأ عام 1945م وكان راعيه هو السيد عبد الرحمن المهدي ونشأ ذراعاً سياسياً لطائفة المهدية ويذكر أنه أنشأه الإنجليز على صورة الموالين لبريطانيا ورجال القبائل وكان شعارهم السودان للسودانيين[1].

يتطرق الباحث في هذه الجزئية للحديث عن مآخذ محمد المهدي المجذوب على الأحزاب الطائفية ، وتوضيح موقفه منها ، مع ذكر الأسباب التي جعلته يتخذ تلك المواقف مستنداً إلي نماذج شعرية مختارة ثم يحلل الباحث هذه النماذج ثم يختم الباحث مآخذ محمد المهدي المجذوب عن كل حزب على حده، ثم يقارن نماذجه بأشعار بعض الشعراء السودانيين.

إن محمد المهدي المجذوب من الشعراء الذين عاشوا دون أن يتأثروا بالولاء والتبعية لأحد ، بالرغم من الظروف السياسية التي دفعت كثيراً من الشعراء إلى التبعية السياسية المطلقة التي تهيئ لهم مواطن المنفعة ، وبعضهم ربطتهم العقائد الطائفية إلى أعمدة السمع والطاعة العمياء . وبالرغم من صلة محمد المهدي المجذوب بزعامة بعض الساسة إلا أنه كان صريحاً في آرائه ، صلباً في عوده ، متمسكاً بالمبدأ لا بالأشخاص ، ولهذا انطلق لسانه غير مقيد بتبعية .

---

[1] السودان المأزق التأريخي وآفاق المستقبل، الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد ص 421.

يرى محمد المهدي المجذوب أن الطائفية الحزبية كانت تهادن الإنجليز ولم تدع إلى الجهاد ، وأنها كانت سبباً للشقاق ، ووسيلة من وسائل اختلاف أبناء الوطن . وعلى الرغم من مآخذ محمد المهدي المجذوب عليها إلا أن بعض قياداتها نالت رضا محمد المهدي المجذوب ومديحه مثل محمود محمد طه مؤسس الحزب الجمهوري لأنه كان يدعو إلى جمهورية خالصة غير مقيدة بتبعية أحد ، كان صعب المراس وشديد المصادمة للإنجليز ، مما صادف هوى عند محمد المهدي المجذوب وهذا يدل على أن خلاف محمد المهدي المجذوب مع الأحزاب الطائفية لم يكن شخصياً بل من أجل الوطن .

يقول محمد المهدي المجذوب معلناً تحرره من التبعية الحزبية لأحد الحزبين الكبيرين (الحزب الاتحادي الديمقراطي وحزب الأمة) يوم الانشقاق في مؤتمر الخريجين[1]:-

ما للمراغنة انطويت مكابراً يوم الخلاف وما أنا أنصاري
أهلي على الحب القديم وليلهم ليلي وشمس نهارهم لنهاري

يقول الأستاذ على أبو سن: (بالرغم من أن محمد المهدي المجذوب كان يشاركني كراهيتي للحكم العسكري والتسلط إلا أنه لم يشاركني حماسي للعمل السياسي الحزبي كان رأيه في الأحزاب سيئا من تجارب سابقة لم أعشها أنا)[2].

يقول المجذوب: (نحن في مسألة الحكم والسياسة بين نارين جهل الطائفية، وعصبة الهاربين من ذكائهم وبين الاثنين تحالف غير مكتوب)[3].

يقول محمد المهدي المجذوب منتقداً زعماء الطائفية[4]:-

زعماؤنا ما الدين يمسخ مؤمنا ويعود زيا للنفاق ومطعما
أرفعتم سفر الولاء لكافر قتل الخليفة واستباح محرماً

وسفر الولاء الذي عناه الشاعر يقصد به الإشارة للوفد الذي ذهب إلى بريطانيا ، وقدَّم فروض الولاء والطاعة للملك جورج ملك بريطانيا تقول الدكتورة ميمونة ميرغني حمزة*:(حرص ونجت باشا الذي أصبح مندوباً سامياً لبلاده في القاهرة أن يضم الوفد

---

(1) نار المجاذيب، ص32.
(2) المجذوب والذكريات، على أبو سن - ص 66
(3) المرجع السابق – ص 167
(4) منابر – ص 37
* د. ميمونة ميرغني حمزة أستاذ مشارك جامعة النيلين قسم التأريخ لها عدد من المؤلفات مثل معالم التأريخ الأوربي

الزعماء الدينيين ، وشيوخ القبائل ، وكان هدفه إقامة دليل على موقف السودان المعارض لأي توجه مع مصر . وكان سفر هذا الوفد خطأ فادح وقع فيه المتعاونون مع حكومة الإنجليز)[1].

يرى الشاعر أن مصيبة الوطن كلها تتلخص في حزب الأمة وحزب الأشقاء الذين لم يجلبا خيراً للسودان، بل يتبادلان في كسب رضا المستعمر الذي أحال أرض السودان الخصبة إلى حرب وفقر وبؤس. يقول[2]:-

إن المصيبة والفجيعة كلها حزبان ما جلبا إليك فتيلا
نشأ على حب العدو ورأيه وتنازعاك متراباً مشلولا
حزبان بل علمان بينهما الردى خمسون قد ملأ الشطوط محولا

ولم يتوقف نقد الشاعر للحزبين الكبيرين حتى بعد الاستقلال يقول في قصيدة بعنوان ختمية وأنصار[3]:-

يصيحون إن الأزهري كقيصر طموح وجاء القوم بابن خليل
شراب ولم نسكر وزدنا إفاقة على ضجر من أمرنا ونحول
إلي الله يشكو الشعب أمسى محيراً فما يهتدي في صلحهم بسبيل

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب في هجومه على الأحزاب وفي نقده لتصرفاتهم كان يستخدم أسلوب السخرية والازدراء عليهم، وكان المال حاضراً في شعر محمد المهدي المجذوب عندما يتعلق الهجاء برؤساء الأحزاب وقيادات الطائفية، وكانت فلسفة محمد المهدي المجذوب في ذكر المال وربطه بقادة الأحزاب أن هؤلاء القادة كانوا إما يحتالون لجمع المال من البسطاء أو يشروهم به يقول صديقه على أبو سن موضحاً جانب السخرية من شخصية محمد المهدي المجذوب تعليقاً على خطاب بعثه إليه: (بالرغم من المآسي فالخطاب يعكس ميل محمد المهدي المجذوب إلى العبث والنكتة يخفف بها جفاف حياته وضيق نفسه)[4].

يقول المجذوب[5]:-

---

[1] تأريخ السودان الحديث – د . ميمونة ميرغني حمزة – الطبعة الأولى 2008م - ص 268
[2] نار المجاذيب – ص 190
[3]- منابر، ص 50
[4] المجذوب والذكريات – ص 169
[5]- منابر ، ص 125

وقصير ملثم دب في اللحية ينسل مبطئاً كالدبيب
كلما قبلوا يديه جلا عينيه يحصي زيارة في الجيوب
خال أكياسه تقتل وترشو فكرة من ضمائر وقلوب

كان محمد المهدي المجذوب يعلل رفض الأحزاب لأنها فاسدة ، ولا تحفظ حق الشعب ، وترهقه بالغلاء الطاحن وضعف الخدمات يقول: (الشعب طيب جداً ولكنه بلا قادة ويسحقه الغلاء الطاحن وفساد الأحزاب)[1].

كان محمد المهدي المجذوب ميالاً للحرية ، نصيراً للديمقراطية ، ومحللاً بصيراً للسياسة في السودان ، وقد تنبأ بسيطرة التيار الإسلامي على مقاليد السلطة في السودان وهو كاره له وكان صادقاً في تحليله وهاهي الأمور تعود أخيراً للإسلاميين لتقديم تجربتهم في الحكم ، وعلى الرغم من الموروث الديني الضخم للشاعر إلا أنه انتخب مرشح الحزب الشيوعي ، وكان تعليله أنه يريد التغيير ، ولأنه قلق من الطائفية يقول لعلي أبي سن: (انتهت الانتخابات ولا أحد يعرف النتيجة والبلد متقدم ، وفي أعماقه ثورة تضطرم . أعطيت صوتي للشيوعيين وأتمنى سقوط الاتحادية. يقولون أن المفتي وأحمد زين العابدين سيسقطان وهذا عظيم، وأصوات الشيوعيين زادت. أنا أريد التغيير الشامل أولاً ثم أنظر إلى القومية العربية بوضوح أشتهي سقوط الأخوان ولكن خطرهم لا يزول فسوف يعودون للأحزاب القديمة كلها باسم الإسلام وسأكون في الجهة الأخرى مع الاشتراكيين)[2].

ثم يواصل محمد المهدي المجذوب في توضيح مآخذه على الطائفية فيقول مصوراً زيارة وفد من الأشقاء لضريح أحد زعماء الأحزاب:[3]:-

زار الوزير الضريح فقلدوه وزورا
إن الضرائح بها تجارة لن تبورا
بها تحل القضايا بها تزاد الأجورا

[1] المجذوب والذكريات علي أبو سن ص 50
[2] المجذوب والذكريات – ص 56
[3] منابر – ص 80

سرعان ما يتحول محمد المهدي المجذوب إلى مارد جبار عندما يتعلق الأمر بخداع الأحزاب للشعب ، ويؤمن دائماً بالمستقبل ويراه قريباً وكانت تعتمل في صدره ثورة عارمة لن تخمد إلا بعد رد الحقوق للشعب يقول في ذلك[1]:-

وفود وأزياء خواء وصحبة بلا ثقة شتي الهوى والمآرب
فيا ليت شعري كيف نرضي وحقنا تخطفه الأحزاب من كل جانب
سندرك حق الشعب ما دام باقياً ولو كان هذا الحق عند الكواكب

سخط محمد المهدي المجذوب على الأحزاب ، لأنها مدعاة للفرقة وتشتت الكلمة ، وكلما كثر عددها ، زاد ضررها وليته عاش إلى الآن ليرى أن عددها بلغ ثمانية وستون حزباً مسجلاً [2].

كان محمد المهدي المجذوب يكشف خداع الأحزاب للشعب ومتاجرتهم بالدين، يقول عن السياسي الكذاب[3] :-

يا سامح الله طربوشا يتيه به يعلو المنابر يلقي خطبه عجبا
الدين عندك خواء تصدقه فاقبض مرتبك المعلوم والكذبا

ويقول عن خداعهم أيضاً:-

خدع الناس كلهم بالشعارات وغطى أطماعه بالبصارة
قام يدعوهم على منبر الجهل يزكي طربوشه للأمارة
وغدا يترك السياسة شبعان وينسى فضلاً عن الشعب جاره

في هذه الأبيات يرى محمد المهدي المجذوب أن وسيلة خداع الشعب كانت الشعارات البراقة حسنة المظهر سيئة المخبر، فكانت هذه الشعارات غطاء لفساد الأحزاب التي تأكل من أموال الشعب باسم الشعب.

يرى محمد المهدي المجذوب أن الأحزاب لا تهتم بالشعب إلا في لحظات مجيء الانتخابات ، وهنا يصور محمد المهدي المجذوب بصدق هذه اللحظات وذلك المشهد، مشهد بعض المواطنيين وهم يستقبلون في فرح زيارة أحد قادة الأحزاب بهدف حشد الناس لحزبه ، والبسطاء يصيحون في غبطة ، وينتظرون مقدمه في شوق في

---

[1] منابر – ص 132
[2] أخبار إليوم – اسم جريدة – تقرير عن عدد الأحزاب 31 مايو 2009م – العدد 5264 – ص 8
[3] منابر – ص 183

هجير الشمس ، وبرد الشتاء وينصتون لما يقول، وعندما يذهب بسيارته تلقي الغبار على وجوههم ، ولم يكسب البسطاء من هذه الزيادة إلا وعداً زائفاً يقول[1] :-

صاحوا يعيش فصحت عاش الظلم في وطني الغبين
يعلو المنابر كل مأفون يقول ولا يـبين
تسري به سيارة غراء واضحة الجبين
تمضي وتلقي بالتراب على وجوه العابرين

بعد أن ذكر الباحث مآخذ محمد المهدي المجذوب على الأحزاب بصفة عامة وموقفه منها يتطرق الباحث في هذه المساحة لموقف محمد المهدي المجذوب من الأحزاب الطائفية بصفة خاصة .

أولاً/ موقفه من حزب الأمة:-

سخط محمد المهدي المجذوب على حزبي الأمة والأحزاب الاتحادية وانتقدهم بقسوة ، ولكنه كان عنيفاً على الأحزاب الاتحادية أكثر من حزب الأمة. فعندما يخاطب حزب الأمة فانه يستخدم عبارات تدل على العتاب واللوم مثل قوله[2]:-

سلام على المهدي في الدهر خالداً وإن بات لم نسمع له بنصير
عتاب إلى الأنصار ما كان سيفه يخضب إلا من دماء كفور
فما بالهم صالوا على كل مؤمن بأوطانه في النائبات صبور

نلاحظ في هذه الأبيات رقة الشاعر ونعومة خطابه للأنصار ، فهو يعاتبهم مسلماً على الإمام المهدي ، ذاكراً جهاده للكفار مستخدماً عبارة (ما بالهم) الدالة على التعريض وهنالك نماذج كثيرة مثل هذه الأبيات لا يسع المقام لذكرها.

يقول صديقه على أبو سن الذي كان نائباً لرئيس الحزب الوطني الاتحادي: (ومحمد المهدي المجذوب ساخط على الأزهري ، متنبئ بسقوطه في الانتخابات ، لأنه استحل العودة إلى أحضان الطائفية ، ورفع راية الإسلام السياسي ، مساهماً في خلق الأزمة الدستورية من أجل الحصول على رئاسة الجمهورية ، ومحمد المهدي المجذوب متعاطف مع الصادق المهدي)[3].

---

[1] الشرافة والهجرة – ص 99
[2] نار المجاذيب – ص 298
[3] المجذوب والذكريات ، على أبو سن - ص 15

يرى الباحث أن تعاطف محمد المهدي المجذوب مع حزب الأمة ورقة نقده لممارستهم السياسة مقارنة بالأحزاب الاتحادية يعود للأسباب الآتية :-

1- انتماء الشاعر محمد المهدي المجذوب لطائفة الأنصار في بداية عهده لأن جدوده المجاذيب بايعوا الإمام المهدي يقول[1] :-

رفعت بيارق المهدي حراً بين أحرار
أذموني على بغض وقالوا أنت أنصاري
نعم إني مع المهدي والثورة في الغار

2- التأريخ البطولي لطائفة الأنصار ذلك التأريخ الذي مجده الشاعر كثيراً، ولم تخلُ قصيدة من ذكر موقعة أو بطل من أبطال الدولة المهدية لأن الإمام المهدي رجل ثائر متحرر فتأثر به محمد المهدي المجذوب .

3- حزب الأمة يدعو لاستقلال السودان، وكان شعاره السودان للسودانيين عكس حزب الأشقاء الذي كان يدعو للاتحاد مع مصر .

هذه الأسباب جعلت الشاعر يقسو على حزب الأشقاء أكثر من حزب الأمة، بل نلاحظ أن الشاعر قد مدح السيد عبد الرحمن المهدي راعي الحزب يقول[(2)]:-

بهرت من جلالك الأضواء وتجلت بحسنك الأناء
أنت سر الإمام شرف السو دان منه الصفات والأسماء
أنت بعث للمكرمات وللدين وفوز نشأتها واجتلاء

يقول محمد مصطفي هدارة عن بدايات محمد المهدي المجذوب الشعرية (والقصيدة الثانية للمجذوب كانت بعنوان رجل التي قالها في العام 1940م، هو يمدح بها شخصاً لم يسمه في الديوان، وإن كان يبدو لي أنه يعني السيد عبد الرحمن المهدي، وهي لا تخلو من إشارات لنواحي سياسية تدل عليه، وأما القصيدة الثالثة فهي في مدح السيد عبد الرحمن المهدي بل يحمل عنوانها اسمه)[(3)].

---

[1]- منابر ، ص 147
[2] نار المجاذيب، ص220.
[3] تيارات الشعر العربي المعاصر – د. مصطفي هدارة – ص 325

ويستنتج الباحث من حديث هدارة أن محمد المهدي المجذوب كان في بداية أمره أنصارياً. ويبدو أن السيد عبد الرحمن المهدي كان يحظى بتقدير واحترام من الشعراء والمثقفين، لذا مدحوه بشعرهم لأنه كان راعياً للاستقلال.

يقول إبراهيم عمر الأمين مخاطباً عبد الرحمن المهدي [1]:-

بلادك أخلصتها الود صافياً وجازتك تقديراً إذ كنت جازيا

وأحللتها بين السماكين منزلاً وأرضيتها كسباً فوليت راضياً

ويقول أحمد محمد صالح للزعيم عبد الرحمن المهدي ومادحاً إياه[2]:-

قل للإمام الذي يمناه من شرف كالليث والغيث في بأس وفي كرم

إن كنت قصرت في سعي لكم زمناً ولم أزر كعبة القصاد من أمم

ما كان ذلك زهداً في وصالكم فأنتم خير من تسعي له قدم

وعندما مات السيد عبد الرحمن تبارى الشعراء في رثائه مثل مصطفي طيب الأسماء* الذي قال[3]:-

مضى حوله الآمال ثكلى حزينة وريع به السودان إذ ضمه القبر

مضى غير مذموم الشمائل والحجي أغر تبكّيه السماحة والبدر

ويقول محمد سعيد العباسي في رثائه مفضلا إياه ومقتنعاً بأنه خير من يقود الأمة[4]:-

لأنه خير من يسمو بأمتكم نحو العلا ويزين التاج واللقب

ثانياً: موقفه من الحزب الاتحادي الديمقراطي وحزب الأشقاء والختمية:-

كان محمد المهدي المجذوب كارهاً ، لهم جريئاً في معارضته لهم ، ونقده لممارساتهم ، وعندما كان يعاتب حزب الأمة بلطف ، أقذع في هجائهم مصوراً قائدهم باللص والصنم[5].

علا صنم بالدين يغوي عبيده يؤدي له أرزاقه كل زائر

---

[1] رجال خالدون، إبراهيم عمر الأمين. ، ص 41

[2] مع الأحرار – أحمد محمد صالح – ص 15

[3] لحن وقلب – مصطفي طيب الأسماء – ص 156

[4] محمد سعيد العباسي – د. أحمد عبد الله – ص 250

[5] منابر، ص69.

يمـد يـد تمـري الأيـادي ونظـرة لـه طمـع يهفـو لمـا فـي الضـمائر
تحجب لا يغشى صلاة ويدعي له الكشف محصناً عالق بالسرائر
أيا صنم الخرطوم إن كنت قادراً كما قيل فابعث بي إلى أم عامر

يصف محمد المهدي المجذوب قادتهم بالأصنام والارتزاق من الرعية الكادحين في أكثر من موضع من شعره يضيق المقام بذكره.

عندما مدح محمود محمد طه عرض بطائفة الختمية والأحزاب الاتحادية بقوله[1]:-

فتىً لم يقل هاتوا زكاة ولم يرد بإسلامه ديناً سوى دين أحمد
يصاول كهان الدياجي بمنطق يدك عليهم كل زور مشيد

يظهر بغض محمد المهدي المجذوب وكرهه أكثر للختمية في رسالة أخرى لصديقه الأثير علي أبي سن: (الختمية لهم دور واحد في تأريخ السودان وهو التخريب وهم لا يخربون إلا أنفسهم)[2].

بلغ حنقه وغضبه على الأحزاب الاتحادية مداه في قوله في حزب الشعب الديمقراطي: (حزب الشعب فاسد وهو لا يستحي وتأريخه كله قائم على الانتهازية والتمويه والمغالطات ورفع الصوت)[3] .

كان محمد المهدي المجذوب من أكثر المعارضين لوحدة السودان مع مصر، وكان مع الداعين إلى استقلال السودان بمعزل عن مصر ومن الأسباب التي جعلت محمد المهدي المجذوب يقسو على الأحزاب الاتحادية شعارها الداعي لوحدة السودان مع مصر يقول في ذلك مستنكراً في قصيدة بعنوان (من هؤلاء)[4] :-

من قبيل دعوا إلى وحدة النيل كأن أصولهم قد نسينا
عبروا فوق أدمع ودماء من بلادي وأسرعوا ناهبينا

ويقول فيهم أنها: (حزب الشعب لا يستطيع عمل شيء راعيه لا يعرف رأيه وهل كان له رأي)[5].

---

[1] منابر – ص 82.
[2] المجذوب والذكريات – ص 11.
[3] المرجع السابق – ص 50.
[4] منابر، ص42.
[5] المجذوب والذكريات، ص182.

مآخذ المثقفين على الأحزاب الطائفيه :-

يعرِّف الأستاذ محمد محمد أحمد كرار الطائفية بأنها: (تحول من طرق صوفية دينية إسلامية ذات اهتمامات تعبيرية إلى طرق سياسية تهتم بالدين وتستغل المريدين للطريقة الصوفية في أمور سياسية واقتصادية واجتماعية)[1] .

عارض معظم المثقفين مخططات الطائفية الحزبية التي تمثلها طائفتا الختمية والأنصار ، وشرع هؤلاء المثقفون في توضيح مخاطر الطائفية على المسرح السياسي في السودان ، وناصبوها العداء ، لأنهم يرونها أكثر خطورة من القبلية لأن الطائفة الواحدة يدين لها بالولاء عدد كبير من القبائل ، لذا فالطائفية أكثر اتساعاً من القبيلة وبالتالي نفوذها أشد قوة وأبلغ أثراً وهي عندهم تعمل على توزيع الرأي العام وتفتيته وتعمل على إقامة الحواجز والعراقيل أمام الحياة الحزبية الصحيحة.

يقول عرفات محمد عبد الله*: (أما هذه الحزبية التي أبرأ منها وأنعى عليها سيطرتها على إفهام الناس حتى لا تدعهم ينصتون إلى شيءٍ يقال إلا لعقلٍ أسبق إلى الاتهام منه إلى الإنصاف والتقدير)[2].

يقول محمد حاج حمد أبو القاسم معللاً رفض المثقفين للأحزاب الطائفية نتيجة تفرقها: (اتضح للمثقفين أنَّ سيطرة الكبار التقليدية قد حرفت المؤتمر عن أهدافه الوطنية التي ولد من أجلها، وأنه أصبح أداة في يد الغير من المتحالفين مع الإدارة البريطانية والآكلين من فتات موائد الزعامات الدينية. وقد راعهم أن يكون مؤتمرهم مجال رضا وحظوة لدى الحاكمين الذين قام المؤتمر من أجل طردهم من البلاد)[3].

ويوضح أحمد خير المحامي الزعيم الذي يجب أن يتبع والآخر الذي يجب محاربته وعدم تبعيته قائلاً: (إنَّ الزعيم الذي ينعقد له اللواء، وتبايعه الأمة هو الذي يتقدم الصفوف، ويسبق بالتضحية من ماله ودمه على أن يسير في الاتجاه الذي تمليه عليه الأكثرية من الجماهير وينبعث مرتضياً لسماء القيادة من وحي الجنود، أما أن يجتمع المثقفون ويحرقوا أنفسهم بحوراً لرجل بينه وبينهم حجاباً من تقاليد بلاط الملوك

---

[1] انتخابات وبرلمانات السودان، الأستاذ محمد محمد أحمد كرار، دار البلد للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة 1998م، ص24..

[2] عرفات محمد عبد الله – مجموعة مقالات – إعداد قاسم محمد نور – مركز الدراسات السودانية – ص 63.

[3] السودان المأزق التأريخي وآفاق المستقبل- محمد أبو القاسم حاج حمد – ص 400.

وبروتوكول الارستقراطية أو كهنوت البابوية في القرون الوسطى، فهذا أمر دونه الاستعمار)[1].

يقول الأستاذ محمد أحمد كرار: (سجل كثير من قادة الحركة الوطنية والباحثون رأيهم في مذكراتهم عن دور الطائفية السلبي في الحياة السياسية على مدار التأريخ، فهاهو خضر حمد* يقول في مذكراته: لا أريد أن أتحدث عن تأريخ الطائفية في هذا البلد ولا آثارها ولكني أتحدث عنها في ما يخص هذه المذكرات وأدون ما شاهدته أو شاركت فيه أو مرَّ علي مروراً، والحقيقة أنَّ المجموعة التي شاركتها كثيراً من الأعمال كانت تؤمن تمام الإيمان أنَّ الطائفية هي ركن الاستعمار وسنده وفي نفس الوقت سلاحه الذي يحارب به في ميادين عديدة)[2].

يقول عبد الماجد أبو حسبو منتقداً ممارسات الأحزاب في السودان: (جميع الأحزاب السياسية لم تنشأ من التضحية، بل نشأت على أنَّ العمل السياسي تجارة، وقد فرضت ظروف الحكم الثنائي على الأحزاب أن تلجأ إلى المساعدة الخارجية وكاذب أي حزب سوداني يقول أنَّه اعتمد في كفاحه على تضحيات أفراده في الداخل)[3].

يقول السيد محمد أحمد المحجوب متحدثاً عن تأثير الطائفية السلبي في السياسة السودانية: (لقد كان التحالف بين المهدي والميرغني أعظم كارثة مني بها تأريخ السياسة في السودان في هذا التحالف سعى عدوان لدودان مدى الحياة بدافع الجشع والتهافت على السلطة والغرور والمصلحة الشخصية إلى السيطرة على الميدان السياسي)[4].

تعتبر الفترة التي شهدت تكوين الأحزاب الطائفية من أخصب الفترات الشعرية التي مرت على البلاد، ذلك لأن آمال الشعب قد تحددت وطاقته قد تحفزت لتطل على حياة جديدة هي الحرية وعندما شعر الشعراء السودانيون بتقارب الأحزاب الطائفية مع

---

[1] كفاح جيل، أحمد خير المحامي- ص 104

* عرفات محمد عبد الله، ولد سنة 1897 تخرج في كلية غردون وإرتبط بجمعية اللواء الأبيض، أسس مجلة الفجر توفي سنة 1936

* خضر حمد،ولد في الأبيض سنة 1910م، تخرج في كلية غردون وعمل بالتدريس، سكرتير الحزب الوطني الاتحادي وممثلهم في مجلس السيادة في الديمقراطية الثانية ووزير الري عام 1956م وعضو البرلمان عن دوائر الخرجين عام 1953م

[2] انتخابات وبرلمانات السودان- محمد أحمد كرار ، ص 24.

[3] جانب من تأريخ الحركة الوطنية – عبد الماجد أبو حسبو – ص 274.

[4] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد المحجوب، ص 178.

* د.عبد الماجد أبو حسبو وزير الأشغال ووزير الثقافة والإعلام في حكومة السيد اسماعيل الأزهري سنة 1967 يشغل الآن رئيس المكتب التنفيذي للحزب التحادي الديمقراطي الموحد برئاسة جلاء اسماعيل الأزهري.

سلطة الاستعمار ضاقوا بها ذرعاً لأنها معوقُ للاستقلال والحرية فبدأت أصواتهم ترتفع وأقلامهم تتحرك واتخذوا المناسبات منابراً للقول والخطابة ووظفوا الأدب في كل المرافق والميادين فاضحين سياسة المستعمر والطائفية على السواء، لم تتل لهم عزيمة ولم تحبط لهم همة والغريب في الأمر اتفاق معظم الشعراء في هذه الفترة في توضيح مآخذهم على الأحزاب الطائفية.

في هذه الجزئية يوضح الباحث موقف الشعراء من الأحزاب الطائفية والأسباب التي دعتهم لمعارضتها مع تحليل النماذج الشعرية التي وقف عليها الباحث. يقول إبراهيم عمر الأمين*[1]:-

أنا لست من عباد شخصٍ واحد ولكن أسوق إلى المجد ثناء
كل الذي يسدي الجميل أبثه مني وفاء صادقاً وولاء

ويسير في هذا الاتجاه محمد سعيد العباسي بقوله[2] :-

إن التحزب سم فاجعلوا ابداً يا قوم منكم لهذا السم ترياقا
ضموا الصفوف وضموا العاملين بها لكي تنيروا لهذا الشعب أفاقا

والمثقفون كلهم لم يكونوا حداة للأحزاب، بل رفضت الأغلبية منهم الانقياد والطاعة العمياء وفضحوا ممارسات الأحزاب الطائفية.

ويقول أحمد محمد صالح[3]*:-

أملٌ يداعب في الجفون يا ليت قومي ما نسوني
قالوا تفرق شملهم ورضوا المقام بأرض هون
عكفوا على أحزابهم واستمرءوا ملْء البطون

ويعلنها الشاعر عبد الله عبد الرحمن صرخةً داوية ملتزماً فيها جانب الشعب رافضاً الأحزاب[4]:-

* إبراهيم عمر الأمين، ولد سنة 1919م ببربر تخرج في قسم الهندسة المدنية كلية غردون ، عمل بمصلحة الأشغال شارك في الاحتفالات الشعرية ، له ديوان شعر رجال خالدون والشعر في قلب المعركة .
[1] رجال خالدون – إبراهيم عمر الأمين – ص 7.
[2] ديوان العباسي – محمد سعيد العباسي – ص 236.
[3] مع الأحرار – أحمد محمد صالح –ص 65.
* أحمد محمد صالح، ولد سنة 1897م وتوفي سنة 1973م تخرج في كلية غردون وعمل بالتدريس له ديوان مع الأحرار .
[4] الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن– ص 34.

اليـــوم لا شـــيعاً ولا أحـــزاب ذهـــب الهـــوى فجمعينـــا أحبـــاب
وبدأ السبيل إلى المعالي واضحاً وتقطـعت بالعابث الأسباب
يا أيها الشـعب الكريم تحية في طيـها للعـاملين ثواب

أما يوسف مصطفي التني فيرى أنَّ الأحزاب أكبر عائق لتقدم البلاد بل يجعلها والاستعمار في مرتبة واحدة من التأثير يقول[1]:-

وطني أصبت بمعشر آواهمو وأظلهم فسعوا ليوم خرابه
لو طهر السودان من دخلائه لتطهر السودان من أوشابه
لهفي على السودان من دخلائه لهفي على السودان من أحزابه

ويوافقه الرأي جعفر حامد البشير الذي يرى أنَّ ضرر الأحزاب أكبر من ضرر الاستعمار، ويحس أنَّ الذي يفعله قادة الأحزاب وزعماء الطوائف أنكى وأفتك بالبلاد من كل ما يدبره الأعداء فيقول في ألم وحسرة[2]:-

وطنـــي لـــئن فتـــك الـــدخيل فمثلـــه وأضـــر منـــه تفاتـــك الأحـــزاب
مـــا ضـــر لـــو كـــان الكـــفاح مبـــرأ مـــن هـــذه الأوضـــار والأوشـــاب

رفض جعفر حامد البشير زعماء الطائفية، لأنَّهم يعملون ضد رغبات الشعب بمسايرتهم للمستعمر وتنفيذ رغباتهم، وعدم مواجهته وإثارة الشغب ضده، ولم يرفض جعفر الزعمـاء المتصـفين بالوطنيـة الـذين يجعلـون مصـلحة شـعبهم هـي العليـا ومصـلحتهم الشخصية هـي الدنيا، الذين يحملون اللواء ويتقدمون الصفوف من أجل الحرية. فكان جعفر حامد البشير يأمل أن تظهر قيادات وطنية تنظم صفوف الشعب الشتيتة، وتوحد جهوده المضللة. فراح جعفر يصور الزعيم المرتقب زعيماً يبدي نفسه للزعامة ولا يتجر بها. زعيماً يتحمل مشاق الجهاد، ولا يرهب صولة الأعداء. زعيماً لم تستعبده شهوات المال لأنَّ له رسالة يعيش بها ولها ويموت من أجلها ألا وهي تحرير أرضه يقول[3]:-

إن الـــزعيم الـــذي بتنـــا نؤملـــه مـــا زال فـــي حقـــب الآبـــاد ينتظـــر
نهفـو إليـه ولكـن أيـن مطلعـه هـل أوشـك اليـوم أن يـروي لـه خبـرُ
فرد من الشعب لم يذهب به ترف كالذاهبـين ولم ينجح به بطرُ

---

[1] الشعر والشعراء في السودان– أ. أحمد سعد – دار المعارف – ص 19.
[2] حرية وجمال (ديوان شعر)– جعفر حامد البشير – ص 4.
[3] المرجع السابق، ص38.

ما طأطأ الرأس يوماَ عند طاغية أو لوثــت كفه الأوراق والبدر

ويوافقه الشاعر عبد الله عبد الرحمن ويرسم صورة زاهية للزعيم المطلوب الذي يلتف حوله الناس[1]:-

فليس الزعيم سوي من غدا لأوطـانه درعها الواقية

وليس النبيل سوى من له يد لجراحــاتها الآسية

وليس الوجيه سوى من غدا يكفكف من دمـعة باكيه

يطلـق إبـراهيم عمـر الأمـين صـرخة داويـة فـي ذم الأحـزاب مسـتخدماً أسـلوب الاحتجـاج والاسـتفهام الإنكـاري متعجبـاً مـن طاعـة الشـعب العميـاء مـن قـادة الأحـزاب يقول[2]:-

فوضـى بأي شريعة مجنـونة حكمـوا علينا نعبد الأحسابا

ما كل من ولدوه يأتي صالحاً بعض الترائب تخذل الأنسابا

بالجهل عاشوا سائدين بأرضنا وتقاسموا خيراتها أسلابا

لسنا القطيع ولم نجد في ديننا أن نعبد الأصنام والأنصابا

وإبراهيم في هذه الأبيات يستنكر التبعية المطلقة لقادة الأحزاب، بل لأبنائهم من بعدهم دون التأكد من تقواهم وصلاحيتهم ووطنيتهم، ويصف قادة الأحزاب بالجهل ونهب خيرات البلاد، ويبدع في البيت الأخير ويرجع للدين الإسلامي الذي كان مصدر طاعة الشـعب للأحـزاب وفيـه نظـام الشـورى الإسـلامية، وجعـل الخلافـة شـورى بـين المسـلمين، ويصف طاعة الشعب للأحزاب والتبعية لهم بعبادة الأصنام عن جهل من قبل الجاهليين.

حملت الطبقة المستنيرة والمثقفة مهمة فضح شعارات الأحزاب الطائفية والدعوة لتركهم، فهذا محمد سعيد العباسي ينعى على قادة الأحزاب الطائفية والشعب على السواء لأنهم يسايرون المستعمر في سياساته ولم يعرفوا سوى قول نعم وينتقد الشعب لأنه منقاد وتابع بغير هدى يقول[3]:-

رمانا الزمان كما تعلمـون في شــر أوضاعه القاسية

---

[1] الفجر الصادق – عبد الله عبد الرحمن – ص 32.

[2] رجال خالدون، إبراهيم عمر الأمين، ص 33

[3] محمد سعيد العباسي – أحمد عبد الله سامي – ص 210.

يـــراح ويغـــدي بنـــا مثلمـــا يســـاق القطيـــع إلـــى الماشـــية
فســـاداتنا قـــد أجـــادوا نـــعم ومـــا أنـــكروا غيـــر لا النافيـــة

يرى الباحث أنَّ شعر محمد المهدي المجذوب في نقد ممارسات الأحزاب قيل في فترتين ، الفترة الأولى: قبل الاستقلال وكان مضمونه الدعوة للوحدة والتماسك بين الأحزاب حتى يتحقق الاستقلال فكان يرى سلاح الوحدة أمضي سلاح لطرد المستعمر، والفترة الثانية بعد الاستقلال وفيها أكثر الشاعر من نقدهم نتيجة يأسه ، وإحباطه من إصلاحهم.

ثانياً: مآخذه على المثقفين :-

المثقفون الذين عناهم الشاعر هم الذين أيدوا الأحزاب لتحقيق مصالحهم الخاصة ، فكانوا لسان قادة الأحزاب ، الساعد الأيمن لهم ، لأنهم كانوا يبشرون بأفكار هؤلاء القادة ، ويشاركونهم الفساد ، طمعاً في أموالهم التي هي أموال الشعب.

ووصفهم الأستاذ أحمد خير المحامي بقوله: (وهؤلاء هم الانتهازيون ، الذين ما يكادون ينضمون إلى معسكر من المعسكرات حتى يتحولوا إلى المعسكر الآخر ، ناسين أو متناسين ما كانوا يسطرونه نثراً أو يرتلونه نظماً ، في مدح المعسكر الأول وتأييده والتأريخ على قصره لم يسجل تأثيراً لبلاطات الزعماء قائماً على مبدأ أو اتجاه سياسي أو اجتماعي ، وإن حاول المؤيدون دائماً إلباسه هذا الثوب بل ترجع التبعية دائماً إلى أسباب شخصية ، ومصالح ذاتية لهؤلاء الأتباع الذين يلتفون حول فرد ويعملون على كسب مرضاته)[1].

يقول علي أبو سن (تظل علاقة المثقفين بالعمل السياسي في السودان موضع تساؤل محير ، فالنموذج الذي تجده في رجل مثل محمد المهدي المجذوب الذي يرفض الانضمام إلى الأحزاب من حيث المبدأ ، وكان حزيناً بصفة خاصة على امتهان الشعر ومنابر الثقافة على أيدي أصحاب مدرسة النفاق السياسي)[2].

طائفة المثقفين لها تأثير في كل العهود حيث كانت الأنظمة السياسية تستعين بهم في جميع مناحي الحياة ، لتستفيد من قبولهم وسط الشعب وآرائهم ، وكانوا قسمين

[1] كفاح جيل، أحمد خير المحامي، ص106.
[2] المجذوب والذكريات – على أبو سن – ص 63

القسم الأول: جريء في طرحه صادق في وطنيته والقسم الثاني : متلون في مبادئه يسعي لمصلحته الخاصة مراهن للقيادة ومجمل لمفاسدها .

ويبدو أن القسم الأول هو الذي عناه على أبو سن بقوله: (وهذه الفئة هي الفئة الوطنية التي تميز بالطموح الوطني نحو التقدم والرفاهية بشعبها ، وتتصف بالاعتزاز الوطني والصداقة والكرامة التي تحمل تطلعات المجتمع وتعبر عن هذه القيم ثقافياً وسياسياً واجتماعياً[1]) .

كان هم المثقفين جمع الهبات والمخصصات المالية التي تمنح لهم نتيجة لترويجهم لهذه الأحزاب ، وغض البصر عن مساوئها ، وتجميل وجهها القبيح، وتجاوزهم عن فسادها هذا الوضع جعل المثقفين وصحفهم هدفاً لسهام محمد المهدي المجذوب لأنها سهلة التناول وسط العامة وتدس السم في الدسم يقول[2]:-

يتبارون ساكرين من الأحقاد حثوا عصيرها يهزرونا
صحف يأكلون منها دم الشعب فقيراً ودمه يشربونا
ذو لسانين لا بدين على المنبر يعلوه مرقباً ومستكينا

ويسخر محمد المهدي المجذوب من تهافت الصحفيين والمثقفين على أبواب الزعماء فيصورهم مثل الشحاذين في خستهم ووضاعتهم وقلة حيلتهم يقول[3] :-

أشاهد أقلاماً على الباب عكفا بها عاهة من خسة وفضول

يتميز محمد المهدي المجذوب في هجائه للمثقفين والشعراء الذين يناصرون قادة الأحزاب بالجرأة ، وبالشجاعة ، واستخدام الألفاظ القوية التي يصرح بها غير هياب يقول [4] في مثقف :-

ماضيك حاضرك الذي لا يحسب وأبوك من هو أنني أتعجب
لم يشهد المأذون ليلة عرسه كالطيبين ولم يدق المحلب
قلماً تخذت فهل يفيدك لم يزل بلماً وعلمك لصك المترقب
العلم ليس وظيفة تحيا بها فرداً وشعبك أمره متشعب

[1] المجذوب والذكريات – على أبو سن - ص 149
[2] منابر – ص 42
[3] منابر – ص 50
[4] الشرافة والهجرة – ص 40

يرى محمد المهدي المجذوب أن الصحافة نار تشعل حرائق الفتنة في القلوب، وتلون الحق ، ومقال واحد في صحيفة ما يدعو للفرقة ينتشر كما تنتشر النار في العشب لكثرة ما يتلقفه الناس يقول[1]:-

ومن الصحائف في القلوب حرائق تعمي النهار فلات حين نهار

وسهرت هل أغني الذين تجمعوا تحت الظلام تجمع الأصفار

وأقلام الصحافة عنده مأجورة تدعو للزعيم لأنها مقيدة بهباته لا تهمها مصلحة الوطن يقول[2]:-

قلم لا يعف كاتبه المأجور يدعو إلى زعيم أجير

إن كتبتم فقد كتبنا ولكن رأينا دمانا في السطور

إذا تمعنا هجوم محمد المهدي المجذوب على شرائح المثقفين نراه شديد الكيل لشريحة الصحفيين ، ويعلل الباحث لمساحة الانتشار التي يجدها الصحفيون مقارنة بشرائح المثقفين الأخرى ، ولأنهم كانوا يؤججون الصراع ، ويقتاتون من الخلاف وشبههم محمد المهدي المجذوب بالكلاب التي أصابها الجرب فتجمعت تعوي في العراء . يقول[3]:-

أما تري صحفاً خرقاء ما عرفت رعي الحقوق ولم يصفح لها أرب

على السبيل تراها وهي قانصة نار الخصام فمن أقلامها الحطب

أصابها جرب تعوي أظافره وتنهش الحر لم يعلق به جرب

رأي محمد المهدي المجذوب في بعض المثقفين بطانة سوء يخشون على وظائفهم وأنفسهم من التشريد ، ويتعجب لذلك ، ويراهم أشد خطراً من الإنجليز الذين ذهبوا وخلفوهم وراءهم يقول[4] :-

أيجلو الإنجليز وليس يجلو كبار من صنائعهم صغار

تأمر من خلائقهم خسيس تؤامره الدسائس والوجار

يغار على وظيفته فيبكي وليس على حليلته يغار

---

[1] نار المجاذيب – ص 31.
[2] منابر، ص31.
[3] نار المجاذيب – ص 194
[4] منابر – ص 186

كثير من الشعراء السودانيين آلمهم تخاذل بعض إخوانهم المثقفين الذين انحرفوا بالقضية الكبرى ، وهي تحريض الجماهير ضد الاستعمار وتوعيتهم بعد الاستقلال وتقديم النصح لقادة الأحزاب لا مسايرتهم في كل أمر فهذا حسين منصور يثور علي الأحزاب والصحفيين[1].

فما المجد أحزاب وهذر صحافة بل المجد أن ترقي الجماجم ثائرا
وما المجد إلا أن تثور حمية لنرفع رأساً طؤطئت ونواظرا
فثوروا علي أوضاع جيل مضلل تتابع في أوهامه وتقاطرا

يرجو الشاعر عبد الله عبد الرحمن من المثقفين أن يكونوا درعاً للوطن من الشتات ولا يتفرقوا فتنصب هذه الفرقة علي الشعب[2].

شباب الجيل في غده المرجى وإخواني المثقفة الصعادا
مضي عام وهذا العام يمضي ولم نأخذ لقابله عتادا
وقد شهدت منابركم بأني نذيركم أهاب بكم ونادى

ويرفض الشاعر عبد الله عبد الرحمن خمول المثقفين وخوفهم من السلطة الحاكمة ودعاهم لترك الحذر والخوف[(3)] :-

دعوا الخمول وهبوا من مراقدكم ليس النجاح لمن لا يألف السهر
مضي الزمان يخاف الناطقون به من الحكومة بأساً يرتمي الشررا

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب كتب شعر هذا المحور قبل وبعد الاستقلال ، ولكن أكثره قيل بعد الاستقلال ، لتنامي هذه الطائفة التي وجدت مرتعاً خصباً في فترة الاستقلال ، لوجود الحكومات الوطنية مدنية كانت أم عسكرية ، فمكنت لهذه الطائفة لكي تستفيد منها في تثبيت أركان حكمها .

[1] دور الشعر في معركة النضال الوطني، مصطفي طيب الأسماء، الخرطوم، ص24.
[2] الفجر الصادق ، عبد الله عبد الرحمن – ص 15.
[3] المرجع السابق، ص37.

المبحث الثالث

حسرة الشاعر وحزنه على تفرق قومه ودعوته للوحدة

قرأ محمد المهدي المجذوب الأحداث والتأريخ جيداً وكان يرى أن وسائل محاربة الاستعمار متعددة ، فوظف كل ما يملك من خيال وإبداع لنصرة قضية شعبه ، وكان يؤمن بمصادمة الاستعمار ، ومقارعته وكان ظنه في المستقبل كبيراً ، فهو يعلم أن الاستعمار مهما طال ليله ، فسينقشع ظلامه ، ويضيئ نور الحرية ، وكان يخشا تفرق قومه واختلاف كلمتهم فهذا عنده أشد إيلاماً من الاستعمار.

عندما حصل الخلاف الشهير في مؤتمر الخريجين ، وحدث الانشقاق وتكوين الأحزاب ، أيقن محمد المهدي المجذوب أن الوطن في محنة حقيقية ، فجعل توحد أبناء الوطن هدفه الأكبر ، واجتمع حوله جماعة من المثقفين حذو حذوه وجعلوا من فكرهم وشعرهم قرباناً لوحدة الأمة ونبذاً للتمزق والاختلاف .

يرى محمد المهدي المجذوب أن المستعمر بذر بذور الفتنة بين أبناء الوطن، ليمكن نفسه في السودان ، وينعم بخيرات البلاد , يقول الأستاذ حسن نجيله*:(عمل الإنجليز للتفرقة بين أبناء الوطن ففرقوا بين المتعلمين وإخوانهم زعماء العشائر، وعادوا فأشاعوا الحسد ، والتفرقة ، وسوء الظن بين الخريجين أنفسهم يقربون هذا ويبعدون ذاك ، ويخلقون هالة من الشكوك حول النابغين ، وذوي الرأي السديد فكان من العسير أن يلتئم جمعهم لعمل جماعي موحد[1]) .

أطلق محمد المهدي المجذوب دعوة التسامح والاتحاد قبل الاستقلال وبعده لإيمانه العظيم أن السودان لن يتقدم إلا باتفاق بنيه يقول[2] :-

فتعايشوا متعاونين ولا أري أبقي من المتعاونين بناء

والأرض يعمرها التسامح لا الهوى يعطي لغير العاملين جزاء

ويحذرهم من عاقبة تفرقهم ويدلل لهم أن الإسلام يمنع الفرقة ويدعوه للوحدة وأن الله لن يرحمهم إذا تقاتلوا وتفرقوا يقول [3]:-

---

* حسن نجيلة ولد سنة 1918م ، من أوائل المعلمين السودانيين ، عمل بالصحافة السودانية وأصدر مجلة القلم، له عدد من المؤلفات مثل ذكرياتي في البادية تتميز كتاباته برقة الأسلوب وعذوبة الكلمة ، مات سنة 1984م

[1] ملامح من المجتمع السوداني – حسن نجيله – ص 295

[2] نار المجاذيب– ص 44

[3] منابر – ص 75.

بني وطني لن يرحم الله أمة إذا نسخت تكاليفها بالمعاذر
مفرقة الأهواء والدين رخصة لكل أثيم يصنع الدين تاجر

تبدو الصورة مؤلمة للشاعر عندما يقسم السودان نتيجة للفرقة والشتات، ويستخدم تعابير من البيئة السودانية ، ليستثير عطف أبناء الوطن ليعودوا إلى رشدهم ويتركوا البغضاء يقول[1] :-

وطني قسموك في زحمة السوق سليخاً معلقا في الجزارة

كان محمد المهدي المجذوب يؤمن إيماناً لا يخالجه الشك أن كل مساوئ السودان ومشاكله ترجع للأحزاب ، فحملّها مسؤولية ما حل بالوطن من انقسام فيقول مصوراً تفرق الأحزاب وعدم تواضعها حول منهج واحد يقي السودان شر الانقسام والتردي ، ويحمل المسؤولية لحزبي الأمة والاتحادي الديمقراطي تحديداً بقوله[2] :-

لواءان هذا أخضر غير مثمر وذلك أحوي من دم الشعب فاطر
وفيم التلاحي كل وفد برأيه وحزب له الحكم الثنائي ناصر
سخرت من الوفدين وفد بلندن وآخر في حان الخليلي ساهر
مذاهب شتي كل حزب تقيه وكل زعيم عن هدي الشعب حائر
أبوا وحدة السودان كل بفرقة ليصرف عن أرزاقه ما يحاذر

يتحسر الشاعر في هذه الأبيات من صنيع حزبي الأمة والوطني الاتحادي ، لأنهما السبب في اختلاف كلمة أهل السودان ، وذكر هذا الخلاف محمد عمر بشير بقوله[3]:(وعلى هذا انقسم السودانيون إلى معسكرين أحدهما أيد الحكم البريطاني في السودان لكي يعيد للسودان الاستقلال وثانيهما وقف مع مصر للحصول على الاستقلال) .

يقول مصطفي طيب الأسماء:(وقد صار النداء للوحدة دأب الشعراء في كل مناسبة تتاح للقول في المواسم والأعياد ، أو في المهرجانات وغيرها ، وحين اشتد الصراع قبل الاستقلال كان نداء الأدب دائماً مع الوحدة والتضامن الوطني والبناء حتى تم الاتفاق الذي أسفر عن الاستقلال)[4] .

---

[1] منابر – ص 183
[2] منابر – ص 94
[3] تأريخ الحركة الوطنية في السودان، د. محمد عمر بشير، ص137.
[4] دور الأدب في معركة الاستقلال، مصطفي طيب الأسماء، ص33.

عندما يريد محمد المهدي المجذوب أن يوجه نداء لأبناء الوطن فإنه يستخدم صوراً مؤثرة في النفس مثل عبارة ((بني وطني)) ليستميل القلوب إليه ، وليدلل على أنه واحد منهم ، ويرى الباحث أن كثرة استخدام الشاعر لعبارة بني وطني يعود لهذا الأمر ، يقول[1]:-

بني وطني عودوا جميعاً أحبة إلى الوطن المأنوس في قلب شاعر
تجردت إلا من هواكم وهذه صحيفة نفسي أفصحت عن خواطري

حين يصور محمد المهدي المجذوب ضعف البلاد يأخذ من تجربته مع الطبيعة صوراً توضح حالة البلاد ، ليتأثر أبناء السودان فهذا المستعمر ينزل على السودان كالصقور المخضبة بالدماء . ويصور حالة البلاد وما وصلت إليه من شتات وفرقة يقول[2]:-

شعب ممزقة النادي بساحته مطامع القهر لا الأفكار تنتصر
هم الصقور على السودان واقعة حمر المخالب فوق الصيد تشتجر

يقول الشاعر جعفر حامد بشير مصوراً اختلاف أبناء الأمة في ذلك الوقت وعدم اتفاقهم حتى في الطريقة المثلي لطرد الإنجليز[3] :-

يا ويح قومي إلام الخلف يدفعهم نحو الحتوف وما يدرون ما صنعا
حتام يا قوم حتى في تخلصنا من ربقة الذل يغدو رأينا شيعا

ويقول جعفر حامد متحسراً على حالة قومه ، واختلاف نظرتهم ، حول المستعمر ففي الوقت الذي يصل فيه الثوار الليل بالنهار لتحقيق الاستقلال ، كان بعض السودانيين يودون بقاء المستعمر[4] :-

والقوم مازال فينا من يهيم بهم شر الهيام على جهر وفي شغف

يرى الباحث أن الذين يودون بقاء المستعمر هم أخطر على القضية من المستعمر نفسه ، لأنهم يكشفون طريق الثوار للمستعمر لينقض عليهم .

أورد الباحث نماذج شعرية كثيرة للشاعر جعفر حامد البشير في هذا المحور مقارنة بنماذج الشعراء الآخرين للأسباب الآتية :-

---

[1] منابر، ص169.
[2] منابر – ص 115
[3] حرية وجمال – جعفر حامد – ص 21
[4] المرجع السابق – ص 27

1- تشابه نفسية جعفر حامد مع محمد المهدي المجذوب في بغضهما للاستعمار الإنجليزي.

2- تشابه الروح الثورية لجعفر حامد مع محمد المهدي المجذوب ويردها الباحث المنطقة الواحدة التي ينتمي إليها الشاعران .

يحذر محمد سعيد العباسي من الفتنة والمشاءين بها ويصورهم بغراب الشؤم فنراه يقول [1]:-

فحاذر كل مشاء بتفرقة يمشي ويصبح كالغربان نعاقا

ومارقا شقيت هذه البلاد به أخافه أن يعيد الناس هراقا

أما توفيق صالح جبريل فكان يذكر أبناء الوطن بأيام الاتحاد وكيف هزمت المستعمر وأفقدته صوابه [2] :-

أتذكر يوم كنا باتحاد نهز القرم نفقده صوابا

عندما اشتد الخلاف بين الأحزاب بعد الاستقلال سنة 1957م استنكر الشاعر مصطفي طيب الأسماء هذا الأمر بقوله[3]:-

ما لهذا الخلاف يذكو أواره ولهذا الشقاق تزداد ناره

ولهذا الجفا بين الخبايا والفؤاد الوفي يبدو شناره

كل حزب تموج فيه الأماني حائرات لكل حزب شعاره

ويشاركه التساؤل الذي يفيد الحسرة والحزن الشاعر عبد الله عبد الرحمن بقوله[4]:-

وسؤالي وما سؤالي فضولاً لي حق السؤال عن أخواني

فيم هذا الخلاف يا قوم هلا وعظتكم تقلبات الزمان

ويجهر حسيب* على حسيب بالوحدة ، ويرى أنها أساس التقدم والوسيلة المثلي لأخذ الحقوق من المستعمر ، فالإنجليز يخشون اتحاد كلمة أهل السودان ، لذا يسعون لبذر بذور الفتنة بينهم ، ليتأخر الاستقلال ، ولينعموا بخيرات البلاد ، ويستنكر الشاعر

---

[1] ديوان العباسي – ص 236

[2] أفق وشفق - توفيق صالح جبريل ، ص 45

[3] لحن وقلب، مصطفي طيب الأسماء، ص38.

[4] الفجر الصادق، عبد الله عبد الرحمن، ص46.

* حسيب علي حسيب ولد ببربر سنة 1898م تخرج في قسم القضاء الشرعي يغلب علي شعره الطابع السياسي الصريح

على بني قومه هذا الاختلاف ويسأل مستنكراً ما الهدف الذي نرجوه والغاية التي نسعى لتحقيقها باختلافنا هذا يقول [1]:-

مهلاً بني وطني لأية غاية نسعى وأي حقيقة نتعامى
ماذا يقال وما يراد وما الذي ترجو بلاد أصبحت أقساما
تالله ما نال الحقوق مقسما شعب وإن ملأ الندي كلاما

وهنالك شاعر آخر وهو صالح بيلو ، آلمه ما يراه من الفرقة والشتات، فأصبح مهموماً ، ولم يجد من ينزع الهم من فؤاده ، ويرى الأحزاب يتزايد عددها نتيجة الانقسام والشقاق فمن يكون حزباً يسعي لتدمير الحزب الآخر ، ليقيم أركان حزبه على أنقاضه ويرى الشاعر أن هذا الأمر يعود لابتعاد الناس عن الدين الإسلامي يقول[2]:-

أمسى فؤادي في هم يعانيه يدعو وما أحد في الكون يلغيه
في كل يوم أري حزباً يقوم على حزب يسعي بحد السيف يرديه
ساد الخصام بني السودان أجمعهم حتى غدا ذا لذا في النار يرميه
إنا أحق بهذا الدين رابطة تعطي المودة والإحسان تسديه
فلو تتبع ما في القطر دينهم ما خار بنيانهم واندك عاليه
لو وحد القول ساد الناس كلهم يسعي له المجد والعلياء يأتيه

يستحث الشاعر إبراهيم بدري قومه ويبعث هممهم ويذكرهم بما يجب أن يكونوا عليه[3]:-

أقيموا أفيقوا وحسبي النداء عدمت فتى لا يلبي النداء
وكونوا أساةً لمرضي بلادي أضر بهم فقد هذا الدواء
فمنهم يتيم ومنهم عديم ومنهم عراةً ثووا في العراء

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب كتب شعر هذا المحور في فترتين: الأولى قبل الاستقلال ، والثانية بعد الاستقلال ، ولكن أكثره قيل بعد فترة الاستقلال لظهور المطامع الحزبية واختلاف وجهات النظر ففي فترة قبل الاستقلال كان هنالك اتفاق عام على طرد المستعمر ولكن الاختلاف في كيفية هذا الطرد أما بعد الاستقلال

[1] النيل – صحيفة 1938/3/9م
[2] النيل – صحيفة 1942م
[3] دور الأدب في النضال الوطني، ص27.

فكـان الاخـتلاف فـي الأهـداف العامـة للأحـزاب وكيفيـة ممارسـة الحكـم الـديمقراطي والاسـتقطاب الحزبـي الـذي فـرق حتـى بـين أبنـاء البيـت الواحـد وهـدف محمـد المهـدي المجذوب من هذا الشعر الدعوة للوحدة والتكاتف لمواجهة المستعمر .

المبحث الرابع

استلهام الماضي العريق لكفاح قومه

التأريخ السوداني مليء بشخصيات عظيمة سجلت اسمها بمداد من نور في صحيفة أحداثه وقدمت نفسها قرباناً للوطن المجيد فداءً له وتضحية لإعلاء شأنه ، تحملت المسئولية وتشبعت بالروح الوطنية وقدحت على زناد البطولة والفداء وكان ثمرة جهادهم هذا الاستقلال الذي ننعم به الآن ولولاهم لكنا نرزح تحت وطأة الذل والهوان.

موقع السودان المهم بين دول العالم جعله عرضة لكل طامع ، وفي كل عهد منذ عهوده الزاهرة كان هنالك معتد شرير وبطل صادق أمين ، منذ عهد دولة سنار التي ابتليت بالعهد التركي المصري ، وهنا تجلت بطولات الشعب السوداني رافضين كل أشكال التسلط، حتى قيض الله لهذه الأمة الإمام محمد أحمد المهدي ، فأعاد استقلال السودان ببطولات حيرت الأفكار ، وانتصارات باهرة أعادت عهود الإسلام الأولى . وعندما شارفت المهدية عن نهايتها ابتليت باستعمار حديث أشد فتكاً وقوة من الأتراك .

تجلى الجهاد في عهد المهدية في أبهى صورة ووقف التأريخ مشدوهاً من جسارة الأنصار وحبهم للدين والوطن ، لأنهم واجهوا أحدث ما أنتجته البشرية في ذلك الوقت من سلاح فاستشهدوا زرافات وأحدانا ، وأوفوا بعهدهم ، ولم يسلموا الأرض حتى سقطت آخر قطرة من دمائهم الذكية .

كان الشعر السوداني وفياً للأبطال ، موثقاً لكل زفرة من زفراتهم ، وخلجة من خلجاتهم على امتداد عصوره وحقبه ابتداء من الفونج وحتى عصرنا هذا متحدثاً عن مواقفهم ومعاركهم ، وكثيراً ما ظهرت أسماء مناطق مثل كرري وشيكان وتوشكي والمتمة وشندي وغيرها من المدن .

يقول عبده بدوي متحدثاً عن الشعراء الذين وثقوا البطولات السودانية عبر الأزمان : (وقد تعرضوا لوقائع المهدية ورجالها ولحركة اللواء الأبيض محاولين صب شحنات جديدة في نفوس الشعب)[1] .

[1] الأدب الحديث في السودان، د. عبده بدوي، ص 562

وثق شاعرنا محمد المهدي المجذوب للأبطال في كل الحقب ، ولكنه عشق المهدية بوجه خاص ، وأقبل على تأريخها وأخبارها ، وحزن لسقوطها وفرح لانتصاراتها ، يقول د. عبده بدوي : (كان محمد المهدي المجذوب يقبل على رسائل المهدية ومنشوراتها وأخبارها وينفعل بها ومن خلال إحساسه العميق ببلاده وتأريخها تدفق شعره بحاضر السودان وماضيه[1]) .

يذكر عبده بدوي اهتمام محمد المهدي المجذوب بالثورة المهدية وقائدها ، وخلع عليه هالات التقديس وكيف أنه استطاع بالسيف فقط أن يهزم الأتراك المزودين بالأسلحة النارية يقول[(2)] :-

لقد عاد مهدينا المنتظر يسل على الترك سيف العشر
تحدث عنه الجماد الخلي وطن اسمه في حفيف الشجر

يقول صالح شعيب صالح متحدثاً عن اهتمام محمد المهدي المجذوب بتأريخ قومه والتوثيق له : (هكذا نرى أن وطنية محمد المهدي المجذوب على ما فيها من وفير اللهفة والتمزق ، يتميز عن رصفائه من الشعراء بإسنادها إلى تأريخ من الأمجاد والوقائع التي ظل يتصف بها ، ويستنهض بذكراها همة الشعب ، خاصة أمجاد المهدية التي بكى عليها الشاعر وبفضله أصبحت المهدية مفخرة جميع السودانيين ، وصار المهدي مقبولاً كأب مؤسس للوطن)[3].

وجد محمد المهدي المجذوب هذه البيئة البطولية ، وهو الشاعر الوطني الذي بز أقرانه بصدق توجهه نحو الوطن ، وكثرة إنتاجه للشعر الوطني ، ويرى الباحث أن التأريخ البطولي السوداني والمعارك المشهورة في السودان ، من أهم مصادر الشعر الوطني عند محمد المهدي المجذوب .

كانت كرري مفردة لا تغيب من شعره ، وبقدر ما كانت انتكاسة إلا أن الشاعر استفاد منها في تنبيه أهل السودان على تراثهم التليد ، الذي لم يقبل استكانة المستعمر وجعل منها مطرقة يطرق بها على ذاكرة الوطن .

---

[1] الأدب الحديث في السودان ص 67.
[(2)] نار المجاذيب ص 228
[3] القضايا الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب ص 86

يقول محمد المهدي المجذوب عن معركة كرري: (حسب الإنجليز أنهم لم يتركوا للسودان مستقبلاً بعد كرري الماحقة، ولكن المنابر التي نحتتها الخلاوي من جيل الهزيمة قامت تحمل رؤاها وتتجاوز بها الوجود الأجنبي المحتل إلى تراثها العريق وتعود به متدفقاً في الحاضر وكان استحضار هذا التراث عملاً بطولياً يقارع الاحتلال)[1].

كرري تلك المعركة التي حيرت الأعداء قبل الأصدقاء وشهدوا بها من ذاقوا أوارها وكانوا صادقين مع أنفسهم وفي لحظات صدقهم هذا كتب ولستون تشرشل الذي حضر المعركة يصف بسالة الأنصار : (يا لجلال الرجولة الصامدة كانوا أشجع رجال مشوا على ظهر الأرض لم يهزموا لكن حصدتهم آلة الحرب[2]) .

يقول القدال موثقاً معركة كرري : (زحف كتشنر بجيشه بالأرجل والجمال والخيول وعسكر بين جبل كرري وجبل سرغام وأقام زريبة نصف دائرية على الضفة الغربية من النيل ومعه المدافع التي يكمن فيها مفاتيح المعركة وفي صبيحة الثاني من سبتمبر 1898م بدأت المعركة بهجوم قادة الأنصار بهدف فتح ثغرة في الزريبة لكن آلة الحرب حصدتهم حصدا[3]) .

هذه هي المعركة التي جعلها محمد المهدي المجذوب مفتاحاً لشعره الوطني وذكر محمد المهدي المجذوب جبل سرغام الذي ورد في حديث القدال قائلاً [4]:-

فيك ياسرغام سر حير الشم الجبالا

تلك ياسرغام حرب آه لو كانت سجالا

كان محمد المهدي المجذوب ملماً بالتأريخ السوداني ، عارفاً به مما ساعده في النبوغ في مجال الشعر التأريخي الذي يوثق لأحداث الأمة وقليل من الناس يعرف سرغام .

وفي هذين البيتين السابقين تحسر محمد المهدي المجذوب على معركة كرري لأنها كانت بداية النهاية للدولة المهدية والتي لم تقم لها قائمة بعد كرري .

يقول محمد المهدي المجذوب عن كرري: (حسب الإنجليز أنهم لم يتركوا للسودان مستقبلاً بعد كرري الماحقة ، ولكن المنابر التي نحتتها الخلاوي من جيل

[1] منابر، ص7.
[2] تأريخ السودان الحديث – محمد سعيد القدال – ص 317
[3] المرجع السابق – ص 338
[4] الشرافة والهجرة – ص 37

الهزيمة قامت تحمل رؤاها وتتجاوز بها الوجود الأجنبي المحتل إلى تراثها العريق وتعود به متدفقاً في الحاضر ، وكان استحضار هذا التراث عملاً بطولياً يقارع الاحتلال)[1] .

يرى الباحث أن كرري تظل القاسم المشترك الأعظم في موضوعات الشعر الوطني للمجذوب ، تبرز أحيانا بصورة مباشرة ، وتظهر أحيانا بصورة غير مباشرة ولكنها تبقي شاهداً على عبقرية المجذوب.

لم يندمل جرح كرري ، وما زال الشاعر يبكيها ، ويرى أنه مهما بكاها فلن يشف غليله ولم يرو جرحه ، لأنها أعقبت ليلاً أسوداً من الاستعمار ، مازال ماثلاً أمامه، فكانت المعركة الرئيسية التي حطمت دولة المهدية ، وجعلت الشعب قابعاً في الذل والهوان يقول[2] :-

كرري لو بكت عيوني بالنيلين لم ترو غلــة والتياح
حل من بعدك الهوان وساغ المرُّ واسترفد السمـوم الأقاحي
كرري لم بقيت بـعدك في السودان في الذل عجمه والفصاح

رغم المأساة التي حلت بالسودان بعد معركة كرري ، إلا أن محمد المهدي المجذوب يراها ثورة عارمة ، وقفت ضد المستعمر فيستلهم منها الذكري ، لأنها وقود ثورة قادمة تقتلع المستعمر يقول[3] :-

بالسفح من كرري بقية ثورة حلمت بسيف كريهة مدرار
جبل بـه أثر الدماء كأنه عطر بذابل أغصن وثمار

صوَّر محمد المهدي المجذوب بسالة الأنصار في كرري كثيراً في شعره، فعندما يتحدث عن مكافحة الجراد الذي حل عام 1945م نراه يشبه ذلك بحصد الأنصار بالأسلحة الفتاكة في كرري فيقول[4] :-

يتدفق المكسيم في كرري يعب من الدماء
القوم أخوان البنات مصرعين على الفراء

يؤكد محمد المهدي المجذوب في إصرار أن كرري باقية في ضمير الأمة، تسقي بذرة الجهاد ، والكفاح مثلما يسقي النيل الزرع على مر العصور يقول[1]:-

---

[1]- مقدمة ديوان منابر ص4
[2] نار المجاذيب – ص 26
[3] منابر – ص 31
[4] منابر – ص 231

كرري ما انقضت ولا انحسر النيل يسقي ثمره السرمدي

ويقول أيضاً[2]:-

كرري لهيبك في ضلوعي موقدُ نشرت منه لواءك الصنديدا

نشر الجدود على المحار صوافناَ ضربوا المدافع بالصوارم صيدا

وكان يذكر كرري في أحايين كثيرة، مع حوادث التأريخ الأخرى[3]:-

هكس تهافت في حبائل مكره وتلاه كتشنر الكفور الأعور

نسر تطلع للفضاء ودونه كرري تسيل بها الحتوف وتذخر

ومن المعارك التي ذكرها الشاعر بكثرة معركة شيكان التي شهدت انتصار الأنصار فكان يفتخر بها ويذكر الإنجليز بمصير غردون[4] .

وشيكان فيها النصر مازال صارماً بعيد ليسمعها حديث الجماجم

ويقول [5] :-

ونحن قتلنا الترك فيها أعزة وطهرها المهدي من وضر الكفر

وشيكان سالت من رماح وضمر وثبن على غردون من شرفة الفجر

وعندما أدلهم ليل الاستعمار ، وطال مكوثه ودب اليأس في نفس الشاعر ، أصبح يناجي تلك الأيام الخوالي التي نضرت تأريخ السودان ، وسطرت بأحرف من نور معاني البطولة والفداء ، واستفاد الشاعر من علوم البلاغة مستخدماً الاستفهام الدال على التحسر والتكرار الذي يدل على التحسر أيضاً يقول[6]:-

أين شيكان والفوارس والنا ر وأين الخيول والخيلاء

أين أيامنا الكرام وماضـ نا وأسيافنا وأين المضاء

والنجومي والخيول وحمدان وعثمان جنده الأتقياء

---

[1] الشرافة – 27

[2] منابر، ص24.

[3] نار المجاذيب، 145.

[4] منابر – ص 189

[5] منابر – ص 38

[6] نار المجاذيب، ص220.

يقول عبده بدوي متحدثاً عن شيكان : (ومن الوقائع المشهورة في تأريخ السودان ونضاله في وجه المستعمر في كل ألوانه واقعة شيكان وهي من أشهر وقائع الثورة المهدية حيث انتصر المهدي على هكس قائد الحملة) [1] .

يقول الدكتور صلاح محي الدين*: (فكان يوم شيكان يوماً باسلاً طويلاً ، صنع بالبذل والفداء ، ليستوي على مدار الزمن ، منارة تشع بالعزة تشحذ هممنا جيلاً بعد جيل، تعلمنا أن النصر دائماً يمكن أن يتحقق حتى دون تفوق في السلاح إذا اتحدت الصفوف وسمت الأنفس)[2].

يرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب أكثر من ذكر موقعتي كرري وشيكان للأسباب الآتية :-

1- لأن معركة شيكان معركة كبيرة من معارك الأمام المهدي فالأعداء جاءوا إليها من مصر وبريطانيا وشهدت أكبر انتصار وعرفت المهدية بالعالم الخارجي فمنها يريد محمد المهدي المجذوب أن يعيد ذاكرة الانتصارات لشعبه لينقضوا على عدوهم .
2- لأن معركة كرري أبدى فيها الأنصار شجاعة نادرة وتضحية عظيمة فأراد محمد المهدي المجذوب أن يتعلم منها الشعب معاني التضحية والفداء .

لم تكن كرري وشيكان وحدهما اللتان شكلتا وجدان التأريخ الوطني في السودان ، فكل بقعة وكل منطقة من السودان شهدت ملحمة أو بطولة ، لذا نهل محمد المهدي المجذوب شعره الوطني من مشارب عدة ، وما كرري وشيكان إلا نقطتان فقط في هذه المشارب ، فمحمد المهدي المجذوب ذو ذاكرة وقادة حافظة لتأريخ السودان لذا استرفد شعره الوطني الصادق من كل البطولات في التركية وفي المهدية.

افتخر محمد المهدي المجذوب كثيراً بشجاعة أهله الجعليين ، ووثق بإعزاز حادثه مقتل إسماعيل باشا في شندي ، وكان يستند في فخره هذا إلى الرصيد الضارب في القدم لأهله المجاذيب من شجاعة وكرم يقول[3] :-

---

[1] الشعر الحديث في السودان – ص 60

* صلاح محي الدين درس في معهد المعلمين تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة فرع الخرطوم له عدد من المؤلفات في التأريخ السوداني مثل مهر الدم.

[2] وقفات مع تأريخ السودان، د. صلاح محي الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1995م، ص130.

[3] منابر – ص 51

حسامي في نيران شندي مطرق توقد فيه لا يكف حريق
ونحن رفعنا نجم سنار ضوءه بيان جلا قرآننا وطريق

ويذكر أيضاً جهاد الطاهر المجذوب في الشرق بقوله[1]:-

تحدر من سنكات في الخيل طاهر وهندوب تمحو القاسطين دبور
خرجنا فمنا يمحق الترك عابد يفل حديد الإنجليز أمير

عندما ثارت توتي على المستعمر بابنها الذي هتك قيد الذل وثق محمد المهدي المجذوب لهذه البطولة النادرة[2] .

سلام على توتي على النيل قلعة تطل على الخرطوم كثبانها العفر
حمي الأرض والميلاد فيها مقاتل تضرم كالنيران شطانة الخضر

وعندما هددت ايطاليا كسلا ، وصمدت الأخيرة في وجهها ، افتخر محمد المهدي المجذوب بذلك الصمود ، رابطاً فخره هذا بذكر الأبطال المتصفين بالشجاعة والصمود يقول[3] :-

ابشري يا كسلا مزهوة وتعالي عن دعاوي موسلين
إن عثمان فتي منك أبي فاذكريه إذ قضي وهو سجين

الشعر السوداني سجل حافل وموثق لتأريخ السودان والمهدية على وجه الخصوص ، ولم يكن محمد المهدي المجذوب وحيداً في مجال توثيق هذا التأريخ فمعظم الشعراء السودانيين تطرقوا لهذه الناحية.

يقول إبراهيم عمر الأمين مفتخراً بكفاح جدوده مذكراً هكس بما فعلوه به ومحذرا الإنجليز من مصيره ذاكراً شيكان داعياً لاستلهام روح النصر منها[(4)] :-

يا هكس آبائي بلوت كفاحهم أعرفت منهم محجماً مترددا
هم صارعوك وأنت قد صارعتهم وسقيتهم وسقوك كاسات الردى
شيكان يا أرض المعارك بوركت جنباتك الفيحا وطابت مرقدا

ويقول أحمد محمد صالح[5]:-

---

[1] منابر، ص211.
[2] منابر – ص 56
[3] منابر – ص 90
[(4)] رجال خالدون – إبراهيم عمر الأمين – ص 86
[5] مع الأحرار، أحمد محمد صالح، ص70.

أنسيت في شيكان كيف استعذبوا وقع الأسل

ماتوا وما ماتوا وكيف يموت من أحيا الأمل

يرى الباحث أن كثرة شعر البطولات السابقة وخاصة المهدية عند محمد المهدي المجذوب يعود للأسباب الآتية : -

1- كان محمد المهدي المجذوب يهدف منه ليستلهم الروح الوطنية ويوضح للشعب كيف استطاع أجدادنا أن يحققوا استقلالهم .

2- كان محمد المهدي المجذوب يهرب إليه عزاء وتسلية عندما يصطدم بالواقع الأليم وروح الفرقة والشتات السائدة في عهده .

3- لأن أجداده كانوا قواد وأنصار مقربين للمهدي فجده الشيخ محمد المهدي المجذوب أرسل عثمان دقنه لينضم إلى المهدي . فلذا كان يذكر بطولاتهم ليفتخر بأجداده .

يرى الباحث أن شعر هذه الفترة كتب في فترة الاستعمار لأن الهدف منه كان استلهام روح المقاومة وبث الشجاعة في النفوس لمواجهة الاستعمار ولكن كُتب قليل منه في فترة الاستقلال .

المبحث الخامس

أفكار الشاعر السياسية

أ/ انضمامه للحزب الجمهوري :-

اهتمام محمد المهدي المجذوب بقضية وطنه وانشغاله بها جعله يؤمن ببعض الأفكار السياسية ويتعصب لها ، فلم يكن محمد المهدي المجذوب وطني العاطفة فقط بل كان يسند عاطفته تجاه الوطن إلى عقله وأفكاره .

ساهمت عوامل كثيرة في نضوج الفكر السياسي للمجذوب اكتسبها من خلال تجاربه الثرة مع الوطن فكان تجواله في ربوع وطنه العامل الأول في تغذية هذه الأفكار ، إذ تعرف على شعبه وعرف سحناتهم وقبائلهم وطبائعهم ووقف على أحوالهم، وكذلك معاشرته لرؤساء الأحزاب ورعاة الطرق الصوفية واستفاد من اختلاف وجهات نظرهم في معالجة قضايا السودان .

كان العامل المهم في تغذية أفكار محمد المهدي المجذوب السياسية انتماءه للحزب الجمهوري سياسياً وليس عقدياً ، واقتناعه التام ببرنامجه حول قضية الاستقلال فمحمد المهدي المجذوب ثائر بطبعه ، فعندما قام محمود محمد طه بثورته الرافضة لمنهج الأحزاب الطائفية ، والداعية لاستقلال السودان انضم إليه محمد المهدي المجذوب دون تردد .

يقول الأستاذ علي أبو سن: (إقامة محمد المهدي المجذوب في العاصمة فتحت ذهنه على العمل السياسي فانضمَّ إلى الحزب الجمهوري ، وأهم شعره في هذه الفترة شعر سياسي يسجل فيه آراءه السياسية في الأحداث الدائرة في تلك الفترة ، فيرفض المؤسسات الدستورية ، ويهاجم الأحزاب السياسية ، خاصة الحزبين الكبيرين الأمة والاتحادي)[1] ، ويقصد أبو سن بالمؤسسات الدستورية الجمعية التشريعية والمجلس الاستشاري .

يقول الأستاذ عوض الكريم(ابن الشاعر) متحدثاً عن الأسباب التي جعلت الشاعر ينتمي للحزب الجمهوري[2]: (لأن الحزب الجمهوري كان يدعو إلى جمهورية خالصة على النقيض من حزب الأمة الداعي للإتحاد مع بريطانيا ، والحزب الاتحادي

---

[1]- المجذوب والذكريات – علي أبو سن ، ص 97

[2] مقابلة مع ابن الشاعر – جامعة الخرطوم – مكتبة السودان – 2007م

الديمقراطي الداعي للاتحاد مع مصر ، وكان انتماؤه له سياسياً وليس عقدياً، ولم يشهد الشاعر فترة إعدام محمود محمد طه). بل أكد ابنه عوض الكريم أن محمد المهدي المجذوب فارق الحزب الجمهوري بعد أن جاءت أفكار محمود محمد طه متطرفة في أواخر عمره . يقول الشاعر مادحاً محمود محمد طه زعيم الحزب الجمهوري ومعرضاً بالختمية والأنصار[1] :-

شفى النفس رأي لا يداري لقيته وبايعت فكر العبقري المسدَّد
فتى لم يقل هاتوا زكاة ولم يرد بإسلامه ديناً سوى دين أحمد
يصاول كهان الدياجي بمنطق يدك عليهم كل زور مشيد

يقول مادحاً محمود ويشبهه بالمهدي المنتظر ويكثر من ذكره تأييدا له وتقوية لمدحه:-

بوركت يا محمود مبتدراً يلقي الجليل بهمة جلل[2]
محمود هات الفجر وامح به ليلاً إليه الشمس لم تصل
محمود عهدك في يدي وفي فمي حريتي تختار لي أجلي

يقول دكتور محمد سعيد القدال: (والحزب الجمهوري من أهم الأحزاب التي ظهرت في فترة الأربعينات بعد انقسام البلاد إلى قسمين كبيرين عقب الانشقاق داخل مؤتمر الخريجين ، وأسسه الأستاذ محمود محمد طه سنة 1945م ، ونشر هذا الحزب برنامجاً انتقد فيه حزب الأمة وحزب الشعب ، لارتباطهما الوثيق ببريطانيا ومصر، ولانعدام المذهبية في عملهما ، ودعا إلى استقلال السودان ، وقيام جمهوريه سودانية ثم أردف برنامجه بكتيب بعنوان (قل هذا سبيلي)[3] .

التزم محمد المهدي المجذوب برنامج الحزب الجمهوري ، ودافع عنه بالشعر والفكر ، ورأى خلاص السودان عند محمود محمد طه ، وربط جُلَّ قصائده الوطنية بذكر مبادئ هذا الحزب . ونفي عن نفسه الانتماء لطائفتي الختمية و الأنصار يقول[4]:-

ما للمراغنة انطويت مكابراً يوم الخلاف ولا أنا أنصاري
محمود قم وأخرج بسيفك عادلاً علماً يؤم كتيبه الأحرار

1- منابر – ص 82
2- منابر، ص71.
3- تأريخ السودان الحديث – محمد سعيد القدال– ص 494
4- نار المجاذيب – ص 32

ويسميه المجاهد ويواسيه وهو مسجون[1] :-

محمود يا بن محمد لك أسوة أوعيت محنة يوسف تأويلا

محمود يلمع في عماية كوبر مثل الهلال وضاءة ونحولا

وأبدع في مدحه قائلاً:[2]:-

الله طـهر أصغريه ومـدّه ظلاً على أهل الحقتـوق ظليلاً

الصائم القوام بين قـيوده يتلـو الكتـاب منزلاً تنزيلاً

محمود برأك العليم من الهوى وأحق فـيك على الحياة دليلاً

الفجر أنت على النفوس ولم يكن بســواك نور هداية مكفولا

يقول واصفاً إياه بالمهدي[3] :-

أسفت على المهدي تصغي قرابه لمن خالفوا المهدي بالرأي واليد

ب/ المجلس الاستشاري والجمعية التشريعية :-

كان محمد المهدي المجذوب شديد الرفض لهما ، وكان يراهما عاملي تخذيل للشعب ، فهما دعوة حق أريد بهما باطل ، والباطل هو التمكين للإنجليز في أرض السودان ، بمجيء شخصيات ضعيفة لهذه المجالس تنفذ أوامر الإنجليز ، وتكون عيناً لهم على أبناء الوطن.

انتقد محمد المهدي المجذوب هذه المجالس ، لأنه تنبأ بمضارها فهي تكرس للفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، فالأحزاب والجماعات تجتمع في هذه المجالس لكي تؤمن على مصالحها الخاصة ، فكل نائب يريد أن يدافع عن حقوق حزبه وفي ذلك يظهر اختلاف آراء الأحزاب التي لا تتفق على مبدأ فكيف تتفق وهي تتلقي التعليمات من قيادات الطائفية التي طالما شبهها بالأصنام يقول[4] :-

المجلسان على شفا جدل ومصارع الأوطان في الجدل

يستسقيان على يدي وثن متعبد لآلـهة المـحل

1- نار المجاذيب – ص 191

[2] المرجع السابق، .191

3- منابر - ص 82

[4] منابر – ص 71

الواقعية أهم سمة من سمات شعر محمد المهدي المجذوب يستخدمها الشاعر في جميع محاور شعر الوطن ، ليسهل الصورة للناس ، فنراه يشبه المجلس بالسوق في التطاحن والكذب والخداع يقول[1] :-

ومجلس كمجال السوق في صخب من التشاحن والأطماع والريب
دسوا الحقيقة ثكلي فيه صارخة وألهوا الظلم بين الخوف والرعب

ويبلغ بمحمد المهدي المجذوب الأمر أن ثار على نواب هذه المجالس، ووصفهم بالتقاعس عن مطالب الشعب ، ويخاطبهم ساخراً ويصفهم بالأخشاب مثل مقاعدهم التي يجلسون عليها ، لا رأي ولا كلام وعندما يتكلمون فإنهم موافقون للحاكم العام وهنا تبلغ الجرأة قمة مداها يقول[2]:-

أيها القاعدون في مجلس الشورى أترضون أن يقال عنكم نيام
فيم تدعون ليس منكم لدي المجلس رأي وليس منكم كلام
أتري تجلبون كي يسمع الحكام ما يشتهونه والسلام

حارب محمد المهدي المجذوب هذه المجالس لأنها مدعاة للفتنة ، وسوقاً للحقد والتآمر يقول[3]:-

هل كان مؤتمر البلاد حباله للحكم أم هو عفة معطاء
كشفوا الحقود وفي الندي عصابة متآمرون وفتنة شمطاء

التشبيهات من البيئة السودانية ، والتصوير أدوات فاعلة في شعر محمد المهدي المجذوب الرافض لهذه المجالس ، فهو ينفر الشعب منها عندما يشبهها بالصور التي تشمئز منها النفوس من صور المجتمع السوداني ويظهر هذا جلياً في قوله[4] :-

كاذب صدقه الأشرار معشوق الفساد
كم شري الناس كما تشري نفايات المزاد
شتموا بعضهم بعضا كستات الأنادي

ذكر بعض المؤرخين أن المثقفين انتقدوا هذه المجالس ورفضوها ، ولم يعترفوا بها بل واصلوا في نشاطهم بمعزل عنها. يقول محمد عمر بشير[1]: (افتتح الحاكم العام

[1] منابر – ص 88
[2] نار المجاذيب، ص 188
[3] منابر، ص 29
[4] المرجع السابق – ص 48.

الجلسة الافتتاحية للمجلس الاستشاري لشمال السودان سنة 1944م ، وليست للمجلس أي فعالية سياسية على مجري السياسة في السودان ومؤتمر الخريجين ازداد نشاطاً والمثقفون السودانيون جاهروا ببغضهم لهذا المجلس ووقفوا له بالمرصاد) .

يقول د. إبراهيم العدوي: (عمدت الإدارة البريطانية بالسودان إلى القضاء على التكتل الشعبي وبث الفرقة بين صفوف قادته ورأت أن ذلك لن يتم إلا بخلق جبهة تناوئ الطبقة المثقفة في البلاد أطلقوا عليها المجلس الاستشاري لشمال السودان[2]).

تقول دكتورة ميمونة: (تضافرت عدة عوامل داخلية وخارجية أجبرت حكومة السودان على التفكير في قيام هيئة تؤمن بمشاركة السودانيين في الحكم حتى لو كان ذلك بشكل صوري فتم تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان ، الذي يضم ثمانية وعشرين عضواً يرأسه الحاكم العام والسكرتيرون الثلاثة ويرأس الجلسات السكرتير الإداري)[3].

تقول ميمونة ميرغني حمزة* عن تكوين الجمعية التشريعية: (في العام 1946م انعقد مؤتمر إدارة السودان ، وقد ضم ثمانية من البريطانيين وستة عشر سودانياً ثمانية يمثلون المجلس الاستشاري ، وسبعة موظفين وعدداً من مناديب الأحزاب وتم تكوين الجمعية التشريعية)[4].

يبين الدكتور عبده بدوي أسباب تكوين الإنجليز للمجلس الاستشاري قائلاً :-

(ظهر هذا المجلس كرد فعل لمؤتمر الخرجين ، وليصرف النظر عنه بإحياء الرجعية في البلاد ومن هنا عملوا على إحياء القبلية ليصرفوا البلاد عن اهتماماتها بالحرية ، وتكون هذا المجلس برعاية الحاكم العام)[5].

وكان صوت الشعراء السودانيين عالياً في رفض هذه المجالس. فهذا شاعر حجب اسمه يطلب من الإنجليز أن يوجهوا الأموال إلى قضية التعليم لا إلى المجلس الاستشاري فيرى أن الصرف على التعليم أهم من بنيان المجلس الاستشاري[6] :-

---

[1] الحركة الوطنية في السودان – محمد عمر بشير – ص 459

[2] يقظة السودان - د. إبراهيم ألعدوي – ط2 – 1979م - ص 62

[3] تأريخ السودان الحديث – د. ميمونة – ص 299

* د. ميمونة ميرغني حمزة ، ولدت سنة 1954م أستاذة التأريخ بجامعة النيلين ، حصلت على درجة الدكتوراة لها عدد من الكتب مثل معالم التأريخ الأوربي .

[4] المرجع السابق – ص 309

[5] الشعر الحديث في السودان – د. عبده بدوي – ص 503 .

[6] صحيفة النيل 1962، ص5.

خذها فإنا لا نريد حكومة واصرف مبالغها على العرفان
لو كان حكم الجهل يسعد أمة فلقد عرفنا الحكم منذ زمان
بالعلم يبني الشعب في أبنائه لا بالقصور وشاهق البنيان

والنميرى* يقول[1] :-

يا مجلساً فرض الطغيان شرعته بيني وبينك لا قربي ولا نسب
ماذا تمثل غير الظلم تسندكم تلك الأسنة والأصنام والخشب
بئس اللوائح دستور دعائمه هذي الرياح وذاك المنطق الكذب

ويقول حسن عزت في المظاهرة التي قامت في الأبيض سنة 1948م احتجاجاً على المجلس التشريعي[2] :-

في مجلس التشريع آية خدعة صيغت لتحمل في الحياة وبالها
فأبيت موفور الكرامة يالها من صرخة أبت التقيد يالها

ج/ التبشير :-

يرى محمد المهدي المجذوب التبشير فتنة لشق صف أبناء الوطن الواحد لذا انتقد المبشرين ، وثار عليهم وكشف مخططاتهم ، وكان يدعو للقوة والعنف في سبيل المحافظة على وحدة البلاد .

يقول الدكتور عبده بدوي[3]: (تعرض محمد المهدي المجذوب للتفرقة العنصرية ومشكلة التبشير في الجنوب) .

كان محمد المهدي المجذوب يعارض المنظمات التبشيرية لأنها كانت تخلق فتنة دينية ، وتشكك الناس في الإسلام ليتركوه ، لذا كان محمد المهدي المجذوب صارماً معها . يقول حسن نجيله: (كانت مدارس الإرساليات تتصيد أبناء الفقراء والطبقات الدنيا لتغرر بهم فتأمرهم بأداء الطقوس المسيحية وتحفظهم الإنجيل وتعمل كل ما يؤدي إلى سلخهم من الدين الإسلامي[4]).

* أبو طراف النميرى شاعر وطني حكم عليه بالسجن أيام الاستعمار له ديوان شعر بعنوان الينابيع.
[1] ديوان الينابيع - ص 22
[2] ديوان ألحان ثائر – ص 60
[3] الشعر الحديث في السودان – عبده بدوي – ص 672
[4] ملامح من المجتمع السوداني - حسن نجيله – ص 294

يقول الدكتور محمد موسى البر*: (الهدف الوحيد الذي جعل النصارى يتطلعون إلى أرض الإسلام هو تدمير العقيدة الإسلامية ، وإخراج أهلها منها وسلب المجتمع الإسلامي مميزاته)[1].

ويواصل الأستاذ محمد موسى قائلاً: (إن القائمين على أمر التبشير كانوا في الأساس ألماناً وإيطاليين ونمساويين، وفي العام 1910م عقد مؤتمر رؤساء البعثات التبشيرية في الجنوب وناقشوا فيه هذه المشكلة ، وصرحوا بخشيتهم أن يؤدي تعلم اللغة العربية إلى انتشار الإسلام ، وقرروا أن يكون التعامل في الجنوب باللغة الإنجليزية)[2].

يقول محمد المهدي المجذوب [3] :-

قل للمبشر وهو ينفس سمه في الناس أنت مخلد في النار

قوموا نغير ما نراه مخالفاً للدين دين الواحد القهار

يدعو محمد المهدي المجذوب للوحدة الوطنية ، ويؤمن على اتفاق أبناء الوطن الواحد ، فالشاعر أحب الجنوب وتنقل بين أراضيه ، وأحب أهله واندمج في حياتهم ، لذا لم يكن غريباً عليه أن يدعوه للتكاتف ، ويتحسر على الحرب وتفرق الكلمة التي كان للمبشرين النصيب الأوفى فيها يقول[4] :-

ويح الجنوب يؤز الشك عزلته بعيدة الليل عن داعيه يحتجب

وأن عجبت فمن قس أخي ورع لدي الكنيسة لم تغلق بها الريب

فكيف يمنع قلبي عن مواطنه وكيف مثلي في السودان يغترب

يفضح محمد المهدي المجذوب نوايا المبشرين الداعين للفتنة ، وكان يستخدم أسلوب الاستدلال والحجج والاستفهامات الإنكارية التي تزيد من نقاء الصورة والتكرار عنده حسرة يقول مفنداً دعاوي المبشرين [5] :-

النبي المسيح ضوء كتابي إلهياً فهل تلوت كتابه

هل به أبيض يسود على الأسود يستنكر المسيح إهابه

---

*د. محمد موسى البر ولد عام 1952م بالنيل الأبيض تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة محاضر بجامعة القرآن عمل مديرا بوزارة الشؤون الاجتماعية بولاية القضارف عام 1995م.

[1] التبشير النصراني، أهدافه ووسائله، الأستاذ محمد موسى البر، مؤسسة مطبعة التربية والتعليم، القضارف، الطبعة الأولى 1999م، ص18.

[2] المرجع السابق، ص18.

[3] نار المجاذيب – ص 222

[4] نار المجاذيب – ص 195

[5] الشرافة والهجرة – ص 132

هل به ذبحنا اغتيالاً وما خنا شفيقاً ولا جحدنا نصابه

يقول محمد المهدي المجذوب فاضحاً سياسة الاستعمار الذي فرق بين أبناء الشعب الواحد[1]:-

فدع الجنوب لسمرة معسولة ملء الشمال أصيلة كالعسجد
أفصلته وزرعت في غاباته قفراً أطار جراده لم يخمد
ما عريهم فقد الثياب فجهلنا صبغ العقول بكل عرى أسود
الجهل أرفق من كياد مبشر بحقوده متبتل في معبد

فكان يأمل في السلام ويتحسر على هذه الحرب التي أقعدت السودان فيقول[2]:-

أيعود السلام وقفاً على الحرب تسوي بلا ضمير حسابه
دودت في الوجود تفاحة الأرض وداء الحياة فوق طبابه
وحملت الجنوب عبئاً لقد كان صديقي الذي أمنت ترابه
أتركت الشمال خلفي والصحراء غاب لأستجير بغابه

كان محمد المهدي المجذوب يقرأ الأحداث جيداً وكأنه يعلم أن هذه المشكلة سيطول أمدها ، وكان صادقاً في قراءته هذا فاستمرت حرب الجنوب سنين عددا وأصبحت أطول حرب في أفريقيا ، ولكن الله قيض لها نفراً أعادوا السلام وحققوا أمنية محمد المهدي المجذوب الذي كان يخشى حرباً دينية بين الإسلام والمسيحية نتيجة لمخططات المبشرين وضعف إدارة الحكام من أبناء الوطن يقول [3]:-

إذا اشتبك الصليب مع الهلال بأوطاني فحيّ على الزوال
فوا لهفاً على وطني وشعبي ونفسي والمصير بلا مآل

(د) موقفه من الحكم العسكري :-

عاصر محمد المهدي المجذوب حقبتين من حقب الحكم العسكري في السودان هما فترة الفريق إبراهيم عبود 1958م – 1964م وفترة المشير جعفر محمد نميرى

[1] منابر، ص107.
[2] الشرافة، ص132.
[3] منابر – ص 201

(1969م – 1985م) ولم يثبت في كل دواوينه أنه مدح هذين العهدين أو ناصرهما ، على الرغم من نقده للعهود الحزبية الديمقراطية التي عاصرها أيضاً .

لم يصرح محمد المهدي المجذوب ببغضه ورفضه للحكم العسكري مثلما كان يفعل مع الأحزاب ، ويرى الباحث أن هذا يرجع لطبيعة الحكم العسكري الذي كان يتشدد مع معارضيه ، واتباع القسوة والقمع معهم ، عكس الحقب الحزبية التي كانت تتيح حرية الرأي ، والتعبير لذا كان محمد المهدي المجذوب يستخدم أسلوب الرمز في نقض ممارسات الحكم العسكري .

كان وصول الفريق إبراهيم عبود إلى السلطة بانقلاب عسكري هو الأول في تأريخ السودان ، ثم تواصلت الانقلابات العسكرية بعده ، وقابل الشاعر محمد المهدي المجذوب هذا الانقلاب بالرفض والهجوم .

يقول محمد عمر بشير متحدثاً عن سياسة حكم الفريق عبود: (كان أول عمل قامت به الحكومة العسكرية إلغاء الأحزاب السياسية ، والقضاء عليها ، وحظر كل النشاطات السياسية ، وأوقفت الصحف مؤقتاً ، وجمدت الدستور ، وحذرت الصحف من توجيه أي نقد للحكومة[1]) .

ويقول على أبو سن: (كان محمد المهدي المجذوب هو الساخط الأكبر على دكتاتورية نظام عبود ، وانصب سخطه على المستنيرين الذين تخلو عن القيم وكان يشمئز من استغلال أحمد خير المحامي دكتاتورية عبود لمحاربة زملائه القدامى[2]) .

رفض محمد المهدي المجذوب بجرأة تسليم عبد الله خليل السلطة للجيش وكان يخشى عاقبة العساكر يقول [3] :-

إني لأخشى على السودان قارعة تعيي الأجاويد إسماحاً وإحسانا
وصافح ابن خليل معشراً عقدوا حلفاً قناعاً يدس الغدر ألوانا
وأصبح الناس والنيران آكلة أرضاً وشعباً وصار الكفر إيمانا

ويظهر ضيق الشاعر وتبرمه من الحكم العسكري في قوله[4] :-

الشمس تشرق في السودان كاذبة وليس تنبت غير اليأس والعدم

[1] معالم الحركة الوطنية – محمد عمر بشير – ص 268
[2] المجذوب والذكريات – على أبو سن – ص 39
[3] منابر – ص 55
[4] الشرافة والهجرة – ص 105

أثارها الفجر فقاعاً أكابده كأساً تجف وقفراً طامساً يدمي

يظهر استخدام الرمز وأسلوب التلميح في قصيدته (العنان) التي كتبها سنة 1960م وفيها شبه الحكم العسكري بالفرس الجامح ، أو الحصان الهائج المتفلت الذي لا يتورع عن إثارة الفوضى والخراب ، عندما يثور ولا يستطيع الناس التحكم فيه بل يتركوا له المكان وينزوا داخل بيوتهم اتقاء شره يقول[1] :-

في حينا حصــان
مشـتعل العدو بلا عنان
أخلي له الطريق عابروه خائفين
وألصـقوا الظهور بالجدران
وانفلتوا إلى البيوت مشفقين

عندما ضيق الحكم العسكري الخناق على الشعب ، ضاق به محمد المهدي المجذوب ، وكان يتمسك بخيط الأمل ، ويترقب فجر الحرية ، والخلاص ويترقب السلام والأمن وتحسن الأحوال وكان يرمز للسلام بالنجم والحمام يقول [2] :-

النـجم في ظـلامنا أفل
وآخر الشعاع في عيوننا ارتحل
عـد يا حـمام
بخضـرة السـلام

ويقول [3]:-

يا أيها الصغار في المهود حالمين
مبرئين حالمين بالوعود
في كل مهد عالم جديد
ليس به حصـان
يجري بلا عنـان
وإنمـا أمـان

[1] نار المجاذيب، ص163.
[2] المرجع السابق، ص137.
[3] نار المجاذيب، ص171.

أشرق فيه الحب والحنان

يرى الباحث أن عناوين القصائد لها مدلول وثيق بالقصيدة نفسها من ناحية المعني والهدف ، ففي عنوانه لقصيدة (العنان) العنان هو الذي يلجم الفرس الجامح بقوة ، وفي قصيدته بعنوان (غابة) يرمز الشاعر بهذا العنوان إلى حالة الضياع والمجهول الذي ينتظر مستقبل السودان في ظل الحكم العسكري فمثلما الغابة مكان للضياع والخوف والرعب كذلك الحكم العسكري يقول محمد المهدي المجذوب في قصيدته غابة التي واجه بها الشاعر بداية حكم الفريق عبود سنة 1959م وكان هتافه قوياً ولكنه لم يصرح كعادته [1] :-

زمانك فاسد

فكن فاسداً أيها العابد

وكن طامعاً أيها الزاهد

وحطم شموسك في المعبد

يقول الدكتور هدارة معلقاً على هذه القصيدة : (محمد المهدي المجذوب يتناول مشكلات مجتمعه بوعي رغبة منه في الإصلاح ، فهو يشرح مواطن الضعف والنقص، ويهوي بمعوله على أوكار الفساد ، ونراه في هذه القصيدة يصوغ ثورته على الفساد في مطالبة الناس ، أن يكونوا جميعاً مفسدين وهو أسلوب بالغ السخرية والاحتجاج على كل مظاهر الفساد)[2].

عندما انتهى حكم الفريق عبود بثورة أكتوبر ، انفعل محمد المهدي المجذوب بها ، ووجد فيها بارقة الأمل لعهد جديد وفرح بها ، وكان من الثائرين بشعره في أكتوبر وأطلق الآمال للعيش في ظل الوحدة والاستقرار .

خص محمد المهدي المجذوب ثورة أكتوبر بشعر كثير ، تفرق في دواوينه يقول محمد المهدي المجذوب في قصيدة بعنوان (أكتوبر) سكب فيها عصارة فنه وأفكاره يقول في بعضها[3]:-

يا بلادي نجوت فاعتبري بالأمس خلفته وراء الدهور

---

[1] أصوات ودخان، ص 131

[2] تيارات الشعر العربي المعاصر – هدارة – ص 353

[3] منابر - ص 253

لا تضيعي دم الشهيد وصونيه كما شاء من شفاء ونور
واحذري الداخلين فينا مع الثورة من كل ذي قناع غدور

عندما جاء المشير جعفر محمد نميرى للحكم بانقلاب عسكري سنة 1969م رفضه محمد المهدي المجذوب كعادته في مواجهة الأنظمة العسكرية ، وأكثر من نقده بعزيمة لا تلين وتحمل كل الظلم الذي وقع عليه بصبر وجلد .

يقول على أبو سن: (كان محمد المهدي المجذوب أحد ضحايا سدنة مايو ونظام نميرى اللاهثين وراء مصالحهم ومصالح سادتهم ، لقد أصبح مغضوباً عليه لأنه كتب إهداءً ودوداً على صدر ديوانه الشرافة والهجرة إلى صديقه عدو النظام فحرموه من تجديد خدمته في الحكومة ، ورفضوا الاستجابة لنداءات الشرفاء بمنحه منزلاً تقديراً لعبقريته الفذة وحاربوه في كل مكان)[1] . وصديقه عدو النظام هو على أبو سن نفسه .

اتجه محمد المهدي المجذوب في شعره الوطني الرافض للحكم العسكري إلى كشف فساد العساكر وتضييقهم للشعب وعدم تقدير ظروفهم المعيشية الصعبة ، فخرجوا يبتغون الرزق ، ويعملون في السوق ليوفروا لقمة العيش ، فوجه محمد المهدي المجذوب سهامه للحكم العسكري من خلال عناوين مثل (بائعة الكسرة) التي كرر ذكرها في معظم دواوينه ويرى الباحث أن محمد المهدي المجذوب كان يرمز بها لكفاح الشعب يقول [2] :-

ذاك البيت الناشئ فوق ركـائز
لا يعنيه نفاق تيوس مكتمل العينيـن
لا يعنـــــيه
لا يعنيه لصوص الشمس ولؤم السـعر
ولا تطفيف الكيل وأوزار الخرطوم المفتونة
لا يعنـــــيه

نلاحظ أن محمد المهدي المجذوب في هذه القصيدة صرح بنقده للحكم العسكري وتخلى عن سياسته القديمة مع حكومة الفريق عبود العسكرية في استخدام الرمز والتلميح

[1] علي أبو سن - ص 97
[2] أصوات ودخان، ص131.

، ويرى الباحث أن هذا يقود لليأس والإحباط الذي أصاب الشاعر ، أو لأنه تقدم في السن ، وقال هذه القصيدة سنة 1977م فأصبح لا يخشي بعد كبر سنه .

ومحمد المهدي المجذوب الملتزم قضية شعبه والمكافح من أجل تحرير السودان ، أحزنه أن يرى شعبه في ذلة وهوان فبعد طرد المستعمر البغيض نظر محمد المهدي المجذوب إلى واقع شعبه فوجد استعماراً آخراً في زمن الاستقلال ، ورأي أن قلة تعيش في رغد من العيش بينما الأكثرية تتوسد الذل وتلتحف الثري تكابد من أجل لقمة العيش ، وحطمها غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار سيف مسلط على الأعناق يقول[1]:-

يا ضباط الأســعار
حكاية الليمون هل عرفتها ، سمعتها
واحــدة بقــرش
يا ضبــاط الأســعار
انظر إلــى سادتنا الكبار
قد وضعوا الأسعار مثلما تخيروا واحتكروا الأسواق والديار
وغابة الأسمنت أشرفت على الديار
وفقد الحطاب فأسه وأدمن الفرار
وبيارق الحانات صفقت في انتظار

يقول محمد المهدي المجذوب في رسالة بعثها لعلي أبي سن: (وزادوا السكر وكل شيئ قالوا من واجب الشعب أن يضحي وهل يعيش الشعب إلا في التضحية ، الطموح غير المشروع هو السبب الأول في هذه المفاسد والوزارة فيها رجال جاءوا إليها للمكاسب لا لأنهم أذكياء والوزارة حظيرة غنم[2]) .

وفي ختام هذه الجزئية يرى الباحث ما يلي :-

1- رفض محمد المهدي المجذوب كافة أشكال الحكم العسكري .
2- استخدم محمد المهدي المجذوب في بداية شعره في نقد الحكم العسكري الرمز ولم يصرح بهجومه خوفاً من بطش الحكم العسكري .

---

[1] أصوات ودخان– ص 95,
[2] المجذوب والذكريات، علي أبو سن، ص 172

3- في آخر عمره ترك محمد المهدي المجذوب الرمز واتبع أسلوب المباشرة في نقده للحكم العسكري .

4- كانت كراهية محمد المهدي المجذوب للحكم العسكري أكثر من كراهيته للأحزاب لأنه كان يؤمن بالديمقراطية وحكم الأحزاب ولكنه يختلف في الوسائل التي تتبعها الأحزاب في الحكم .

5- كره محمد المهدي المجذوب جميع العهود الوطنية بعد الاستقلال مدنية كانت أم عسكرية ، وكان بغضه للحكومات العسكرية أشد أما العهود المدنية فكان يبغضها لكنه يحاول إصلاحها.

المبحث السادس

إحباط الشاعر ويأسه نتيجة إخفاق الحكومات الوطنية المتعاقبة

بعد جهاد طويل وكفاح قوي دفع مهره الخُلصاء من هذه الأمة حقق السودان استقلاله ، وامتلك حريته تلك الأمنية الغالية والهدف المنشود .

كان انتصار الشعب وانبثاق الفجر الجديد الذي تطلع إليه الشعراء هو فجر الأول من يناير لسنة 1956م ، الذي انطلقت به الحياة إلى آمالها ، وشرب الشعب نخب الحرية بعد طول حرمان .

يعتبر الوطن عظيماً حين ينال حريته ويتخذ لنفسه خطة سياسية عامة يضعها أبناؤه بمحض اختيارهم ، لأنهم أدرى بشئون ديارهم والشعراء هم رأس الرمح في استقلال السودان ، لأنهم يقدحون في زناد البطولة فاشتعل اللهب ناراً على الأعداء ، ونوراً لأبناء هذه الأمة.

تفاعل محمد المهدي المجذوب مع استقلال السودان وخصه بشعر كثير يقول فيه[1]:-

فجر تحلق من إرادة أمة وأهل تسمع ما يقول فتذكر
صاف توهجت المنى بضيائه شتى كما عكس الأشعة جوهر
عيد ولم يكن قبله من عائد يأتي إلينا باسماً ويبشر

التعبير عن فرحة الاستقلال كثيرُ في ديوان الشعر السوداني فهذا أحمد محمد صالح يقول[2]:-

يا شاعر النيل لاح العيد وابتسما فحي غرته واستنهض الهمما
أما تري الشعب قد ماجت مواكبه وردد الحمد والتكبير والقسما
وهل رأيت هدير البحر مصطخباً وهل سمعت زئير الأسد محتدما
إنا اتحدنا فكان النصر رائدنا وكان حظ سوانا الذل والرغما
وقد مشينا إلى الجبار في شمم نهز من عرشه فاندك وانهدما

ثم قدم الشاعر نصائح للحكام ليحكموا بالعدل لتتقدم البلاد ويرى الشاعر أنهم لم يأخذوا بنصيحته يقول مخاطباً لهم[1]:-

---

[1] نار المجاذيب، ص143.
[2] مع الأحرار – أحمد محمد صالح - ص 63

يا قادة الرأي حققتم لنا أملا قد كان قبل سراباً خلباً حلما
إن أنتم اليوم أنكرتم ذواتكم بلغتم في سماء العزة القمما
كونوا جنوداً فللجندي حرمته لا تجعلوا للكراسي بينكم قيما

يقول الأستاذ عبد الحميد محمد أحمد: (تعلم السودانيون – شعراء وغيرهم من واقع الاستعمار المؤلم درساً حرصوا أن يسري مفعوله منسجماً على كل الأجيال، وهو الحرية لذا كانت الأناشيد هي الغناء الطروب ، وكانت الأغاني الوطنية والقصائد الحماسية هي الدفء الذي تبحث عنه الأمة السودانية التي عانت من الاستعمار)[2].

يقول الشاعر محمد مفتاح الفيتوري[3]:-

زحفت مواكبنا فقل لصحائف المجد استعدي
هذا حصاد القادرين على الإرادة والتحدي
ولقد قدرنا رغم بطش الأجنبي المستبد
ولقد هزمنا كل ما في الأمس من ضعف وحقد

ويقول الشاعر حسن الفاتح* قريب الله[4] :-

أيها السودان قد لمحت آية الصبح في الأمم
أرأيت الشعب كيف سما روحه الوثاب للقمم
قاوم الأغلال في غضب ومشي للحق في شمم

تغنى الشعراء بالاستقلال وهيأ الشعب نفسه لحياة جديدة خالية من الذل والهوان قوامها الحرية والنماء، ولكن مع قدوم أول حكومة وطنية ظهر خلاف الأحزاب وتفرقت آمال الشعب.

يقول الشاعر إبراهيم عمر الأمين[5]: (ولم تكد فرحة الاستقلال تنتهي حتى قام الصراع الحزبي مرة أخرى وتتابعت الحكومات والأحداث وصب الشعراء جام غضبهم على الحزبية التي بددت طاقة البلاد وفرقت كيانه) .

---

[1] مع الأحرار _ أحمد محمد صالح – ص 63
[2] الشعر والمجتمع في السودان – عبد الحميد محمد أحمد – الطبعة الأولى 1987م - دار الوعي للطباعة والنشر – الخرطوم – ص 57
[3] أغاني أفريقيا – الفيتوري – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت – 1967م – ص 227
* الشيخ الدكتور حسن الفاتح قريب الله ولد بأمدرمان وحفظ القرآن الكريم ونال الدكتوراة وعمل بعدد من الجامعات السودانية ، من أعلام الصوفية .
[4] الناصريات، الناصر قريب الله – ص 72
[5] تقديم رجال خالدون - إبراهيم عمر الامين – ص 9

يقول الأستاذ منتصر حمودة: (نستطيع القول أن الاستقلال كمفهوم وطني عبر الشعراء من خلاله عن وطنية صادقة تحلوا بها في كل مراحل تنامي وتطور معنى الاستقلال ابتداءً من مرحلة الإعجاب به إلى المعايشة معه إلى الزهد فيه وحتى الانقلاب عليه ، وسبب ذلك أن الحكومات المتعاقبة لم تكن قادرة على تحدٍ كالاستقلال غير أن الوطنيين من الشعراء استطاعوا أن يعبروا عن هذه الوطنية الصادقة)[1].

عاصر محمد المهدي المجذوب هذه الأحداث بقلبه وبعقله وهاله أن يرى الاستقلال الذي أفني في سبيله زهرة شبابه ضائعاً بين مطامع الأحزاب والحكومات العسكرية ، ورأى محمد المهدي المجذوب ما آلت إليه الأمور وما يتهدد بلاده ورأي الانحراف السياسي والوجوه التي ألفها في الماضي تصطرع حول المطامع والحكم وقرأ الأسى في وجه بلاده فاتخذ من دواوينه الشعرية قاعدة لفضح إخفاقات الأحزاب.

وجد محمد المهدي المجذوب ثنفسه يخرج من معركة الاستعمار ليدخل في معركة طالما حذر منها في السابق وهي معركة فساد حكومات أبناء شعبه ، فواصل الكفاح والنقد مجاهراً برأيه متحملاً كل صنوف العذاب والتضييق ، تدفعه عقيدته لوطنه لم تتل له قناة ولم يتعب له قلب ، مصوراً في شعره مشاهداً مكتملة الجوانب لتلك الفترات المظلمة المخنوقة الأجواء ، ولم يتأثر الشاعر بغير الحقيقة والإخلاص الوطني مما دفعه إلى عنف الثورة وحرارة النقد للاصطدام مع كل الحكومات عسكرية كانت أم مدنية ، ولكن حق الوطن فوق كل ذلك ولا يعلو مقامه شيئ ، وهكذا ضرب الشاعر مثلاً أعلى لنكران الذات والتخلي عما سوي الحقيقة والصدق والوطنية، وثبت في جهاده ولم يغره شيئ حتى انجلي ذلك الظلام بفجر جديد كان يرقبه ويشير إليه في شعره وسرعان ما خدع في هذا الفجر ولم يجده أحسن من سابقه، فهنا دب اليأس في نفسه وأرسل شعره ورسائله محبطاً من أبناء وطنه ، وظل يقاوم اليأس وكان يأمل في أبناء وطنه لآخر فترة من حياته ، يقول محمد المهدي المجذوب حزيناً من عدم سماع شعبه لنصيحته ولعدم تحركهم نحو التقدم والوحدة[2]:-

هذي بلادي فإني فيها وحيد غريب

[1] الشعر الوطني في السودان في الفترة 1956-2000، الأستاذ/ منتصر عثمان حمودة، ماجستير أم درمان الإسلامية، 2007م، ص134.
[2] الشرافة – ص 38

لا الشعر حرك قومي ولا البيان الخطيب
أقول والليل صخر الصبح آت قريب

كان محمد المهدي المجذوب يخطط مع الأحرار لتكوين وطن مثالي وطن يقوم على العدل والتسامح والتقدم وشرع في تحقيق هذه الغاية لكنه يراه يؤول أخيراً لأحد رجال الطائفية الذين جعلوه تراثاً لأبنائهم من بعدهم واتخذوا الشعب رقيقاً لهم وعاشوا في هناء يقول[1]:-

ولي وطن تواعدنا قديماً على اللقيا فعاد صدي سحيقا
وعاد فما وجدت به صديقاً ولا ظلاً نشأت به وريقا
وقد نصب الرعاع لنا أميراً تخايل في مباذله صفيقاً
يرى حكم البلاد له تراثاً وسكان البلاد له رقيقا

وبلغ محمد المهدي المجذوب من شدة يأسه مبلغاً أن يحن لزمن الاستعمار وهو له كاره يقول[2]:-

وما وجدت لهم في النيل من وطن إلا التفرق والعدوان أوطاناً
ملوحين بأعلام مزيفة تذوب كالشفق الغربي ألوانا
هل كنت أحلم بالأوطان آمنة وبالعدالة في النيلين قرآنا
حسبت أن جلاء الجند يعقبه صبح ألاقي به السودان سودانا

ودائماً يحن محمد المهدي المجذوب لذكرى الوطن عندما كان يراود خياله وتشرق مخيلته وعندما رأي فساد الحكومات ، تراءت له هذه الذكرى يقول[3] :-

أحن إلى ذكري بلادي بعيدة واشتاق لو ذاك الخيال يزور
لقد كان لي وجه برئ مبارك وحب لأهلي الصالحين كبير

يعيش محمد المهدي المجذوب مستمتعاً بأحلامه فخوراً بوطنه الخيالي حالماً بوطن قوي ممتد ولكن الحلم دائماً يذهب سريعاً وسرعان ما يعيش الشاعر الواقع الأليم يقول[4] :-

بلادي لست أعرفها ونفسي نفوس كم أجادلها كثار

---

[1] نار المجاذيب – ص 140
[2] الشرافة والهجرة، ص215.
[3] منابر - ص 211
[4] منابر، 186.

أسائل أين شعبي كان حلماً كلفت به يكذبه النهار

مفهوم الوطن يشكل هاجساً مؤرقاً للمجذوب كما يوحي بذلك شعره ، يقول على أبوسن معلقاً على نماذج هذا المبحث: (وفي هذه النماذج يبدو مفهوم الوطن أحياناً فلسفياً مثلاً حين يقول : وطني الأرض أو ليس لي وطن إلا الرجاء أو أفتق في اليأس لي موطناً أو لي وطن ضائع منتظر فالوطن المفقود في هذه النماذج نوع من التشوق والتلهف إلى انتماء جديد انتماء إلى أفكار ومعانٍ يعوض بها الشاعر ما ضاع أو اهتز من إيمان بأفكار ومعانٍ كانت في يوم من الأيام راسخة في عقله وقلبه ومع ذلك محمد المهدي المجذوب يتحدث عن السودان الوطن حديث المحب المغرم ولكنه كثير الأسى عليه عليم بعيوبه يكاد يرى الغيب في قصيدته الوطن المحروم)[1] .

وفي هذه المساحة يورد الباحث النماذج التي علق عليها على أبو سن ثم يحلل الباحث هذه النماذج تحليلاً أدبياً .

يقول محمد المهدي المجذوب متحدثاً عن الوطن الضائع والشباب الذي أنفقه فيه :-

وما وطني ؟ أضعت له شبابي براجعه ولا هو بي عليم[2]

وطن بين المفاجع والمآسي تخيل أن قاتله رحيم

ويلحظ الباحث مدي حسرة الشاعر في استمرار الاستفهام الإنكاري التعجبي في قصيدته(أيام) يقول متحسراً [3] :-

أفتق في اليأس لي موطناً وأودع في الصخر لين المهود

ويبغضني العيش في موطن تعيش وتفرخ فيه القيود

وأين الفرار وضاع الفرار ومالي من وطني من محيد

ولا ينسي الشاعر محبته للوطن ولكنه يبكي عاجزاً عن نصرته ويعترف بالهزيمة وينعي قضية الوطن التي ماتت يوم دفنها الصنم وهذا رمز للطائفية التي بغضها يقول[4] :-

وطني أحبك في الجهالة عاجزاً والحب فوق شكايتي وشقائي

[1] المجذوب والذكريات، علي أبو سن، ص 178
[2] نار المجاذيب – ص 21
[3] الشرافة والهجرة – ص 50
[4] الشرافة والهجرة - ص 76

نبكي عليه ولا نقيم عثـارة إن البـكاء هزيمة الأحياء
وتصيح في وجه الصباح جريدة جرباء تجـهل آخر الأنباء
ماتت قضيته يقوم بدفنـها صنم وصاحب نخلة حمقاء

وصـدق محمـد المهـدي المجـذوب حقـاً فـي قراءتـه للمسـتقبل وتنبـأ بالفتنـة التـي مزقـت السـودان وأنهكـت جسـده ، وكأنـه كـان يعـرف اشـتعال فتنـة حـرب الجنـوب وفتنـة دارفور وعدم تواضع الأحزاب على برنامج وطني محدد يقي السودان هذه الشرور يقول[1] :-

ذهب الأُولى كانوا اليقين لموطن كم ضـاع بين منافق وكفور
أخشي غداً فتناً تمزق موطنـاً لم تبق فيه مكانة لضمير
إني لأبصرها ولست بكاهن شنعاء تلحق آسراً بأسير

كان محمد المهدي المجذوب يستمد القوة من الشعب ويلتجئ إليه كلما ضاقت به الحال فيفر إليه مستنداً على جبروته يقول[2]:-

آمنت بالشعب منصاعاً له القدر يمـلي إرادته قسراً فينتصر
آمنت بالشعب عملاقاً تخلده أمجاده الغـر والتأريخ والسير
في قبضة العين قد أجلوا مدافعه أين الرصاص وأين الجيش والمطر

عندما يضيق الحال بمحمد المهدي المجذوب ويتبرم بالوطن ومن فيه ، يفر إلى بيته وزوجته وأطفاله ، فيجد عندهم السكينة والاطمئنان وينسي آماله وخيبة أمله في وطنه فيقول[3]:-

لزمت داري وأطفالي بهم أمنت نفسي الحزينة من هم وبلبال
قد كان لي وطن بالأمس قتلـه وهم الشبيبة من حب وآمال
وضاع حيناً ولكني ظفرت به حلو البشائر في داري وأطفالي
الحمد لله حمداً أستعين بـه على تقلب أحـداث وأحوال

عنـدما يضـيق الحـال بالشـاعر يصـور الـوطن بشـيخ كبيـر ضـاق بـه الحـال مـن نوائب الدهر ومن عقوق أبنائه ووعودهم الخلب لرفعته يقول[4]:-

[1] الشرافة والهجرة – ص 89
[2] نار المجاذيب، 144.
[3] نار المجاذيب – ص 329
[4] نار المجاذيب – ص 19

وطني بليت على الخطوب ولم تجد أسفاً يهز لك القلوب دخيلاً

قد خاب ظنك في بنـيك أذلة أتراك تدمن وعدهم ممطولا

كلما تقدمت السن بالشاعر ضاق بالحال أكثر وفقد الثقة في بني وطنه ووصل مرحلة اليأس الأمر الذي جعله يصرح أن ليس له وطن يقول[1] :-

مالي جناح ينفض الوطن

وليــس لي وطن

إلا المحال والجنون والقيود

ويقول [2]:-

إني غريب ليس لي يا صاحبي وطن

إلا الرجـاء مـورقاً على المحن

حلاوة نسيغــها على الشجن

يرى محمد المهدي المجذوب أن أيامه ضائعة نتيجة فساد المستعمر ، وفساد أبناء الوطن ، وكان وحيداً فتمكن منه اليأس واستولي الإحباط على شغاف قلبه فقال[3]:-

ضيعت في السودان أيامي ووأدت في الخرطوم أحلامي

نغم تلاشي ليس يعقـبه إلا صـدى أسفي وتهمامي

في ديوانه الشرافة والهجرة صرح الشاعر بالسبب الذي جعله ينكر بـلاده وينقص حياته يقول[4]:-

بلادي كنت أحسبها بلادي أكان بها وجودي واتحادي

تقلبني حياتي بين قومي وأعجب من أحب ومن أعادي

وأنساني وزهدني حياتي فسادكم عـذرت به فسادي

ولأن الإحباط من إخفاق الأحزاب وتناحرها كان توجهاً عاماً من قبل الشعراء الذين عاصروا محمد المهدي المجذوب يورد الباحث في هذه الجزئية نماذجاً لأشعارهم.

كان مبارك المغربي يقرأ الواقع جيداً ، ويعلم أن الأحزاب التي اختلفت في كيفية طرد المستعمر لابد أنها ستختلف في كيفية إدارة شئون البلاد بعد ذهاب المستعمر فيقول

---

[1] منابر – ص 135

[2] نار المجاذيب – ص 169

[3] منابر – ص 219

[4] الشرافة – ص 117

ناصحاً الشعب بحماية الاستقلال ، فالتحدي الأكبر هو كيفية المحافظة على الاستقلال وقتل الفتن يقول[1] :-

فما فرحة استقلالنا أن تحيطه وعوداً وتحدوه الأماني الكواذب
ولكن بأن نرعاه في كل خطوة تلح علينا أن تصان المكاسب
يمينا لو أن الشر حاق بأرضنا دفعت بأعلى ما تضم الجوانب

وصدق إحساس مبارك المغربي فقام الصراع الحزبي مع أول حكومة وطنية، وابتداء الفصل الثاني من مسلسل الصراع الحزبي ، وتبعه الثالث والرابع ، فتملك اليأس عدداً من المثقفين السودانيين فعبروا عن محنتهم شعراً يقول صالح بيلو[2] :-

أوشكت أمزق راياتي وأزايل كل شعاراتي
وأخرب صرح مناراتي قيمي العليا ووراثاتي
وأعيش بغير قداساتي أبداً منكور القسمات

يقول مصطفي طيب الأسماء محبطاً من غربته في داره مستخدما كم الخبرية موحياً بالكثرة والحسرة :-

كم طريد في داره وغريب بين أوطانه يعيش اختلاسا
رحمته الأحداث تترى تباعا وتولى الأنام عنه خساسا[3]

ويصل الشاعر محمد محمد علي مرحلة متقدمة من مراحل اليأس والإحباط من قادة بلده ويمكن أن يكون إحباطه من الظروف المرضية والنفسية التي عاشها[4]:-

فؤادي ما يزال لـه وجيب ونفسي لا يبارحها النحيب
وآمال محطمة وسهم من الأقدار مرنان مصيب
فألجمني عن الأكال داء وحذرني أطايبها الطبيب
كأن الأشربات كؤوس سم تشق بها المرائر والقلوب
وأمسكني عن الآداب قومُ خيار خيارهم في المن ذئب
تعبت من التشرد وهو فرض على وقد تحتمه الخطوب
فآه ثم آه ثم آه وآه ما تكنفني الغروب

[1] حداة الاستقلال – مبارك المغربي – ص 11
[2] الشعر الحديث في السودان ، د. عبده بدوي ، ص 221
[3] لحن وقلب – مصطفي طيب الأسماء – ص 32
[4] ظلال شاردة – محمد محمد على – ص 125

فآه ثم آه ثم آهـ إذا طلعت يحف بها الشحوب

مللت العيش والدنيا ابتهاج لأنـي في مرابعها غريب

أما د. أحمد عبد الله سامي* فيصرح بأن الأحزاب أساس كل اختلاف يقول[1]:-

يعز على يا وطني المفدي أري أهليك يبغون الخصام

سكت أراغب الأحداث حينا وعب الصدر احتاج الكلام

أرى الأحزاب لا تسعى لإلف وأمرهم إلى البلوى ترامى

نظم محمد المهدي المجذوب شعر هذا المحور في فترتين الأولى فترة الاستعمار وكانت سماته اليأس من الأحزاب والاستعمار على السواء ذلك اليأس الذي تملكه نتيجة تقاعس قومه واختلاف كلمتهم وتمكن المستعمر من مفاصل الحياة في الوطن . وكذلك في فترة الاستقلال وبعدها وهذا يعود لفساد الممارستين الحزبية والعسكرية للحكم فأحبط الشاعر من أبناء شعبه وكان يحدوه بصيص أمل في اتفاق قومه في فترة ماقبل الاستقلال أما بعد الاستقلال فتمكن اليأس منه تماماً نتيجة لتقدم عمره والمعاملة السيئة التي وجدها في أواخر حياته من حكم المشير جعفر محمد نميرى .

* د. أحمد عبد الله سامي ، عمل بجامعة أمدرمان الإسلامية أستاذاً مشاركاً له مقالات وكتابات نقدية عن محمد سعيد العباسي وله ديوان الرمال الظامئة .

[1] الرمال الظامئة – أحمد عبد الله سامي – القاهرة – مطبعة محمد على – 1963م – ص 72

المبحث السابع

النيل في شعر محمد المهدي المجذوب

يتناول الباحث النيل في شعر محمد المهدي المجذوب ليبين علاقته الرمزية والصريحة بالقضايا الوطنية .

الحديث عن النيل الخالد هو استنطاق لماضٍ عريق، وتأريخ مجيد للأمة السودانية، فقد كان (النيل وما يزال ملهم الأدباء ووحي الفنانين ومبعث الشعر ومنبع الرزق والخير ، يبذر معاني العزة والكرامة والشرف ، ومبادئ الحرية ورفض الخنوع ، والخضوع والضيم والحيف ، فهو في اندفاعه الهادر رمز الحرية والانعتاق من كل قيد ونير ، وسراج وهاج يستنار به في طريق الصمود والإصرار نحو تحقيق الغاية والهدف)[1].

والنيل سجل حافل ببطولات أمة عريقة لها جذور ضاربة في المجد والعلا، كانت وما زالت تشرئب للقيم الرفيعة ، والمثل السامية الحميدة لا تضعف لها همة ولا تهن لها عزيمة، أمة سلكت سبيل العزة طريقاً والسمو منهاجاً[2].

والنيل سفر مقدس غارق في الوطنية ، تقرأ في صفحاته عقول الناشئة ماضي أجدادها التليد ، وتستلهم من عمقه وسكونه ولطفه ووقاره ، القوة والحكمة وتستمد من فورته وعمق عنفه واندفاع موجه الصبر ومضاء العزيمة ، لبناء حاضر مشرق نضر ومستقبل زاهر وضاء ، ومن ثم أخذت ألسنة الشعراء ترد منهله كما يتهافت الفراش على الرحيق ، تعب منه تلك المعاني السامية ، وتنهل من فيضه صور البيان، وتستوحي من ماضيه تأريخ أمتها المشرق فلم يخلُ ديوان شاعر سوداني من ذكر النيل والحديث عنه.

تكررت صورة النيل بكثرة في شعر محمد المهدي المجذوب ، ومن خلال السرد والتقصي لنماذجه الشعرية ، وضح أن الشاعر محمد المهدي المجذوب كان ينفذ من ورائها إلى معان وإيحاءات كثيرة منها وصف طبيعة النيل فيقول[3]:-

---

(1) دراسات في الأدب السوداني ، د. جمال الدين الرمادي ، دار المعارف القاهرة ، ص 145.
(2) النيل في الشعر السوداني، فتح الرحمن التني، دار الجيل، ص 9 ،
(3) الشرافة والهجرة، ص177.

وبعيني قوافل النخل والنيل حداها تجيئ وسقاً فوسقا

بردت جرتي وذا القرع المنقوش يسقي حلاوة النيل طلقا

شاعرنا محمد المهدي المجذوب فنان ماهر في رسم لوحاته الشعرية، ويستطيع أن يضفي عليها حيوية ورواء حتى لكأنك تحسها وتلمسها، إنَّه ينظر إلى النيل بعين الفنان الذي يمسك بيده الفرشاة ليصور روائع ما يرى في دقة وسرعة ، ثم هو لا يجعلها صامتة ميتة بل ينفث فيها الروح ، فتغمرها الحياة يقول مصوراً جمال وعطاء النيل[1]:-

والنيل قد لبس الضحى من خضرة متموج فيها العباب الأسمر

والرمل من ذهب يشف مآزراً تحت النخيل حريرها يتكسر

والزهر أنفاس يطوف عبيرها متوقف متلفت متعثر

صور عشقت لها الحياة مريرة وبقيت بين خطوبها أتنظر

إني وإن فت الشباب فإنه وطن يدوم به صباي الأخضر

وهو رمز لعزتها وأمجادها وتجسيد لها يقول المجذوب[2]:-

والنيل منبر ثورة أعواده غاب وراء ليوثه يتنمر

والشعب أقبل في الجموع يسوقها علم عليه بكل حق تجهر

فالنيل بوحدة شطيه وعزيمة تياره الجارف يتحدى الصخر ، ويفت عضده فمضاء العزيمة والإصرار هما سلاح لا يعدله سلاح ، والنيل الذي يتحدى الصخور والجلاميد لن يرضى بالذل والهوان يعيش على جنباته، فهو حر الإرادة قوي الشكيمة ماضي العزيمة يكتسح كل قيد ويكسر الأغلال فكيف يرضى بضيم المستعمر ، وكيف يرضى شعبه الاسترقاق والهوان ، وهو رمز الحرية يجري بينهم.

كثيرا ما نظم محمد المهدي المجذوب قصائد ربطت بين ثورة النيل وإبائه للظلم وبين استلهام هذه الثورة يقول[3]:-

جرى النيل فانظر كيف يسعى بمائه صبوراً فما يعيا بسد معوق

والنيل عند محمد المهدي المجذوب يحث على الثورة وأخذ الثأر من المستعمر يقول[4]:-

---

[1] نار المجاذيب، ص146.

[2] نار المجاذيب ، ص 146.

[3] منابر ص ، 97.

[4] منابر، ص13.

ويانيل انشر كل أفق طويته وثديك أهـرام حوى البعث مفعم
فهات وزيِّن كل ثائر محفل بألوانه للـموت عيد غشمشم

يـذكر محمـد المهـدي المجـذوب أنَّـه تعلـم مـن أمـواج النيـل القـدرة علـى الثـورة والصمود فهي ترفض الذل وتثور في ساعة الفيضان محطمة قيود الشواطئ والضفاف، وعندما تثور لا يستطيع أحد أن يقف حائلاً بينها وبين ثورتها ، يقول[1]:-

علـى النيـل أمـواج تعلمـت بينهـا عـراك الأمـاني أو قـراع الكتائـب
نـدرك حـق الشـعب مـا دام باقـيا ولـو كـان هـذا الحـق عنـد الكواكـب

ويقول[2]:-

يـا مـانعي والنيـل خلـف رصاصـة والمـاء يبصـر مـا يريـد وأبصـر
أ تخالني أخشى القيود أما تـرى نيـلا بقيدي ماؤه يتعسر

ويقول[3]:-

أيها النيل تدفق واجترف صنماً قومي أتوه حاشرين
رقد النصل فلما رحته جمحت فيه الأماني والمنون

ويطلب محمد المهدي المجذوب الثبات والصمود لشباب النيل شماله وجنوبه يقول[4]:-

ثباتاً شباب النيل فالمجد طارفاً بكم فوق شط النيل يزهى ويسمق

لم يفت على محمد المهدي المجذوب تصوير النيل في زمن الاستعمار ، كيف لا وهو الشاعر الوطني الثائر الذي عبأ الشعب للثورة ، وفضح مزاعم الاستعمار يقول محمد المهدي المجذوب مستنكراً خضوع النيل وخدمته للفجار المستعمرين[5]:-

أتطلب حقاً من عدو مظفر وتطلب عدلاً عند قاض مكابر
يدور عليه النيل فالنيل خادم بجنتيه يسقي هوى كل فاجر

ويقول مخاطباً شباب النيل لكي يقيلوه من عثرته وهوانه[6]:-

شباب النيل كيف سقى فأمسى تفيض به الكآبة لا السحابا

---

(1) منابر ص 132.
(2) منابر ص ، 162.
(3) منابر ، ص 51.
(4) منابر، ص170.
(5) منابر ص ، 76.
(6) منابر ص 21

يساقط موجه يبساً وريحا بوادي التيه ليس له إيابا
أعيدوا شطه النائي وردوا سواقيه يدور بها الشرابا

ويقول[1] :-

النيل خاب وكم تحير ماؤه يسقي العبيد بشاطئيه حلولا
نيل وما هو بالروي وأهله في الذل قد وردوا المدافع نيلا
مسخوا طبيعته فليس بمنبت إلا ليحصد لوعة وذبولا

عندما طالت فترة الاستعمار دبَّ في الشاعر اليأس من حالة الشعب ، فاختار الخيار الصعب ، وهو أن يتبرأ من النيل ولكن لحين وبشرط أن يترك الإثمار للدخيل يقول[2]:-

النيل أبرأ من جذور نخيله ما ظل يضحك للدخيل ويثمر

ويقول :-

بني وطني لم أرض بالنيل موطناً حمى أجنبياً جاحداً ونفاني
أقام به الكهان يسقون شعبه عصارة يأس في الشباب قضاني[3]

ويقول :-

بات في الصحراء والنيل سقي أجنبياً جعل السقيا جهاما[4]

ولم يجد الشاعر السقيا التي اعتادها عند شواطئ النيل لأنَّها أصبحت مسقى للمستعمر[5]:-

شواطئ النيل وعد لا أفارقه لم ألق حين وردت النيل مسقاها

النيل عند الشاعر محمد المهدي المجذوب رمز للوحدة والوئام فيقول في ذلك مستنكراً الفرقة والشتات على بني قومه[6]:-

النيل وحدنا فكيف أحالنا مزقاً ونحن على الضفاف سواء

ويقول[7]:-

---

(1) نار المجاذيب ص 189.
(2) منابر، ص161.
(3) نار المجاذيب، ص277.
(4) منابر، 617.
(5) منابر، ص35.
(6) منابر ص 28.
(7) منابر، ص24.

يســـقي الشـــمال مـــع الجنـــوب ســـحا بـــة نـــيلاً يعـــم ســـهوله ونجـــود

وفي ذلك يقول محمد المهدي المجذوب يدعو شعب النيل للثورة[1]:-

إلى السيف شعب النيل خوضوا بحده صدور المنايا وأحكموا في المصائر

دعوا السلم تذهب مزقة بعد مزقة فما السلم إلا في لهيب المجاذر

النيل الذي دنست حرمته جحافل المستعمر ، وسكن شطآنه شذاذ الآفاق ، ليس هو النيل الذي لا تفني عزيمته الجلاميد، فالشاعر هنا ينكر على النيل وشعبه الاستسلام للدخيل الأجنبي ويحرض على الثورة واقتلاع الطغاة ، حتى تعود للنيل نضارته وتتداح أمواجه جذلى على الضفاف الخضراء ، وأبدع الشاعر وهو يصور النيل ويشخصه ويخاطبه ويبيِّن علته ثم يستخدم الاستفهام الإنكاري التعجبي وكأنه يستحث النيل على مخاطبته والنيل صامت عاجز حائر لا يجد جواباً.

عندما بدأت فكرة الوحدة بين السودان ومصر ، تلقفها الشعراء السودانيون بشغف كبير ، ونظموها شعراً كيف لا ومصر هي وطن الرجال والأبطال ، رائدة الشرف في الفداء والتضحية، مصر ذات الأمجاد التي سطرها الزمان بأحرف من نور في سفر الخلود وهي تفتأ تجود على السودان بالعطاء والسخاء فكراً وثقافة وعلماً يقول أحمد محمد صالح[2]:-

مصر وما مصر سوى وطن القساورة الأسود

وزعيمة الشرف المفدى في الجهاد وفي الجهود

على جنوب النيل كم فاضت أياديها تجود

يرى الشاعر عبد القادر تلودي أن مصر والسودان شعب واحد بقوله[3]:-

نحن أبناء ضفتيه وإنا والذي علَّم الهوى عشاقك

غرستنا على الثري لك أيد ورعتنا مدى المدى أحداقك

النيل رمز للمهابة والخشوع ، وقال قدماء المصريين أنه ينبع من النهر السماوي المحيط بالعالم عند انعطافه ناحية الجنوب ، حيث ينزل في مسقط مياه عظيم وقد شاعت هذه الأسطورة في بعض المؤلفات الغريبة ، وضمن محمد المهدي المجذوب هذه الأسطورة في شعره يقول[4]:-

---

[1] منابر، ص189.
[2] مع الأحرار ، أحمد محمد صالح، ص19.
[3] صحيفة القلم، ص13.
[4] منابر، ص33.

النيل في السودان أسطورة قائمة الآثار في الحاضر

نقش على التأريخ مستنقع أصداؤه تهذي مع الغابر

ويقول محمد المهدي المجذوب في ذلك[1]:-

أأنت يا نيل من الخلود تمطر تسكاباً على البعيد

ترقص في محفل القرود تطوف حول الحجر المعبود

ووقف بعض الشعراء السودانيين على تقديس النيل مثل التجاني يوسف بشير صاحب لوحة محراب النيل ، وهذا العنوان له نكهة خاصة فهو يعيش في نوع من حياة الرهبانية والألوهية يقول [2]:-

أنت يا نيل يا سليل الفراديس نبيل موفق في مسابك

حضنتك الأملاك في جنة الخلد ورفت على وضئ عبابك

والتجاني ينقلنا في هذه الأبيات إلى عالم الروحانيات بعيداً عن عالم الروح والجسد ويسبغ على النيل قدسية تسيطر على عواطفنا وعقائدنا.

ويشاركه الطيب محمد على بقوله[3]:-

يا نيل قد عشقتك خاشعا وأطلت فيك عبادة الرحمن

أنت الذي ألهمتني معنى الهدى برد اليقين فزدت في إيماني

وهكذا نجد أنَّ شاعرنا محمد المهدي المجذوب ، قد نجح في أن يخط لنا صورة شعرية وطنية تثير الحب والحماس في النفوس ، وتجعلها تتعلق بأرضها التي تنعم بالجمال والحسن ، وأن تضحي من أجلها وفي سبيلها ، فمحمد المهدي المجذوب ينفث السحر في النفوس بكلماته وتعابيره وصوفيته ، فهو يأخذنا بعيداً من عالمنا الأرضي ويهرب بنا إلى عالم قدسي ، ويفعل ذلك بقوة مارد ، ونفثة ساحرٍ ، يعرف كيف يسيطر بالرقي على نفوسنا.

---

[1] منابر، ص245.

[2] إشراقة – التجاني يوسف بشير- بيروت – دار الثقافة ص 19.

[3] صحيفة القلم، حسن نجيلة، ص114

المبحث الثامن

الشعوبية والواقعية في شعر محمد المهدي المجذوب

الواقعية مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر استجابة لحركة البحث عن مذاهب تستوعب التيارات الفكرية الناشئة من التصادم بين الفكر والأمة ، ومن سيادة الرومانسية باتجاهاتها المختلفة ، مما أدى إلى تجمع هذه الحركات الفكرية الأدبية تحت شعار الواقعية. غير أنَّ هذا المصطلح أطلق على اتجاهات ومدارس أدبية مختلفة ومتباينة غير أن الواقعية الاشتراكية كانت أكثر الواقعيات تأثيراً وفعالية في ميدان الأدب لارتباطها بالنظرية الماركسية[1].

ويقول عثمان عبد الله عجيمي متحدثاً عن فترة الحركة الوطنية ذاكراً بروز مذهب الواقعية في الشعر السوداني ورواد هذا المذهب، موضحاً أنَّ شاعرنا محمد المهدي المجذوب رائد الواقعية الاشتراكية التي تذكر الكادحين وأصحاب الحرف الهامشية: (لقد كان الشعر في هذه الفترة أكثر التصاقاً بالواقع، غير أنَّ تصنيفه أرهق النقاد والمؤرخين للأدب، فنقبوا في الشعر بحثاً عن الواقع الذي يرث الرومانسية خاصة أنَّ الواقع المقصود هو الواقعية الاشتراكية في هذا القرن، فلذا عندما ظهر جعفر حامد البشير اعتبر حلقة وصل بين الرومانسية والواقعية الاشتراكية، وأُضيف إليه شاعر الواقعية في السودان محمد المهدي المجذوب، الذي مثَّل الواقعية التي أفرزت من ضمن تعبيراتها الواقعية الاشتراكية إنجازات للطبقة الكادحة وأشادت بنضالها وكفاحها)[2] .

اهتم الشعراء بتصوير طبقات المجتمع والصراع بينها، خاصة صراع الطبقات الفقيرة الكادحة من أجل لقمة العيش، حتى صار في فترة أنَّ الشاعر إذا لم يذكر في شعره كلمات الكادحين والعرق والجماهير والأرض، يعدُّ شاعراً رجعياً لم يساير مواكب الزمن ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنَّ الدعوة امتدت واتسعت وأصبحت تهتم بنوع جديد من الأدب سموه (أدب الشعب)[3] .

---

[1] الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب، د. عثمان الحاج كنة، ص212.

[2] مجلة الثقافة السودانية ، السنة الخامسة ، العدد الثامن عشر مايو 1981 ، ص 42

[3] النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال، ط١ ، ص140.

يقول الأستاذ أحمد أبو سعد* في كتابه الشعر والشعراء في السودان عن الواقعية: (الواقعية كلمة استعملت أول ما استعملت في فرنسا لتدل على الأدب الذي يتجه إلى الواقع فينقله بصورته بدل أن يجفوه ويعتزله مثلما فعل الرومانطيقيون، وكما أسرف الرومانطيقيون في طيرانهم إلى عالم الرؤى والأحلام، فقد أسرف الواقعيون في تصوير الجانب البشع والقبيح في الحياة الواقعية)[1].

هنا أظهر أبو سعد الجانب المظلم المتشائم في الواقعية وهو تصوير الجانب البشع فقط، ولكن الواقعية تصور الأدب الواقعي الذي يتناول قبح الحياة ومسراتها.

أيضاً يرى الباحث أنَّ بداية محمد المهدي المجذوب الرومانطيقية ثم اتجاهه إلى الواقعية، مرده إلى أنَّ الشاعر بدأ متفائلا بالحياة قبل أن يحبط من الاستعمار وسياسة الأحزاب فتحول إلى تصوير الواقع المظلم الذي عاشه السودانيون في فترة الشاعر.

يقول علي جابر المنصور مصوراً سمات المذهب الواقعي (ظهر من شعر هذا الاتجاه ألوان الشعر الجديد أو الشعر الحر الذي يتحرر من القافية والوزن والصياغة الجيدة واللغة الرفيعة، كذلك اتجه هذا الشعر في موضوعاته إلى ألوان غريبة لم تكن موجودة من قبل في آدابنا تتناول الجوانب الكامنة في حياتنا، ويتعرض إلى بعض النماذج الشاذة شذوذاً صارخاً في المجتمع وتحاول أن تفرضه في صورة مجسمة بارزة المعالم)[2].

ويواصل محمد مندور في هذا الاتجاه قائلاً: (والواقعية قد اهتمت بحياة الإنسان من أحداثٍ وشخصيات ، وبيئات مشيرة إلى أدق التفصيلات المستمدة من الواقع ، والواقعيون يرون أنَّ الشعر مرآة للطبيعة في صورة منتخبة منتقاة ، ووصلوا من هذه إلى فكرة إلقائية ، كما صورت المجتمع كما هو بروح موضوعية تتميز بالصراحة في التعبير وعرض الحقائق ، بأسلوب عذب متحرر من التقاليد الموروثة القديمة وهي ترى الأدب تعبيراً عن واقع وتجربة)[3].

---

* الأستاذ أحمد أبو سعد، أديب سوداني، مهتم بجمع الشعر السوداني، صدر له كتاب شعراء السودان، وهو سجل يوثق للشعر السوداني من العام 1900 إلى 1958.

(1) الشعر والشعراء في السودان، أحمد أبو سعد، ص24.

(2) النقد الأدبي، علي جابر المنصور، ط1، عمان، دار حجار، 2000م، ص151.

(3) في الأدب والنقد، محمد مندور، ص409.

يقول د.عبده بدوي: (إذا تحدثنا عن الواقعية والشعوبية في السودان، لزاماً علينا أن نقول إنَّ ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية قد أعانت على أحداث تغيير في الخط الفكري الذي يسير عليه الأدب، وأهم تلك الظروف إحساس الجماهير إلى نوع جديد من الحياة بعد معايشتها لأهوال الحرب التي اكتوت بها كل الشعوب سواءً كانت محاربة أو غير محاربة، وبدأت ثمرات الفكر الاشتراكي تدخل لأول مرة المجتمع السوداني، وبدأ السودان يعرف عن طريق الثقافة المصرية، وثقافات البلاد العربية الأخرى الفيض الزاخر من المذاهب الأدبية المختلفة التي كانت تموج بها الحياة الأدبية بعد ذبول أنهار الرومانتيكية. وتجاوز السودان مرحلة الوطن العاطفي إلى مرحلة الوطن الواقعي، وقام البعض بهجوم مكثف على الأدب التقليدي، وسخروا من التماوت الرومانسي، ولقد كانوا في هذا واقعيين مع أنفسهم، فكان الوطن ممزقاً والسياسيون يلعبون بمصائر الناس، والأدباء إما راضون عن الواقع أو هاربون منه)[1].

(أما الواقعية بمعناها الحديث، فهي لا تنقل الواقع نقلا حرفياً، وإنَّما تصطفي منه النماذج وتختار الشخصيات، فتكتسب بذلك قدرة جديدة على تباشير الواقع الأصلي والتفاعل معه، وتفجير طاقاته الكامنة وتمنح الإنسان التحرر من أغلال الواقع وتشعره بأنَّه سيد هذا الواقع، فيصف الناس البسطاء يعيشون ويعملون وينتجون) [2].

قوي اتجاه الواقعية في بلادنا وظهر له أتباع ومريدون واستجاب له الشعراء المقيمون بالسودان منهم جعفر حامد البشير ، وصلاح أحمد إبراهيم ، وعبد العزيز صفوت ، ومبارك حسن خليفة ، والمغتربون في مصر أمثال تاج السر الحسن ، وجيلي عبد الرحمن ، ومحي الدين فارس ، ومحمد مفتاح الفيتوري ، على تفاوت في الصياغة والتجديد واختلاف في الجودة بين شاعر وشاعر) [3].

ويرى الباحث أنَّ الأستاذ أحمد أبو سعد في حديثه عن شعراء الواقعية في السودان أهمل محمد المهدي المجذوب رائد الواقعية في السودان، صاحب النماذج الكثيرة في الشعر الواقعي، الملتزم جانب الشعب حتى لقب بالشعبي من كثرة تطرقه لقضايا

---

[1] الشعر الحديث في السودان، د. عبده بدوي، ص192.
[2] الشعر والشعراء، أحمد أبو سعد، ص24.

[3] الشعر والشعراء، أحمد أبو سعد، ص25.

شعبه، ويرجِّع الباحث سبب إهمال الأستاذ أحمد سعد لمحمد المهدي المجذوب أنَّ كتابه هذا يرجع تأليفه للعام 1959م وهي فترة لم يتكامل فيها شعر محمد المهدي المجذوب بعد.

تميَّز المذهب الواقعي في الأدب السوداني بالدعوة إلى التخلي عن الذاتية وإحلال الخلق الأدبي محلها ، كما دعت الشعراء إلى ملاحظة صور الأشياء الخارجة عن نطاق الذات ، واختيار مادة تجاربهم من مشكلات عصرهم الاجتماعية ، وكذلك عدم المبالغة في العناية بالشكل فهو في رأيهم وسيلة لا غاية[1].

من الذين تناولوا الواقعية في الأدب السوداني الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين بقوله: (لقد عبَّر الشعراء على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم عن طريقتين متقاطعتين من الشعور: أحدهما ثورة ناقمة قلقة، والأخرى متنفس ذاتي يلتمس الراحة والسلوى، وينشد القرار. والشعر الواقعي شعر يردد بين مجلسين للشعور، يطلع على مشهد المجتمع فتظل مشاعر القلق والسخط، فلا يلبث أن يشيح بوجهه باحثاً عن متنفس يروح به عن نفسه، ويجد فيه أساس الأمن والسكينة، وهو شعر يعبر عن شعور الناس بعد الحرب العالمية الثانية. والذي يرى التزام الواقعية المتفائلة أنَّ شعر هذا الجيل قد وجد متنفساً في هذا الاسترواح العابر المؤقت الذي يلجأ إليه الشاعر كلما حزبه الواقع وضاق ذرعاً بوطأته، في حين وجد الشعر الواقعي المتفائل متنفسه في تفاؤله بالمستقبل والتزامه ذلك في أثر الفن وإيمانه بحتمية انتصار الإنسان على عوامل القلق والتفكك)[2].

يرى الباحث أنَّ كلام د. عبد المجيد عابدين عن الواقعية، جاء مطابقاً تماماً لحالة محمد المهدي المجذوب في قلقه وضجره وإحباطه من الواقع المرير في مرحلتي قبل الاستقلال وبعده، وحقاً كان يهرب من إحباطه في بني وطنه إلى الخمر وإلى أسرته وأصدقائه مثل الأستاذ علي أبو سن.

يقول د.عبده بدوي [3]: (ونحن إذ نتحدث عن المذهب الواقعي في الأدب السوداني، لابد أن نضم لهذا المذهب الشاعر محمد المهدي المجذوب، الذي ظهر في فترة الثلاثينات باعتباره شاعراً متردداً بين الرومانتيكية بكل مقوماتها، والواقعية بكل

---

[1] تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، محمد مصطفي ، ص 232.
[2] في الشعر السوداني ، د. عبد المجيد عابدين ، الدار السودانية للكتب ، ص 43.
[3] الشعر الحديث في السودان، د. عبده بدوي، ص 270.

اتجاهاتها، وهو الذي يصدقنا القول حين تكلم عن مذهبه الشعري بقوله: (ليس لي مذهب شعري وقد حاولت التعبير عن نفسي بصدق)[1].

عرف محمد المهدي المجذوب كيف يمد ظله على كل التيارات ولكنه أدام الوقوف على المذهب الواقعي الشعبي ومن كثرة اهتمامه بقضايا شعبه سمي بالشعبي، ونلاحظ أن محمد المهدي المجذوب عالج قضايا شعبه بعدة أشكال ومحاور شكلت المذهب الواقعي عنده، ومن أهم هذه المحاور :-

أولاً: الفقر :-

يقول محمد المهدي المجذوب عن ملازمته للفقراء والمساكين

(ولقد أخذت كثيراً من مخالطة الناس، خصوصاً المساكين منهم، فلديهم صدق أخَّاذ نفعني وشفاني)[2] .

ويقول عبده بدوى في كتابه القيم (الشعر الحديث في السودان): (إنَّ محمد المهدي المجذوب تحدث عن الفقر لا من منظور تمجيد ولكن من منظور الضيق به)[3].

وحتى في لحظات الفرح والاحتفال بالمولد، لم ينس محمد المهدي المجذوب البؤساء والمحرومين من الأطفال الذين جاءوا إلى المولد عسى أن يجدوا فيه بعض ما حرموا منه فرجعوا بالحسرة والخذلان.

يقول[4] :-

لهفاتكم عصف البؤس بأطفال صغار
وردوا المولد بالشوق وعادوا بالغبار
ويح أمٍ حسبوها
لو أرادوا النجم جاءت بالدراري
ويحها تحمل سهد الليل في صحو النهار

تضامن محمد المهدي المجذوب مع شعبه ووصف نفسه بالفقير في قصائد كثيرة يقول[5] :-

---

(1) مقدمة ديوان نار المجاذيب، ص5.
(2) نار المجاذيب، ص2.
(3) الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي، ص 194.
(4) نار المجاذيب – ص 97.
(5) الشرافة والهجرة – ص 93.

هذا خيال فقير بين الشجون أسير

أوتار عود صداها منشر في ضميرى

ويقول أيضاً[1]:-

فقر لزيم وحب وأين مني الحبيب

لكل نفس نصيب أما لنفسي نصيب

ويقول[2] :-

مارست حظي طويلاً وما رضيت بيأسي

فقرى تبسم لما رأى بشاشة كأسى

يقول د.عبده بدوي: (أول ما يقابلنا من مظاهر الواقعية في شعر محمد المهدي المجذوب الفقر ، وقد تعمد محمد المهدي المجذوب في حديثه عن الفقر إلى تقديم حياة تسجيلية للحياة السودانية ، ولقب بالشعبي لالتزامه كثيراً من جوانب الشعب)[3].

مزج محمد المهدي المجذوب مزجاً رائعاً بين الطبيعة الحقيقية في بلاده وبين إحساسه بلوعة المساكين في وطنه ، فانعكست آلامهم في شعره بصورة قوية بل أنَّه يتجاوب مع هذا السجين الذي سخر في الأعمال الشاقة تكفيراً عما جنت يداه يقول في قصيدة بعنوان: (الخريف) [4]:-

رأيت السجين لدى شارع

يشق المجاري يمحو الحفر

وليس له قطرة من مطر

وليس له حفنة من تراب

ولكن لديه خريف العذاب

وصاح المساكين (وارحمتاه)

أغيثوا المساكين يا مسلمين

---

[1] الشرافة والهجرة، ص38.

[2] المرجع السابق – ص27.

[3] الشعر الحديث في السودان، د. عبده بدوي، ص123.

[4] نار المجاذيب، ص102.

يقول د.مصطفي هدارة: (تجاوبت نفس الشاعر مع الكثير من النماذج البشرية في مجتمعه من الطبقة العامة مثل: بائعة الفول ، وماسح الأحذية ، بل تحدث عن النشال بصورة إنسانية عميقة الإحساس ، فهو يراه إنساناً معذباً ضائعاً تسبب المجتمع بقسوته في انحرافه[1] ، ولهذا يدافع الشاعر عن هذا النشال باعتبار أنَّ المجتمع في المدينة تسبب في انحرافه) فهو قروي بسيط صدق ما قالته له العرافة[2]:-

أتكذب في الحي عرافة
عجوز ترى الخوافي العذبة
وكم من ولي من اللاحقين
دعاه إلى الشدة
فما خير الورع المستشار كثير اليقين

أيضاً نجد محمد المهدي المجذوب ينظم بعض القصائد التي تظهر فيها بعض الأبعاد الاجتماعية ، التي أفرزتها الحياة الاقتصادية أو السياسية ، فيقول في مطلع قصيدته شحاذ في الخرطوم[3].

وقف الشحاذ وفي يديه صرخة وقرعة وطمع منكسر
الأنفاس دموعه العمياء لم يسجلوا غناءها الجميل

وفي قصيدته بائعة الكسرة وهي من الصور التي أفرزتها الحياة الاجتماعية نتيجة للظروف الاقتصادية يقول[4]:-

لأنت أشرف من فكر بلا عمل أثرى وروج زيف العقل بالبدع
ملأت صحني كدحاً كم شقيت به وترقبين جميل الشكر من شبعي

ويتناول أيضاً صورة أخرى من صور المجتمع في قصيدته ماسح الأحذية فيقول[5]:-

ينفض الكدح عن حذائي في السو ق صبي أحلامه في تراب
يعبر الناس ضوء عينيه يتلـ ـو وخطوهم مثل قارئ في كتاب

---

(1) تيارات الشعر العربي الحديث، د. هدارة، ص395.
(2) نار المجاذيب، ص98.
(3) شحاذ في الخرطوم ، محمد المهدي ، ص 21.
(4) الشرافة والهجرة ، ص 148.
(5) الشراف والهجرة ، ص161.

ويقول د. محمد مصطفي هدارة معلقاً عن تصوير الفقر في شعر المجذوب: (هكذا يستمر الشاعر في حديثه عن الفقر ، ونراه في قصائد أخرى يرسم لوحات حية تتسم بالحيوية والحركة ، بلغ فيها الشاعر أقصى درجات المضاهاة للواقع الحي، واستعان بالصور الشعرية على تهيئة أقوى عناصر التأثير في النفس ، ومن هنا نراه لم ينقل الواقع كما هو فحسب ، بل أضاف إليه العوامل المؤثرة ، التي تهيئ الانفعال بالواقع)[1].

ثانياً: تصوير الحياة الريفية :-

نشأ محمد المهدي المجذوب في قرية سودانية على شاطئ النيل ، جعلته يحس بالبيئة الريفية على الفطرة ، ومن ثم صورها في شعره أصدق تصوير.

يقول واصفاً قريته مشتاقاً إليها بعد سفره منها للخرطوم[2] :-

آه من قريتي البريئة لا تعلم كم في مدينة الترك أعاني وأشقى
فندق لا جوار فيه ولا أرحام تنــهى ولا معارف تبقى
أشتهي الدلكة العميقة والكركار والقرمصيص ماج ورقا
وبعيني قوافل النخل والنيل حداها تجئ وسقـاً ووسقا
بردت جرتي وذا القرع المنقوش يسقي حلاوة النيل طلقا

ويقول معتزاً ومفتخراً بحياته فيها[3] :-

إني من الدامر السمحاء دوخني هـذا الترام حماراً غير مأمون
فيه ارتدفنا وقوفاً ثم جمدنا ذاك التــأله من سواقه الدون
من لي بكسرة خالاتي وما يبست فيها القواديس في أحجار طاحون

وحتى عندما تمرد عليها بعد ذهابه للجنوب وانفتاحه على هذا المجتمع وتأثره به لم ينسها ولم ينس جدوده أصحاب القيم والمثل يقول[4] :-

ويا دامر المجذوب لو بت مفصحاً لأسلمني من بات عني بجلد
عبدناك صبياناً فلما تفتحت تمائمنا جارت علينا المعابد
ولولا قبور تحيا في سوالف من العيش ما باتت لديك الوسائد
أغض بأجفاني حياء وذلـة ولكنني في شرع ناديك مارد

---

[1] تيارات الشعر العربي في السودان، د. هدارة، ص361.
[2]- الشرافة والهجرة ، ص 177
[3]- الشرافة والهجرة ، ص 95
[4]- الشرافة والهجرة ، ص 178

محمد المهدي المجذوب من خلال شعره كان لصيقاً ، بمجتمعه يعيش واقعه بكل أحاسيسه ، فكان شعره صورة صادقة لهذا المجتمع.

يقول قاسم محمد نور: (نلاحظ عن الشاعر الاهتمام بتصوير الحياة الريفية الشعبية السودانية ، فالشاعر لقب بالشعبي لالتزامه جانب الشعب في كتاباته المبكرة في الجرائد ، وكان يوقع عليها بهذا الاسم المستعار الشعبي)[1].

من الأشياء التي تمثل اهتمام الشاعر بالحياة الشعبية بروز اللغة العامية في شعره، ورغم ثقافاته الغربية الثرة لم يجرفه تيار الرجعة إلى الماضي بما فيه من زخرف لفظي وبما فيه من معاني تقليدية، بل نجد عنده التعبير الشعبي بكل سذاجته وبساطته، فقد أفلح بهذه الطريقة أن يلفت النظر إلى ما يسموه اصطلاحاً الشعر السوداني، الذي يحمل خصائص الحياة السودانية بعاداتها وتقاليدها. وتظهر هذه الملامح الحقيقية في عدة قصائد منها: غمائم الطلح التي يقول فيها[2] :-

وحفرة بدخان الطلح فاغمة تندي الروادف تلويناً وتعطيراً
لمحت فيه وما أمعنت عارية تخفي وتظهر مثل النجم مذعورا
مدت بناناً به الحناء يانعة ترد ثوباً إلى النهدين محسورا
قد لفها العطر لف الغيم منتشرا بدر الدجى وروى عن نورها نورا
يزيد صفرتها لمعاً وجدتها ثقلاً وناهدها المشدود تدويرا

يرى الباحث أنَّ هذه القصيدة تصور لمحة في حياة المرأة السودانية الحالمة الجالسة لتتعطر بدخان الطلح تجميلاً لنفسها ، وصحة لها فالشاعر يصور أدق التفاصيل دون حياء وبجرأة يحسده عليها الآخرون.

يقول الأستاذ عبد الهادي الصديق معلقاً على هذه القصيدة: (تدل هذه القصيدة على الصدق في التعبير بهذه الواقعية، وقد كان محمد المهدي المجذوب أول من ارتاد هذا الأفق من الواقعية التي تهتم بتفاصيل الحياة السودانية الدقيقة) [3].

---

[1] دراسة بيلومترية عن المجذوب، قاسم محمد نور، ص25.
[2] نار المجاذيب، ص200.
[3] أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، ص25.

اهتم محمد المهدي المجذوب بتصوير الحياة الريفية ، ورسم معالمها في حالتي السكون والحركة ، ولم تغب هذه الحياة عن شعره، ومن القصائد الشعبية التي وجدت رواجاً عند الخاصة والعامة قصيدته (المولد) التي صاغها في العام 1957م[1].

صلي يارب علـى المدثر
وتجاوز عـن ذنـوبي
وأعنــي يا إلهــي
بمتــاب أكبــر
فزماني ولـغ بالمــنكر
ليلة المولد يا سر الليالي والجمال
وربيعاً فتن الأنفس بالسحر الحلال

يقول الدكتور الصديق عمر الصديق معلقاً على هذه القصيدة: (تعد قصيدة المولد للشاعر الكبير محمد المهدي المجذوب أشهر قصائده قاطبة ، على غزارة شعره وتطاول أنفاسه في القصيدة الواحدة ، وهي بهذا تعد القصيدة الشعبية للمجذوب، وكان حريصاً على هذه الشعبية حتى جعل ختمه الشعبي ، والصور الشعبية هي أسطع ألسنة نار المجاذيب) [2].

يعلق عليها ابنه عوض الكريم قائلاً: (القصيدة وهج من الجمال ونسيج مشرب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، تحيلك إلى روحانيات وتهجد وتأمل، وراءها عمق على مستوى الصورة والخيال والحضارة والوصف الدقيق ، لبيئة التصوف وهي عناقيد ومقاطع لمفردات من سلاسة الندرة لا تشيخ ولا تفنى)[3].

يقول الأستاذ عبد المنعم أبو إدريس[4]: (أنا اعتقد أنَّ محمد المهدي المجذوب أحد الذين عبروا عن سؤال في شعرهم، وذلك يتجسد في التعبيرات السودانية مثل قوله واجترع المريسة، لأنَّ عبارة اجترع هذه لن نجدها في أي لغة غير السودانية، وفي مجال التعبير العامي قلما نجد له قصيدة خالية من التعبيرات والمصطلحات والكلمات السودانية

---

(1) نار المجاذيب، ص87.
(2) آخر لحظة (صحيفة)، د. الصديق عمر الصديق، 2007/3/23م، السنة الأولى، العدد 235، ص5.
(3) جامعة الخرطوم، مكتبة السودان، مقابلة شخصية، 2007م.
(4) الصحافة، الأستاذ عبد المنعم أبو إدريس، العدد 4202، 2005/2/5م، ص6.

الصرفة، ففي قصيدة أمطار الجنوب نجد الكجور وهو من الأساطير في جنوب السودان يقول[1]:-

وحيرنـــي الكجـــور لـــه ادعـــاء كمـــا يـــدلي بحجتـــه العلـــيم

عمد محمد المهدي المجذوب إلى تقديم جوانب تسجيلية للحياة في الريف، والاهتمام بتفاصيل الحياة المشتركة بين الناس ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، ومناسباتهم واعتقاداتهم ، ويمكننا أن نقف على ذلك من خلال قصائده (كلب وقرية) قرية قمراء ، المولد ، عيد الفداء.

في قصيدته(كلب وقرية) جمع محمد المهدي المجذوب فيها العديد من الصور في أسلوب قصصي ، مفتاح القصيدة كلب رباه الفحل أبو السرة على الكسرة ، ولكنه انتهى إلى السعر ، وخرج ضالاً ، وحاول الشيخ قتله فعضه ، وأرسل فيه داء السعر ، مات الكلب وبقي العواء عند الشيخ وإلى هنا القصة عادية لا تثير انتباهاً ، ولكنك إذا تمعنت في الصور التي جاءت داخل هذا الإطار لرأيت قرية سودانية حية ولعشت معها لحظات لا تنسى[2].

يقول عنها عبد الهادي الصديق: (أما في جانب التعبير الشعبي فتعتبر من اللوحات، التي فيها مزج بين العامية والفصحى إلى درجة استعمال لغة الحديث العادي في التركيب ، الشعبي في الحوار الذي أملاه عليه الموقف الدرامي)[3].

ويقول عنها هدارة[4]: (القصيدة تعتبر من لوحات محمد المهدي المجذوب الشعبية التي يرسمها للريف السوداني، وما تدور فيه من أفكار، وما يعيش عليه من قيم، يخلطها في براعة بلمسة إنسانية تتحدث عن حياة كلب، وهو يختار لقصيدته موسيقى شعرية سريعة الحركة تصلح للإنشاد والترنم، كما أعطى الشاعر نفسه قدراً كبيراً في الحرية في الوزن والقافية على السواء). يقول محمد المهدي المجذوب [5]:-

وعيون الطفل بها ماس تتألف فيه الأنفاس

ويصر أبوهم حاجبه ويقول لهم ذا جرقاس

---

[1] نار المجاذيب ، ص 21.
[2] في الأدب السوداني المعاصر، د. حسن أبشر الطيب، ص 25.
[3] أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، ص153.
[4] تيارات الشعر العربي المعاصر، هدارة ، ص 361.
[5] نار المجاذيب ، ص 36.

ويصيح الطفل وقد علم جرقاس الفارس جرقاس

يقول مصوراً فرحاً في إحدى القرى السودانية[1]:-

ويهيج بالفتيان (شبال) وإلى حنين عبيره مالوا

والسوط ياكل ظهر مبتدر وجراحه وجد وتسآل

وتعارضوا كل بعكاز يهوي به ويطير كالبازي

طمبورهم في الليل ذو رهج كالفيل هاج صهيلها غاز

في قصيدته عيد الفداء يصوِّر لنا محمد المهدي المجذوب العيد في القرية، واحتفال الناس ، به فنراهم يسرعون إلى الصلاة ويرتدون الملابس البيضاء يهنئون بعضهم بعضا يقبلون يد الإمام ويتعاطفون ويفرحون في محبة صدق.

وبعد الصلاة يهرعون لزيارة موتاهم تعاطفاً ورحمة ومن خلال هذا يمكن القول إنَّ العلاقات الإنسانية الأصيلة في الحياة الريفية بين الناس ، لا يفصلها حتى الموت[2]:-

ومبكرين مع الصباح كأنهم لبسوه بين ربوعهم أزياء

يتسابقون إلى الصلاة كأنها ورد وقد عجلوا له ظمأ

جمعتهم شتى على محرابها كالأم تجمع حولها الأبناء

ويسلمون وللقلوب تصافح وتجاوز عمن هفا وأساء

ثم يقف محمد المهدي المجذوب على أهم سمة من سمات القرية السودانية وهو ليالي المديح والذكر يقول[3]:-

وأذن المؤذن للعشاء وصوته يسري بلا انتهاء

وصوت الطار له نداء من ورع صافٍ ومن غناء

ألحانه ترقص في الفضاء عاشق تعرفها السماء

يبدع محمد المهدي المجذوب مصوراً ليالي الزواج في القرى ومن خلال هذه الليالي تظهر لنا عادات وتقاليد أهل القرية فتختلط الدلوكة والشتم ورقص الفتاة والبخور والشبال وضرب السوط يقول[4]:-

---

(1) المرجع السابق، ص 75.
(2) المرجع السابق، ص43.
(3) المرجع السابق ، ص 33.
(4) نار المجاذيب، ص74.

دلوكـــة فـــي الليـــل ترتعـــد بكمـــت وأرســـلت شـــجوها الكمـــد
ويقـــص مـــن آهاتهـــا الشتـــم شحـــج الـــرنين يكـــاد ينفصـــم
ومـــن البخـــور علـــت حويـــات فـــي أعيـــني مـــنهن آهـــات
رقصـــت مـــع الأحـــلام عـــذراء وبرقصـــها للحـــب أبنـــاء

هكذا تتضح لنا معاني الواقعية في شعر المجذوب، فهو شاعر يرى صورة الأشياء على حقيقتها ثم يصورها في شعره أصدق تصوير، فلا يجد القارئ صعوبة في فهم معناه فهو يصور الواقع المعيش من حوله غير جانح في صور الخيال، ويعتمد في تصويره وتعبيره على الأدوات المحلية مم يسهل على القارئ فهم المعاني.

المبحث التاسع

العروبة وإفريقيا في شعر محمد المهدي المجذوب

أولا: العروبة :-

اهتم محمد المهدى المجذوب بالعروبة وافريقيا ، بإعتبارهما البعد الكبير للوطن العربى والإفريقى .

خضعت الدول العربية في القرن الماضي للاستعمار الأوربي، ولم تسلم منه إلا المملكة العربية السعودية، ونشطت حركات التحرر في جميع البلدان العربية واستخدمت كافة الوسائل لطرد الاستعمار، وتلاقت أفكار من الحركات فيما بينها، وتعاونت جميعها واتفقت كلمتها، وكانت لغة الشعر حاضرة تجسد وحدة المصير وتلهب الحماس وتثير النخوة.

اهتم الشعراء السودانيون بالعروبة ، ودعوا لها فى شعرهم ، ولم يجعلوا استقلال وطنهم الصغير هدفهم الأوحد، بل مدوا أبصارهم بشموخ الوطن العربي الكبير يحدوهم شوق دفين لإحياء جهاد هذه الأمة وإعادة أمجادها الغابرة.

ورد في صحيفة النيل ما يلي[1]: (لم تغب الدعوة للوحدة الإسلامية في السودان وظل الشعراء يدعون لها باستمرار ، والشاعر عبد الله عشري صديق من أوائل الذين دعوا إلى القومية العربية ، وبشروا بها في نهاية الثلاثينيات ، وقد كان السودان مهيأ لقبول هذه الدعوة) .

قدَّم الباحث بعضاً من النماذج الشعرية عن شعر المناسبات الدينية في جانب آخر من جوانب هذا البحث، وفيه تطرق للشعراء الذين تحدثوا عن ماضي الإسلام وذكروا الحضارة الإسلامية القديمة التي توسعت في معظم بقاع الدنيا، وقيلت هذه النماذج في بداية عهد الاستعمار الثنائي، وفيها إحباط لما حل بالدول العربية والإسلامية من فرقة وشتات.

ويعلق الدكتور النويهي عن وجود الأثر الديني والثقافة العربية في الشعر السوداني بقوله[2]: (إنَّ هذا الأثر الديني الإسلامي والثقافة العربية سيظل ملازما لحركتنا

---

[1] صحيفة النيل – العدد 23 / 2 / 1935

[2] الاتجاهات الشعرية في السودان– الدكتور محمد النويهي – مطبعة مصر – ص 60.

الفكرية ما بقيت هذه البلاد لأنَّه أصل أصيل في البيئة السودانية وهو التراث الذي تشبعت به تلك البيئة وظهر في المجتمع السوداني قويا وواضحا في حياة الناس).

يعلل صلاح الدين المليك لظهور الأثر الديني الإسلامي بقوله[1]:-

(والسودان في واقع الأمر ينتمي إلى بيئتين: جغرافية هي أفريقيا ودينية ثقافية هي العالم العربي الإسلامي فظهور التراث العربي الإسلامي في شعر الشعراء إذن أمر طبيعي) .

ولكن الشعر الوطني العربي الذي قيل في عهد محمد المهدي المجذوب لم يكن مفهومه إسلامياً فقط ، من الشعراء الذين تطرقوا له ، بل حمل أفكاراً تحررية تتفق مع المفهوم الإسلامي في طرد المستعمر ، ولكنها تختلف معه في الوسائل.

يقول الأستاذ/ محمد مصطفي هدارة[2]: (غنى محمد المهدي المجذوب لحرية بلاده بعد أن انزاح عنها كابوس الاستعمار وتخلصت تماماً من مضاره، ولم يلتزم محمد المهدي المجذوب بقضية وطنه فحسب، ولكنه التزم بقضايا وطنه العربي الكبير أيضاً، فكان يتصل بأحداثه اتصالاً قائماً على الإحساس بالواقع الذي يربط مصير وطنه بمصير العالم العربي كله، فهو يتصل بالثورة المصرية عام 1952م، وكتب أكثر من قصيدة عند حدوث العدواني الثلاثي على مصر سنة 1956م، واهتز لأحداث فلسطين سنة 1948م، وأحداث المغرب العربي سنة 1951م، وثورة العراق سنة 1958م).

ويقول د. حسن أبشر الطيب عن العروبة في شعر المجذوب[3]: (وعلى الصعيد العالمي تجاوب محمد المهدي المجذوب مع جميع قضايا الإنسانية وشغلته قضية العروبة، وأبكاه الجرح الدامي في فلسطين، وتعاطف مع العرب تتجلى بصورة واضحة في قصائده (نموت وتحيا مصر ، بغداد ، الكتائب ، خواطر عربية ، فلسطين وهو كغيره في تناول القضايا العربية يدعو للوحدة والتذكير بماضي العرب).

يتناول الباحث نماذج من شعر محمد المهدي المجذوب في القضايا العربية، ويبدأ بمصر لكثرة ورودها في شعر محمد المهدي المجذوب مقارنة بالبلدان العربية الأخرى.

---

(1) شعراء الوطنية – صلاح المليك – ص 279.
(2) تيارات الشعر العربي في السودان– محمد مصطفي هدارة – ص 349.
(3) في الأدب السوداني المعاصر ، حسن ابشر الطيب – ص 27.

يحيي الشاعر مصر ويضفي عليها الشكر والثناء ويبادلها وداً بود والنيل يروي أرضها فتنبت أدباً وشعراً وفناً وتراثاً، ويشير إلى أنَّ مصر في حدقات عيونه يفديها بالغالي والنفيس، ويرد على من كفر بأنعمها وأياديها الطولى والبيضاء التي تسديها لأمة العرب، فهي في نظره درع العروبة وحامي حماها، ترفع المصاحف وتدافع عن الحق صبرت على الأذى، والحرب كر وفر، يقول في قصيدته خواطر عربية[1] :-

مصر التي أحببت أفيض لها شكري وأحبوها بما تهب
النيل منها لا يـدوم بـه كالزرع إلا الفن والأدب
مصر افديها بمن كفـروا نعماءها بقيت وقد ذهبوا
أخرجت إلى الأعداء مصحفها بيمينها والحق والغضب
صبرت وما صبروا وأعجزهم أن يغلبوا فلأهلها الغلب

سار محمد المهدي المجذوب في كتابة الشعر الوطني في مصر والعالم العربي على نهجه في كتابته لوطنه السودان.

عندما وقع الاعتداء الثلاثي من قبل فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على مصر سنة 1956م، ثار محمد المهدي المجذوب ولم تلهه فرحته باستقلال وطنه السودان في العام نفسه عن تضامنه مع مصر، فالسودان ومصر عند محمد المهدي المجذوب وطن واحد إذا مس الضر مصر يتأثر السودان بقوله[2]:-

قتال ولن نبالي القـتال فيا مرحبا بالوغى والنضال
عباب يجيش ضفاف الجنوب له موعد في عباب القتال
تدق فرنسا على بابـها وتزعق انجلترا الفاجرة
تسوق ادعاء بلا حجـة كما تدعي الشرف العاهرة
وهيهات أن تخضع القاهرة

عندما قامت ثورة عام 1952م وسقط الملك فاروق، شارك محمد المهدي المجذوب الشعب المصري فرحته وتعجب لعفوه عنه، ولم ينس محمد المهدي المجذوب

---

[1] نار المجاذيب – ص 213.
[2] نار المجاذيب – ص 65

أن أمثال فاروق كثيرون في السودان، فمحمد المهدي المجذوب لا ينسى قضية وطنه السودان حتى في حديثه عن الشعوب الأخرى، فيقول :-

يا شعب مصر وما عجبت لخلعه لكنني من جهله أتعجب [1]

وعفوت عنه بقدرة في حلمها نصر تروق به الحياة وتعذب

فاروق مثلك في بلادي آمن فحل الشرور من الدعارة منجب

خص الشاعر ثورة 1952م بشعر كثير في مصر، ويرى الباحث أنَّ هذا يعود للآتي:-

1-رآها محمد المهدي المجذوب سانحة للسودان كى يسير على هداها وينتزع استقلاله، لأنَّ السودان كان يتأثر بما يحدث في مصر.

2-لأنها قضت على الظلم والفساد الذي كان يكبل الشعب المصري، ومحمد المهدي المجذوب كان يكره الظلم أينما حل.

3-لأنها واكبت عددا من الثورات التحررية في العالم العربي، فمحمد المهدي المجذوب يربط ما يجري في مصر بما يجري في السودان، وكان من الذين يرون أنَّ مصر قائدة للدول العربية ومن ضمنها السودان، فيقول[2]:-

مصر يا مصر يا هواي وأنسي ويقيني مفكراً وكتابي

خلف رمال العتمور قومي يحيونك يستعجلون الوثاب

دمنا لا يضاع في ظلمة السجن ضياع الحباب في الأكواب

يرى الباحث أنَّ محمد المهدي المجذوب في تضامنه مع مصر كان مدفوعاً بغضبة وطنه السودان ، وكان يمدح مصر ويشيد بكفاح أبطالها ، ويدعو للوحدة معها، وكان على خلاف مع بعض حكامها الذين خالفوه الرأي ، ونلحظ هذه جيداً في مخاطبة الباشا الذي زار السودان سنة 1950م فأقام له حزب الأشقاء احتفالاً عظيماً فهاجم فيه الاستقلاليين. وهنا انبرى له محمد المهدي المجذوب رغماً أنَّ محمد المهدي المجذوب من دعاة الوحدة مع مصر، ولكنه استفزه دعوة الباشا وهجومه علي الاستقلاليين يقول[3]:-

---

[1] نار المجاذيب ، ص127.

[2] منابر – ص 41.

[3] منابر – ص 114.

هل جئت من مصر للسودان تخبرنا بما لجيشك في السودان من أثر
أتحسب الناس في الخرطوم دار بهم سيف الحكمدار والأيام لم تدر
هيهات ذلك عهد لا ارتجاع له فانظر أمامك واترك ذاهب العصر

يتواصل شعر محمد المهدي المجذوب الوطني لمصر في معظم دواوينه، خاصة ديوان منابر[1] يتألم لألمها ، ويفرح لفرحها ، ويصور معظم حوادثها التأريخية بأسلوب جذاب وكلمات رصينة، ولو تتبع الباحث كل شعره الوطني في مصر لأفرد بحثاً كاملاً في الحديث عنها ، ولكنه اختصر ليعطي لمحات عنها وينير الطريق للباحثين القادمين ليتوسعوا في هذا المجال. ويختم الباحث هذه الجزئية ببعض قول محمد المهدي المجذوب في عبد الناصر ساعة وفاته[2]:-

استغفر الله لم أكفر مشيئته لقد تحطم في أبصارنا القمر
بحر الجماهير أعماق ولؤلؤة خضراء نعشك في الأعماق ينتثر
أذوب في جزع الأطفال محترقاً وأستقيم على صبري وانكسر

من خلال دراسة الباحث لشعر محمد المهدي المجذوب الوطني عن مصر يتضح الآتي:-

1-كتب محمد المهدي المجذوب شعره في فترتين: الفترة الأولى قبل الاستقلال، والثانية بعد الاستقلال.

2-في الفترة قبل الاستقلال ثار الشاعر علي الظلم الذي وقع لمصر من نظام الحكم فيها ، وفي فترة بعد الاستقلال لجأ محمد المهدي المجذوب إليها ، وجعلها ملاذاً آمناً وطلب منها أن تثير الروح في السودان ليلحق بها ويحقق استقلاله.

3-أكثر الشاعر من الإشارة إلى ثورة يوليو 1952م تيمناً بها .

4-رثى الشاعر قوادها وحكامها الأقوياء الذين حافظوا عليها واهتموا بوحدتها مع السودان.

5-هجا الشاعر حكامها الذين يخالفهم الرأي فى القضايا الوطنية .

6-ربط معظم قصائده فيها بما يحدث في السودان.

---

[1] منابر ، ص 18 – 41 – 49 – 113 – 100.
[2]- منابر ، ص 205

7-كان الشاعر يخصص قصائد كاملة عنها يتحدث عن مصر من البلدان العربية الأخرى التي خصها محمد المهدي المجذوب بشعره كفلسطين جرح العرب الدامي، يقول الأستاذ عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجي[1]: (يعالج محمد المهدي المجذوب قضية فلسطين سنة 1948م على النحو الذي نعالجه اليوم فيعرض القضية ويحللها تحليلاً سياسياً وقانونياً ليعرضها بعد ذلك عرضاً شعورياً ملتهباً).

يقول محمد المهدي المجذوب متحدثا عن وعد (بلفور) الذي مكَّن اليهود من إقامة وطن لهم في فلسطين، ومستصرخا العرب ليهبوا ويعيدوا البلاد لأصحابها[2]:-

أين موسي فكلهم في فلسطين كفرعون طامع في الخلود
وعد بلفور أي وعد أبلفور إله حنانه لليهود
هبت الخيل فوق ألف من الدهر هبوب الرياح فوق النجود
تلحم الشام بالعراق إلى النيل إلى المغرب القريب البعيد

لا ينسى محمد المهدي المجذوب معارك الأجداد في شعره الوطني العربي يقول ذاكراً معركة حطين[3]:-

أين كنتم وقد تكنف حطين عباب مدفع من أسود

وعندما وقعت مجزرة دير يس وفتك اليهود بأطفال المخيمات أرسل محمد المهدي المجذوب أنات مجروحة تدمي الجماد ، منتحباً وباكياً شهداء هذه المجزرة[4]:-

في دير يس لم اصرخ فقد سمعت منها آذان من ماتوا بأوجاعي
ثار يتم ويبقي العار في بلد باسم المهيمن يسعى نحوه الساعي

ومن البلدان العربية التي اهتز لها الشاعر محمد المهدي المجذوب الجزائر، فخصَّها بشعرٍ غير قليل، واستأثرت الجزائر بشعر السودانيين في فترة التحرير التي انتابت العالم العربي ، لأنَّها قدمت من التضحيات ما يفوق الوصف، إذ بلغ شهداؤها مليون شهيد، فيقول مستقبلاً وفد الجزائر الذي زار الخرطوم عام 1960م[5]:-

---

(1) درس وتحليل ، نار المجاذيب – ص 100.
(2) نار المجاذيب – ص 60 .
(3) المرجع السابق – ص 60.
(4) الشرافة - ص 86.
(5) الشرافة والهجرة ، ص52.

ديجول هل أبصرت راية طارق والبحر تحت ظلالها يتحجر

وفد الجزائر قد نزلت بشاطئ إيمانـه بالله لا يتـغير

يفديك تدفع عن جلال تراثه وتصون ما وهب النبي المنذر

ولم ينس محمد المهدي المجذوب العراق، فخصها بعدد من القصائد مثل "بغداد" التي هجا فيها الشريف حسين، وتحسر على عهد هارون الرشيد الغابر وتطرق لضياع العراق، ومعظم الدول العربية مثل فلسطين يقول متحسراً[1] :-

رأيتك بالأمس لا تنطقين فأين البيان وأين القصيد

فهل تذكرين زمان الرشيد

وقلت لقد ذهب الثائرون ولم يبق إلا الخنا والعبيد

ونوري السعيد

وجاء من بكة كـاذب له لحية في بياض الجليد

وضاع الشام وضاع العراق وضاعت فلسطين بين الأمم

يقول محمد مصطفي هدارة معلقا علي هذه القصيدة (وانفعل محمد المهدي المجذوب بثورة العراق سنة 1958م، وقد استرجع في قصيدته عنها تأريخ العرب الحديث في الحرب العالمية الأولى حيث تحالف الشريف حسين مع الإنجليز، فمنحوا ابنه فيصل عرش سوريا، فلما أخرجته فرنسا من سوريا منحه الإنجليز حكم العراق)[(2)].

وعندما قامت ثورة المغرب سنة 1951م اهتز لها المجذوب، بقوله[3] :-

علال سقيت الأرض عجل بقطرة إلى وخضب بالدماء بياني

على كل مقتول على الثأر فرحتي وقلبي على قتلى المبادئ حان

في هذه المساحة يستعرض الباحث بعضا من الشعراء السودانيين الذين اهتموا بالوحدة العربية ، وأفردوا لها صفحات في شعرهم ، وناضلوا من أجل حرية البلدان العربية ويهدف الباحث من ذلك ليوضح أن الشعراء السودانيين في تلك الفترة كانوا يتفقون في كثير من موضوعات شعرهم نتيجة لتأثرهم بالأحداث السياسية التي حدثت في تلك الفترة

[1]- نار المجاذيب ، ص 182

[(2)] تيارات الشعر العربي المعاصر ، ص 351.

[3]- نار المجاذيب ، ص 274

، ثم ينتقل الشاعر بعده للحديث عن شعر محمد المهدي المجذوب في البلدان العربية ومناقشته .

من الشعراء الذين تطرقوا لآلام الجسد العربي الشاعر أحمد محمد صالح، فها هو يصور الفاجعة التي حلت بدمشق حين استباحها الفرنسيون، وصاغ في ذلك شعراً ضمنه لواعج نفسه، وصور فيه صدى هذه الكارثة في مختلف البلاد العربية التي رجعت هذا الصدى ألماً وحسرة ، فهو يهيب بدمشق ويناشدها الصبر على هذه المأساة. ولم يكن جرحها فقط بل كان جرحاً عميقاً في مختلف البلاد العربية وتتسم هذه القصيدة بحسن التصوير وجمال الصيانة وروعة السبك، حيث يقول[1]:-

صبراً دمشق فكل طرف باكي لما استبيح مع الظلام حماك
جرح العروبة فيك جرح سائل بكت العروبة كلها لبكاك
جزعت عمان وروعت بغداد واهتزت ربا صنعاء يوم أساك

وشايعه في هذه الدعوة الشاعر عبد الله عبد الرحمن بقوله مخاطبا العرب[2]:-

بني العروبة والأخلاق أنكم من البلاد وقفتم وقفة السفرا
إنَّ التعاون في الأعمال مصعدنا إلى العلا وعليه ندرك الوطرا
نمشي أمام جميع العالمين فهل من المروءة نمشي صاغرين ورا

عندما أرادت فرنسا سنة 1961م أن تقسم الجزائر وتجعل منها فلسطين أخرى، ثار الشاعر مصطفي طيب الأسماء* وقدح على زناد الثورة والفداء متوعداً فرنسا[3]:-

لا لن تقسم أرضنا أبداً ولن تنقسما
أرض الجزائر وحدة وكيانها لن يهدما

وصدق الشاعر فانتصرت الجزائر وبقيت شامخة متوحدة لم تنقسم.

لم يكن شعر الشعراء السودانيين كله تحريض وثورة ضد المحتل فقط بل أخذ أشكالاً أخرى مثل الدعوة لحقن الدماء ومثل الفرقة بين البلدان العربية نفسها، فعندما اشتد الصراع بين العراق والكويت سنة 1961م حول الاستقلال وجه الشاعر مصطفي عتاباً

---

(1) مع الأحرار – أحمد محمد صالح – ص 93.
(2) الفجر الصادق ، عبد الله عبد الرحمن ، ص 27
(3) لحن وقلب ، مصطفى طيب الأسماء – ص 102.

رقيقاً للعراق الأخ الأكبر ليصن القرابة ويأخذ بيد أخيه الأصغر الكويت رافضاً اشتداد الصراع بينهما يقول[1]:-

وبنوا الكويت بنو العروبة كلها أمــاً واب
فصن القرابة بالأنـاة ولا تبـدد ما اكتسب
ما الحرب بينكم بخير بل مغارم للعروبة تجتلب

ومن الوسائل التي اتخذها الشعراء كذلك الدعوة على المحتلين بالفناء والهلاك، وهـي دعـوة مسـتمدة مـن شـعراء الإسـلام الأوائـل الـذين كـانوا يـدعون بالويـل والـدمار للمشركين، يقول الشاعر محمد محمد علي في ذلك مفتخرا بأصله العربي وداعياً على الأعداء[2]:-

إن تسل عني فاني عربي ولساني وجناني عربي
دعوة كل مساء فلق وصباح من أسانا شحب
نضر اللهم وجه العرب واخترم أعداءهم بالعطب

وكتب معظم شعراء السودان عن نكبة فلسطين وتباروا في تصوير مأساتها، فهذا محمد محمد علي يعجب من الفدائي ذلك الرجل مات ليحيا شعبه في حرية يقول في غزة[3]:-

يا فلسطين الحـبيبة
الفدائيون قد هزوا فؤادي
والدماء اليوم ينبوعى وزادي
ليس يثنيني ضلال أو رشادي
عن تباريح يعانيها الفدائي

يرى الباحث أنَّ كثرة شعر العروبة في الأدب السوداني يرجع إلى الأسباب الآتية:-

1-شعور الشعراء السودانيين بقوميتهم العربية وانتمائهم للجنس العربي.
2-الدين الإسلامي ذلك الرابط الرئيس لهذه البلدان العربية التي تدين به.

---

(1) لحن وقلب ، مصطفى طيب الأسماء – ص 93.
(2) ظلال شاردة ، محمد محمد علي – ص 78.
(3) المرجع السابق – ص 49.

3-اللغة العربية لسان التخاطب الموجود في كل البلدان العربية .

4-يلاحظ الباحث أنَّ معظم شعر العروبة في الشعر السوداني قيل في فترة الاستعمار الأوربي للبلدان العربية التي خضعت لهذا الاستعمار في فترات متقاربة من بعضها البعض، فأدى هذا لتضامن الشعراء العرب واتصالهم فكتبوا هدفهم تحرير الشعوب العربية.

ثانياً: أفريقيا :-

يقول الأستاذ عبد الهادي الصديق : (بدأ اهتمام الشاعر السوداني بوجوده في المكان الأفريقي منذ اللحظة التأريخية التي وقفت فيها القارة الأفريقية تنادي بحقها في الحرية والانعتاق ، ووجد الشاعر السوداني حلمه الأول بالأصول عندما وقف أجداده ضد التوسع الاستعماري في القارة)[1].

ولكن رغم ذلك لم تحظ أفريقيا وحركاتها التحررية بتفاعل الشعر السوداني معها مقارنة بما حظيت به البلدان العربية من اهتمام. ويقول الدكتور النويهي في هذا الشأن[2]: (إلى وقتٍ قريب كان الاتجاه الغالب هو تجاهل العناصر الأفريقية أو إنكارها، وتضخيم العناصر العربية وتغليبها).

يرى الباحث أنَّ قلة ورود قضايا أفريقيا في الشعر السوداني مقارنة بالقضايا العربية يعود إلى الآتي:-

1-معظم الدول الأفريقية لا تدين بالإسلام والسودان دولة إسلامية، لذا لم يكن الرابط الديني قويا بين السودان والأفارقة، فاتجه شعراؤه إلى العرب أكثر من أفريقيا.

2-اختلاف اللهجات بين البلدان الإفريقية أدى إلى ضعف الترابط بينها.

3-ارتباط السودان بجيرانه العرب أكثر من الأفارقة.

كل هذه العوامل التي ذكرها الباحث جعلت ارتباط الشعراء السودانيين بأفريقيا ضعيفا ولكنه ليس معدوماً، فقد تطرق الشعر السوداني لأفريقيا، وطفق الشعراء السودانيون يشاركون في معركة تحرير أفريقيا، واختلفت وسائلهم وموضوعاتهم، فمهنهم من تحدث بأسى عن تجارة الرقيق في أفريقيا وتعرض لمأساتهم، وبعضهم ساند ثورتها التحررية، ومدح ورثى زعماءها العظام، والبعض الآخر طالب بتقدم ورفعة أفريقيا خاصة بعد أن تحررت معظم دولها.

تفاعل الشاعر محمد المهدي المجذوب مع القضايا الأفريقية وجعل لها نصيباً في شعره مدافعاً عنها ومؤيداً لها. يقول الدكتور هدارة: (لم يكن محمد المهدي المجذوب في اهتمامه بقضايا وطنه الكبير بعيداً عن حركات التحرر الأفريقية، بل نراه يتابعها عن

---

[1] أصول الشعر السوداني ، الأستاذ عبد الهادي الصديق، ص 75

[2] الاتجاهات الشعرية في الأدب السوداني، د. النويهي، ص 147

وعي بمشكلات القارة في مواجهة تحدي الاستعمار الذي يعتبر وجوده في أي مكان سبباً في الثورة عليه ومحاربته)[1]. تأثر محمد المهدي المجذوب بشعراء جيله في ذلك، فكان شعره في القضايا أفريقيا قليلاً مقارنة بالقضايا العربية. يقول محمد المهدي المجذوب عن ثورة كينيا التي أشعلها جومو كينياتا زعيم قبيلة الملاماو[2]:-

بني وطني للنار في كل بقعة لسان ودخان في السموات أسود
لكم جيرة في كينينا فد تمـردوا بدمع الضحايا والدماء معمد
فلا ترحموا لم تبق في الأرض رحمة وإلا هلكتم بين عيسى وأحمد

يقول الأستاذ صالح شعيب صالح معلقا على هذه القصيدة: (وفي هذه الأبيات يعترف الشاعر بإحدى صلاتنا في أفريقيا وهي صلة الجوار ، ويعترف بسبق أهل كينيا في الجهاد لطرد الأجانب من بلادهم مثنياً على زعيمهم ممتدحاً شجاعته)[3].

يقول الدكتور عبده بدوي عن الشعراء السودانيين: (وقد اهتموا بثورة الماوماو ، وأعجبوا بقائدها جومو كينياتا ، وأرخوا لكل كيني)[4]. ويواصل الدكتور عبده بدوي قائلا: (فقد كان للمد الثوري الذي عم البلاد بعد الحرب العالمية الثانية ونضوج الوعي التحرري، أثر كبير في تحول البلاد من الهدوء والصمت إلى الإصرار والمقاومة فقد استحالوا جميعا إلي حقد غاضب ورمح مشتعل) .

أثنى محمد المهدي المجذوب كذلك بالزعيم لوممبا ، أول من تولى رئاسة الوزراء في بلادة الكنغو بعد الاستقلال ، وهز مقتله الثوار في معظم بقاع العالم، ويقول الشاعر الدكتور مصطفي عوض الكريم[5] :-

يا لوممبا
هاهنا في أرضنا الحمراء شاعـر
عربد الإنشاد في جنبيه وانثالت مشاعر
صاغها النيل غضوباً هـادراً
من فؤاد ثائر لاقى فؤاداً ثائـراً

[1]- تيارات الشعر المعاصر في السودان ، هدارة ، ص 352
[2]- نار المجاذيب ، ص 115
[3]- القضايا الوطنية ، ص 136
[4]- الشعر الحديث في السودان ، بدوي ، ص 625
[5]- السفير د. مصطفى عوض الكريم ، الدار الدولية للكتب ، 1972م ، ص 98

يقول محمد المهدي المجذوب في الزعيم لوممبا[1] :-

جلسنا إلى قهوة في الطريق
تهاثر احقادنا الكافرات
تحرك إيماننا لا يفيق
على صرخة عالية
تراءت لنا سارية
مقاتلة عارية

اهتم محمد المهدي المجذوب اهتماماً عظيماً بأصله الأفريقي، وكتب قصائد كثيرة في جنوب السودان، وأحب اللون الأسود، ووصل به الحال أن فضل جنوب السودان على شماله، يقول[2]:-

سلام الله يا بحر الغزال وبعداً للنفاق مع الشمال
وبعداً للحياة وما نعاني هناك من الشكاية والملال

خصائص الشعر الوطني عند محمد المهدي المجذوب :-

في ختام هذا الفصل يبين الباحث خصائص الشعر الوطني لمحمد المهدي المجذوب .

أجمل الأستاذ عبد الرحمن عبد الرءوف الخانجي خصائص شعر محمد المهدي المجذوب الوطني في ديوان نار المجاذيب في الآتي[3] :-

1- الثورة والصخب والهتاف .
2- ذكر الماضي من الأبطال والمعارك.
3- الحدة والانفعال والتطرف في نقد الأحزاب .
4- الفخر ببني وطنه .

من خلال اطلاع الباحث على كل دواوين الشاعر التي لم يتطرق لها الخانجي يضيف الباحث لما سبق الخصائص الآتية :-

1- الإكثار من السخرية في معظم الموضوعات الوطنية التي تطرق إليها .

---

[1]- الشرافة والهجرة ، ص 172
[2]- منابر ، ص 199
[3]- دراسة وتحليل ديوان نار المجاذيب ، د. عبد الرحمن رؤوف الخانجي ، ص 243

2- استخدام أسلوب الاحتجاج، والإقناع والمنطق ، عندما ينتقد الأحزاب والمستعمر.
3- الاستناد إلى ذاكرة حية ، حافظة للتأريخ ، أكتسبها من مآثر جدوده ، وعظم تأريخهم.
4- امتازت قصائده الوطنية على سواها بالطول ووحدة الموضوع .
5- استخدام لغة المباشرة وعدم اللجوء إلى الرمز إلا في آخر عمره .
6- تنوعت أشعار محمد المهدي المجذوب الوطنية ما بين العاطفية والقومية والذاتية التأملية والصوفية .
7- امتازت أشعار محمد المهدي المجذوب الوطنية باحتشاد الصور التي تنقل الواقع المعيش بكل تفاصيله الدقيقة .
8- امتاز محمد المهدي المجذوب في قصائده الوطنية بخاصية قراءة المستقبل ، وتوقع الأحداث ، والنظرة المستقبلية للقضايا الوطنية ، وظهر ذلك في توقعه لتفرق كلمة الأحزاب ، وعدم اتفاقهم علي برنامج واحد ، وكذلك توقعه باستفحال مشكلة الجنوب وإخفاق الحكومات العسكرية .
9- ظهرت في بعض أشعاره الألفاظ التي يعف اللسان عن ذكرها وظهرت بصورة أكثر في كتاباته لصديقه علي أبي سن ويعود ذلك لإحباطه من الحكومات الوطنية .
10- إضافة إلى الشعر الوطني المباشر تمثلت كذلك أشعاره الوطنية في موضوعاته الاجتماعية مثل النيل والقربة ووصف تفاصيل الحياة الريفية .
11- تفاعل محمد المهدي المجذوب مع القضايا العربية والإفريقية فظهرت في أشعاره دولاً مثل مصر والعراق والجزائر والمغرب وكينيا وغانا .
12- اتجه شعره الوطني في نهاية عمره إلى الحديث عن وطنه الصغير والتزامه جانب أسرته بعد إحباطه .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لاكمال هذه الرسالة ويسر لي صعوباتها ،وألهمني القدرة لمواصلة التحصيل العلمي .

تناول الباحث في هذه الرسالة الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب، متحدثاً عن حياته وشعره وأسرته ، وموضوعات شعره الوطني وخصائصه ، وسماته الفنية وأسهب الباحث كذلك في الحديث عن مراحل الشعر الوطني السوداني .

قسم الباحث هذه الرسالة إلى ثلاثة أبواب وعدد من الفصول والمباحث :-

تناول الباحث في الباب الأول خطة الدراسة بعناصرها المختلفة .

وفي الباب الثاني تحدث الباحث عن مفهوم الوطن ومراحل الشعر الوطني وجعلهما في فصلين وقسمهما إلى عدد من المباحث .

بينما أفرد الباحث الباب الثالث والأخير للحديث عن محمد المهدي المجذوب، وشعره وأسرته وموضوعات شعره الوطني ، وقسمه كذلك إلى فصلين وعدد من المباحث .

وفي ختام هذه الرسالة خلص الباحث للنتائج الآتية :-

1- لم يتبلور الشعر الوطني في عصر الفونج لعدة منها أن: السودان لم يعرف حدود الوطن ولوجود ثلاث ممالك كانت تتقاسم حكم السودان وتتحارب فيما بينها ولسيادة الروح القبلية .

2- الشعر الوطني في فترة الحكم التركي قليل ، ومع قلته لم يصور الأحداث المثيرة في السودان ، ولم يتبلور تبلوراً واضحاً في هذه الفترة .

3- الشعر في عهد المهدية يمثل الأنموذج الأمثل لمفهوم الوطن في الإسلام .

4- وفرة الشعر الوطني في فترة الحكم الثنائي نتيجة للشعور المناهض للاستعمار في هذه الفترة .

5- تطرق محمد المهدي المجذوب لمعظم موضوعات الشعر الوطني المباشر، فبرز في شعره التحريض على الثورة ، ورفض ممارسات الأحزاب والمتعاونين معهم ، واستلهام الثورة من معارك الأجداد ومجاهداتهم ، كما ظهرت في شعره بعض الأفكار والآراء السياسية ومد طرفه للعالمين العربي والإفريقي ، فظهرت في شعره بعض القضايا العربية

والإفريقية ، وظهرت بعض الموضوعات الشعرية الوطنية غير المباشرة مثل: النيل ، والشعوبية .

6- أجمع النقاد على أن محمد المهدي المجذوب لم ينتهج منهجاً معيناً في الشعر بل كتب الشعر على طريقته الخاصة ، وتفرد عن جميع شعراء السودان القدامى والمحدثين بكثرة إنتاجه الشعري والأدبي ، إذ أنه أصدر ثمانية دواوين شعرية وعدد من المقالات والرسائل .

7- كثر الشعر الوطني كثرة مفرطة في دواوين محمد المهدي المجذوب مقارنة بالأغراض الأخرى ، ووضع كل أشعاره الوطنية في ديوان (منابر) وتوزعت قصائده الوطنية الأخرى بنسب قليلة على دواوينه الشعرية الأخرى .

8- تشكلت ثقافة محمد المهدي المجذوب من مصادر عدة استقاها من بيئته الدينية ودراسته لأشعار الشعراء القدامى ، وترحاله في ربوع السودان .

9- استخدم محمد المهدي المجذوب الأسلوب المباشر والواضح ، بلغة سهلة وبسيطة وتطرق لمعظم الأغراض الشعرية القديمة والحديثة .

10- كان محمد المهدي المجذوب ذا ثقافة واسعة ، ومعرفة تامة باللغة الإنجليزية وقد ظهرت له رسائل بها ، أما بخصوص شعره ، فقد كان يقدم ويؤخر في القصائد ولا يتبع التسلسل التاريخي .

11- انضم محمد المهدي المجذوب لحزب الأمة في بداية أمره إعجاباً بالإمام محمد أحمد المهدي ، ولانضمام أجداده للمهدية ، ثم تحول إلى الحزب الاشتراكي لأنه يدعو إلى جمهورية خالصة وليس له ارتباط بدولتي الاستعمار وفي نهاية أمره أعطى صوته للحزب الشيوعي نتيجة قلقه وحبه للتغير.

12- إن التحريض على الثورة ضد المستعمر أكبر محور كتب فيه الشاعر مقارنة بمحاور شعره الوطني الأخرى .

13- قصد محمد المهدي المجذوب من معارك الأجداد التذكير بتاريخ الأمة المجيد ومعاركها السابقة وإذكاء روح النضال في النفوس .

14- كان محمد المهدي المجذوب داعية سلام ووفاق واتحاد ، وشغل هذا الدور بهمة ونشاط ، وجعل من الوحدة هدفاً أسمي وهب له شعره .

15- إلمام محمد المهدي المجذوب بحوادث التاريخ السوداني ، ومعرفته التامة بها مكنته من إجادة فن تصوير شعر معارك الأجداد ومواقعهم .

16- كانت لمحمد المهدي المجذوب أفكار سياسية ، ومواقف كثيرة ، منها: انتمائه للحزب الجمهوري ورأيه في المجالس التشريعية ، والتبشير ، وموقفه من الحكم العسكري .

17- كان محمد المهدي المجذوب يرى في المجالس التشريعية ممارسة ناقصة للشوري ، لأنها كانت محكومة بلوائح المستعمر ، الذي كان يهدف لشل حركة المثقفين وتوطين الفرقة والشتات ، بمناصرة فصيل دون الآخر .

18- هاجم محمد المهدي المجذوب التبشير بعنف لأنه كان يراه فتنة للشمال والجنوب باسم الدين ، وكانت دعوته للوحدة الوطنية تصطدم بخبث المبشرين .

19- لم يثبت في دواوين الشاعر محمد المهدي المجذوب أنه مدح الحكومات العسكرية لكنه مدح بعض قادة الأحزاب ، على الرغم من نقده لها .

20- تطرق محمد المهدي المجذوب للنيل ورمز له بمعان عدة جاءت في شعره منها: عشقه للوطن ، استلهام معاني الثورة ، الدعوة للوحدة الوطنية . ويعتبر الشاعر محمد المهدي المجذوب رائد الواقعية في الشعر السوداني لكثرة إنتاجه فيها .

التوصيات :-

ختاماً يوصي الباحث بالآتي :-

1- المواصلة في دراسة الشعر الوطني السوداني بعمق تحليلي أكبر حتى العام 2010م .

2- التوسع في دراسة القضايا الوطنية في العالمين العربي والأفريقي الواردة في الشعر السوداني .

3- دراسة دواوين الشاعر محمد المهدي المجذوب التي صدرت حديثاً وتحليلها عدا ديوان نار المجاذيب الذي وجد حظه من الدراسة من قبل الأستاذ عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجي .

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر :-

1. ابراهيم العدوى – الطبعة الثانية – 1979م – يقظة السودان – مصر .
2. إبراهيم علي الجعلى– 1986م – الجيل الرائد – شركة أبوظبى للطباعة والنشر– الأمارات .
3. ابراهيم عمر الامين – (بدون) – رجال خالدون ، (ديوان شعر) .
4. ابراهيم فوزي – 1319هـ – السودانيون بين يدي غرودون وكتشنر – ج 1 – مطبعة الادب– مصر .
5. ابن منظور – 1956م – لسان العرب – دار صادر للطباعة والنشر– ج14 – بيروت– لبنان .
6. أبو على المودودى – 1985م – نظرية الإسلام وهديه في السياسة و القانون والدستور– الدار السعودية – جده .
7. أبوطراف النميرى – (بدون) – ديوان الينابيع (ديوان شعر) – القاهرة – مطابع المصرى .
8. أحمد ابراهيم أبوسن – ط6 – 1999 م – الإدارة فى الإسلام –جامعة القرآن الكريم .
9. أحمد الشايب – الطبعه السادسة – 1983م – تأريخ الشعر السياسي –مكتبة النهضة المصرية .
10. أحمد بن الحاج – (بدون) – كاتب الشونة – تحقيق الشاطر البصيلى عبد الجليل – سلسلة تراثيات .
11. أحمد خير المحامي – 1970م – كفاح جيل – الخرطوم .
12. أحمد سعد – 1959م – الشعر والشعراء في السودان –دار المعارف – بيروت .
13. أحمد عبدالله سامي – 1963م – الرمال الظامئة – مطبعة محمد علي– القاهرة .
14. أحمد عبدالله سامي – 1968م – محمد سعيد العباسي – دار الإرشاد – الخرطوم.

15. أحمد محمد جاد عبد الرازق – 1995م – فلسفة المشروع الحضارى – ج 2 .
16. أحمد محمد صالح – (بدون) – مع الأحرار(ديوان شعر) –الخرطوم – وزارة الإعلام والشئون الإجتماعية .
17. إدريس جماع – الطبعة الثالثة – 1984م – لحظات باقية (ديوان شعر) –دار الفكر– الخرطوم .
18. بشير محمد سعيد – الطبعة الأولى – 1988م – إدارة السودان في الحكم السوداني – دار جامعة الخرطوم للنشر.
19. بشيركوكو حميده – 1971م – لمحات من تأريخ المجاذيب – ماجستير–جامعة الخرطوم .
20. بله عبد الله مدنى – 1980م – تطور الشكل والمضمون فى الشعر السودانى (1504 – 1940)– رسالة ماجستير– جامعة ام درمان الاسلامية – كلية الاداب.
21. التجاني يوسف بشير– ط3 –1956م – إشراقة(ديوان شعر) – المكتبة الجديدة – ام درمان .
22. تصحيح الألباني – صحيح الترمذي – حديث رقم (83 –3) – الجزء الثالث .
23. توفيق صالح جبريل – (بدون) – أفق وشفق (ديوان شعر) – دار التأليف والترجمة والنشر – جامعة الخرطوم .
24. توفيق صالح جبريل – 1986م – شاعراً وناثراً – هنرى رياض – دار الجيل – بيروت .
25. ثروت بدوى – 1999م – النظم السياسية – دار النهضة العربية – القاهرة .
26. جعفر حامد البشير – (بدون) – حرية وجمال (ديوان شعر) –مطبعة الصراحة– الخرطوم .
27. جمال الدين الرمادي – دراسات في الأدب السوداني – دار المعارف القاهرة.
28. حسن أبشر الطيب – الطبعة الاولي –1971م – فى الأدب السوداني المعاصر – الدار السودانية للكتب – الخرطوم .
29. حسن نجيلة – الطبعة الأولى – 1994م – ملامح من المجتمع السوداني – دار الخرطوم للطباعة والنشر .

30. حمد أبو القاسم حاج حمد – السودان المأزق التأريخي و آفاق المستقبل .
31. حمزة الملك طمبل – 1958م – الأدب السودانى وما يجب أن يكون عليه –مصر.
32. الدكتور عثمان محمد عثمان كنه – 1991م – الصورة الفنية في شعر محمد المهدي المجذوب – مركز قاسم لخدمات المكتبات – الخرطوم .
33. زكريا بشير امام – ط 1999م – مدخل إلى النظرية السياسية في القران الكريم – دار هزابر .
34. زهير شكر – ط3 – 1994م – الوسيط في القانون الدستوري – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – لبنان .
35. زينب الفاتح البدوى – الطبعة الاولى – 1985م – التجديد فى الشعر السودانى المعاصر –دار جامعة الخرطوم للنشر .
36. سعد ميخائيل – 1924م – شعراء السودان – مطبعة الخرطوم .
37. سلاطين باشا – 1930م – السيف والنار فى السودان – تعريب جريدة البلاغ .
38. سيد أحمد الحاردلو – الطريق إلى يافا (ديوان شعر) – دار العودة – بيروت .
39. سيف الدين الدسوقي – الأعمال الكاملة (ديوان شعر) .
40. شوقى ضيف – الطبعة الثامنة – العصر العباسي – دار المعارف– القاهرة (بدون) .
41. شوقى ضيف – الطبعة السابعة – العصر الاسلامى – دار المعارف .
42. صالح شعيب صالح – 1998م – القضايا الاجتماعية والوطنية في شعر المجذوب– رسالة ماجستير – جامعة ام درمان الاسلامية.
43. صالح عبد القادر – عواطف عمر الامين عبد الله – الطبعة الاولى – 1991م – حياته وشعره – دار الجيل بيروت .
44. صلاح الدين المليك – 1972م – شعراء الكيان الوطنى فى السودان (من عهد الفونج إلى 1970م) – رسالة دكتوراه – جامعة الخرطوم .
45. صلاح الدين محي الدين الطبعة الثالثة – 1995م – وقفات من تأريخ السودان – دار مكتبة الهلال – بيروت لبنان .

46. ضرار صالح ضرار – 1968م – تأريخ السودان الحديث – مكتبة الحياة – بيروت .
47. عباس محمود جوده – 1975م – الشعر السياسي السوداني – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة – كلية الآداب .
48. عبد الحميد محمد أحمد – الطبعة الأولى – 1987م – الشعر والمجتمع في السودان – دار الوعي للطباعة والنشر – الخرطوم .
49. عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجى – 1971م – دراسة وتحليل ديوان نار المجاذيب – جامعة الخرطوم – ماجستير .
50. عبد العزيز سالم – 1988م – تأريخ العرب في عصور الجاهلية – مؤسسة شباب الجامعة .
51. عبد الله عبد الرحمن – (بدون) – الفجر الصادق(ديوان شعر) .
52. عبد الله محمد عمر البنا – ط1 – 1922م – ديوان البنا(ديوان شعر) – ج 1– ضبطه على المك – الخرطوم .
53. عبد الماجد أبو حسبو – جانب من تأريخ الحركة الوطنية .
54. عبد المجيد عابدين – 1953م – تأريخ الثقافة العربية في السودان – القاهرة.
55. عبد الهادي الصديق – 1973م – أصول الشعر السوداني – دارجامعة الخرطوم للنشر .
56. عبدالله الطيب – 1968م – من نافذه القطار – لجنة التأليف والنشر–الخرطوم.
57. عبدالله الطيب – الطبعة الثالثة – 1989م – أصداء النيل(ديوان شعر) – دار الحرية بغداد .
58. عبده بدوي – 1964م – الشعر الحديث في السودان – مطبوعات المجلس الأعلي لرعاية الفنون – القاهرة .
59. عرفات محمد عبدالله – مجموعة مقالات– إعداد/ قاسم محمد نور – مركز الدراسات الدولية – (بدون) .
60. عز الدين الأمين – ط1 – 1971م – تراث الشعر السودانى– معهد البحوث للدراسات العربية –القاهرة .

61. عزام أبو بكر علي الطيب – الطبعة الأولى – 1992م – العلاقات بين الخليفة عبد الله التعايشي وقبائل السودان (1885 – 1898م) – مطبعة جامعة الخرطوم – الهيئة القومية للثقافة والفنون .
62. علي أبوسن – 1997م – المجذوب والذكريات – أحاديث في الأدب والسياسة بين الخرطوم والقاهرة ولندن وباريس .
63. علي بن حسام الدين الهندى – 1989م – كنز العمال فى سنن الأقوال– ج 12 – مؤسسة الرحمة – بيروت .
64. علي جابر المنصور – ط1– 2000م – النقد الأدبي الحديث – دار حجار –عمان .
65. عمر الدقاق – 1963م – الاتجاه القومى فى الشعر الحديث – دار الشرق – حلب – سوريا .
66. عمر الدقاق – 1975م – شعراء الوطنية فى السودان – مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر – الخرطوم .
67. عوض السيد الكرسنى – ط 1– 2000م – حول قضايا الوفاق والسلام فى السودان – مطبعة جامعة الخرطوم .
68. عون الشريف قاسم – الطبعة الأولى – 1996م – القبائل والأنساب – الجزء الخامس – الخرطوم .
69. فتح الرحمن حسن التني – ط 1988م – النيل في الشعر السوداني – دار الجيل بيروت .
70. فدوى عبد الرحمن على طه – السودان فى عهد الحكم الثنائى – دار الزهراء – الخرطوم .
71. فضيلي جماع – الطبعة الاولى– 1991م – قراءة فى الأدب السودانى الحديث – الخرطوم .
72. قاسم محمد نور – محمد المهدي المجذوب – (بدون) – دراسة بيلومترية وثائقية – الجزء الأول – وزارة الثقافة– الخرطوم .

73. قاسم محمد نور– 2004م – أضواء على الحركة الوطنية – وزارة الثقافة والاعلام – الخرطوم .
74. كامل الباقر – (بدون) – من وحي القلم الفضي(ديوان شعر) – الاسكندرية – المكتب المصري للطباعة .
75. لؤى صافي – ط2 – 1998م – العقيدة والسياسة – المعهد العالمى للفكر الإسلامى .
76. لطفي عبد الوهاب يحيى – 1993م – العرب في العصور القديمة – دار المعرفة.
77. مبارك العربي – 1954م – عصارة قلب (ديوان شعر) – مطبعة مصر .
78. مجموعة مؤلفين – 1994م – معجم أدباء السودان – الهيئة القومية للثقافة والفنون – الخرطوم – السودان .
79. محمد ابراهيم الشوش – 1971م – الشعر الحديث فى السودان – جامعة الخرطوم قسم النشر .
80. محمد أحمد المحجوب – (بدون) – قصة قلب (ديوان شعر) – دار الثقافة – بيروت .
81. محمد أحمد المحجوب – بدون – الديمقراطية في الميزان .
82. محمد أحمد المحجوب –1941م – الحركة الفكرية فى السودان .
83. محمد أحمد المحجوب و أحمد عبد الحليم – 1946م – موت دنيا – مطبعة اخبار اليوم–الخرطوم .
84. محمد أحمد كرار – الطبعة الرابعة – 1998م – انتخابات وبرلمانات السودان – دار البلد للطباعة والنشر– الخرطوم.
85. محمد البهى– الإسلام فى حياة المسلم – دار الفكر – (بدون) .
86. محمد الحوضي – (د . ت) – القومية العربية في الشعر الحديث – القاهرة .
87. محمد المكي ابراهيم – ط1 – 2006م – الأعمال الكاملة –– الخرطوم .
88. محمد المهدي المجذوب – 1969م – نار المجاذيب (ديوان شعر) – لجنة التأليف والنشر – الخرطوم .
89. محمد المهدي المجذوب – 1981م – منابر(ديوان شعر) – دار الجيل – بيروت.

90. محمد المهدي المجذوب – 2005م – أصوات ودخان (ديوان شعر) –الناشر اسرة الشاعر – سوريا .
91. محمد المهدي المجذوب – 2005م – القسوة في الحليب (ديوان شعر) – الناشر أسرة الشاعر– سوريا .
92. محمد المهدي المجذوب – الطبعة الثانية – 1982م – الشرافة والهجرة (ديوان شعر) – الخرطوم – دار النشر والتأليف – الخرطوم .
93. محمد المهدي المجذوب – الطبعه الأولى – 1981م – تلك الاشياء(ديوان شعر) – دار الجيل بيروت .
94. محمد سعيد العباسي – 1984م – ديوان العباسي(ديوان شعر) – دار الفكر العربي – مصر .
95. محمد سعيد القدال – الطبعة الثانيه – 2002م – تأريخ السودان الحديث – الناشر مركز عبد الكريم ميرغني–الخرطوم .
96. محمد ضياء – ط4 – النظريات السياسية الإسلامية – دار المعارف – مصر .
97. محمد ضيف الله إبن محمد الجعلى الفضلى – (بدون) – كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء– المطبعة المحمودية التجارية – القاهرة .
98. محمد عبد المنعم خفاجه – الأدب في التراث الصوفي – مكتبة غريب – مصر بدون.
99. محمد عزت – 1956م – ألحان ثائر(ديوان شعر) –مطبعة مصر – الخرطوم.
100. محمد عمارة – ط ث – 1996م معالم المنهج الاسلامى – دار الرشاد .
101. محمد عمر بشير – 1980م – تأريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900 – 1969م) – راجعه نور الدين ساتى – الدار السودانية للكتب– الخرطوم .
102. محمد عوض – 1951م – السودان الشمالي سكانه وقبائلة – القاهرة – مصر .
103. محمد غنيمي هلال – ط1 – (بدون) – النقد الأدبي – دار العودة بيروت .
104. محمد محمد على – 1960م – ألحان وأشجان (ديوان شعر) –مطبعة الاعتماد– مصر .

105. محمد محمد على – 1969م – الشعر فى المعارك السياسية 1821–1924م – رسالة ماجستير–الناشر مكتبة الكليات الازهرية – مصر .
106. محمد محمد علي – 1971م – ظلال شاردة (ديوان شعر) – دار جامعة الخرطوم للنشر .
107. محمد مصطفي هدارة – 1972م – تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان –بيروت– لبنان .
108. محمد مفتاح القيتوري – 1967م – أغاني إفريقيا(ديوان شعر) –منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .
109. محمد موسى البر – الطبعة الأولى 1999م – التبشير النصراني أهدافه وتأريخه ووسائله وآثاره على المجتمع السوداني – مؤسسة مطبعة التربية والتعليم القضارف .
110. محي الدين فارس – 1987م – الطين والأظافر (ديوان شعر) – المجلس القومي لرعاية الادب و الفنون – الخرطوم .
111. مصطفي طيب الاسماء – 1973م – لحن وقلب(ديوان شعر) –المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون – الخرطوم .
112. مصطفي طيب الاسماء – ط1 – 1979م – دور الأدب في النضال الوطني – دار الصحافة للنشر.
113. مكي شبيكة – 1974م – السودان عبر القرون – دار النشر الخرطوم .
114. مكي شبيكة – مختصر تأريخ السودان – مطبعة الحلاوي – مصر .
115. ميمونة حمزة – الطبعه الاولي – 2008م – تأريخ السودان الحديث – الخرطوم.
116. الناصر قريب الله – الناصريات (ديوان شعر) – مطبعة التمدن – الخرطوم .
117. نسيم مقار – 1995م – فقه الأحاديث في السودان – مركز الدراسات السودانية القاهرة .
118. نعوم شقير – 1967م – تأريخ وجغرافية السودان – دار الثقافة – بيروت– لبنان.
119. النور ابراهيم – الكتيبة(ديوان شعر) – مطبعة التمدن – الخرطوم.
120. وهبة الزحيلى – ط 1– 1981م – العلاقات الدولية فى الاسلام .

121. يوسف القرضاوي – ط3 – 1977م – الحلول المستورده وكيف جنت على أمتنا – القاهرة الحديثة للطباعة .

ثالثاً: الصحف :-

1. أخبار اليوم – رئيس التحرير أحمد البلال الطيب – شركة اليوم للطباعة والنشر العدد 5264 ، 31 مايو 2009م .
2. آخر لحظة – العدد 235 – السنة الأولى – 2007م.
3. الانتباهة –الطيب مصطفي – العدد 127 – الاربعاء 2007 – الطابعون مطابع المجموعة الدولية .
4. الأيام – أسسها محمد سعيد وآخرون – مطابع التيسير – العدد 10543 – 1982م– تصدر عن شركة الأيام .
5. الأيام– ملحق الأدب و الفنون– عيسى الحلو – العدد 9380 ، دارة الأيام للطباعة والنشر 1978م .
6. الثورة – الخرطوم – العدد 468 – 1962م.
7. الجندى المسلم – د. ناصر البدر–العدد 123– 2004م
8. حضارة السودان – الشاعر حسيب علي حسيب– العدد 57 – 1934م.
9. الخبر الأسبوعى – أنور هزام– العدد 75 – 2007 م
10. الرأي العام – العدد 4413 – 1959م .
11. السودان الجديد – 15/ 1955/8م .
12. الصحافة – العدد 4202 فبراير 2005م
13. الصحافة – العدد 5– شهر أبريل– 1969م.
14. صوت السودان – 1946/9/22م .
15. العلم 1/23– 1949م .
16. الفجر – عرفات محمد عبدالله – 1934/15/16م .

رابعاً: المجلات :-

1- الإذاعة السودانية العدد 38- مايو 1981م .

10- القلم – حسن نجيلة –السنة الثانية – ج2 –1968م – العدد 9 .

2- الثقافة السودانية – عبد الرحيم أبو ذكري – العدد الأول 1972م.

4- الثقافة السودانية – مصلحة الثقافة المجلد الأول 1976م .

5- الخرطوم – تصدر عن الهيئة القومية للثقافة والفنون- العدد السابع –1970م.

6- الدراسات السودانية – الشعر السودانى نظرة تقييميه- د. إحسان عباس –1971م .

7- الشباب – العدد 193 – 1976م .

8- القصص – هيئة السؤون الدينية و الاوقاف رئيس التحرير يحي العوض 1986م .

9- المجلة الثقافية – د. محمد العلي –العدد 62 – 20004م

خامساً: المواقع الالكترونية :-

1- www.odabasham-net/show.
2- www.maktoobdlog.com.
3- www.let.maktoobdlog.com.
4- www.vd.Arabsexes.com.